

الشؤون الفلسطينية

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩

٩٦



Palestine Affairs

No. 96 November , 1979

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center
P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon (Tel. 351260, Cables : MARABHATH).

Editor : Mahmoud Darwish

Annual Subscription

Air Mail : Lebanon and Syria - L. L. 60 (\$ 24) ; other Arab
countries - L. L. 75 (\$ 30) ; Europe - L. L. 100 (\$ 40) ; elsewhere -
L. L. 125 (\$ 50) .

Surface Mail : L. L. 65 (\$ 26) .

السعر ٥ ل.ل. في لبنان

٦ ل.ل. في سوريا

٦٥ فلساً في الكويت والعراق

١٠ دراهم في دولة الامارات العربية

٦ ل.ل. في سائر الاقطار العربية

٧٥ درهماً في ج.ع.ب.

شؤون فلسطينية

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩

٩٦

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدرت عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

المدير العام : صبري جريس
رئيس التحرير : محمود رزيق

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير
الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا القارئين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني

(متفرع من السادات) ، رأس بيروت - لبنان ، ص . ب ١٦٦١

تلفون : التحرير والتوزيع ٢٥١٢٦٠

برقيا : مرابحات ، بيروت .

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل . ل . في لبنان وسوريا - ٧٥ ل . ل . في سائر الاقطار
العربية . ١٠٠ ل . ل . في أوروبا ، ١٢٥ ل . ل . في بقية بلدان العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل . ل . في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

أبعد من الصمود .	فيصل حوراني	٣
الاستيطان خلال سنتين من حكم الليكود .	محمد عبد الرحمن	٨
تأسيس « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين ، ١٩١٧ - ١٩٢٣ .	صبري جريس	٢٢
٢ - نظام الانتداب واطرده (تموز ١٩٢٠ - ايلول ١٩٢٣) .		
الصناعة اليهودية في فلسطين في عهد الانتداب .	محمد عبد الرؤوف سليم	٦٠
ملاحظات حول استراتيجية الجيش الاسرائيلي .	مكرم يونس	٧٨
[مقابلة] الاستراتيجية السياسية والعسكرية للولايات المتحدة .	إقبال أحمد	٩٢
شعر الحقيقة في عصر السقوط .	محي الدين صبحي	١٠٦
تقارير		١٢٠
ندوة روما ، احمد صدقي الرجاني . زيارة عرفات لانقره وبرلين ، زياد عبد الفتاح . ردود الفعل الاسرائيلية على الثورة الايرانية ، حنه شاهين . ندوة في صوفيا للتضامن مع فلسطين ، بلال الحسن .		
شهريات		١٤٦
المقاومة الفلسطينية ، ١ - ف . ح ، ٢ - صابر موسى .		
المناطق المحتلة ، ١ - م . ح ، ٢ - ح . ش .		
اسرائيليات ، توفيق فياض . قضايا دولية ، سمير كرم .		
قضايا عسكرية ، محمود عزمي .		

أبعد من الصمود

تقف منظمة التحرير الفلسطينية الآن على أرض سياسية صلبة ، حتى ليصح القول :
انها لم تحظ في اي وقت ، خلال السنوات التي انقضت منذ انشائها ، بالمقدار من التأييد الذي
تحظى به الآن . وليس في الأمر ، بعد ، اية مفاجأة ، ذلك ان الموقف الراهن للمنظمة ، صنعته
نضالات اتصلت على مدى خمسة عشر عاما منذ تأسيسها ، شهدت عبر تجارب الخطأ
والصواب والاختفاقات والنجاحات خطأ تقدم بثبات في مجالات النضال كافة ، العسكرية
والسياسية ، وعمل الصعد كافة ، الفلسطينية والعربية والدولية ، كما شهدت غنى متزايدا في
الخبرة وفي الاداء ، وفي تخطي المصاعب ، وفي التلاؤم مع الظروف غير المؤاتية ، بحيث امكن في
ظل مثل هذه الظروف الاحتفاظ بما كان قد تحقق من نجاحات ، وابقاء الابواب مفتوحة امام
نجاحات جديدة .

ولا شك في ان اصعب ما جابهته المنظمة ، منذ ما بعد ايلول ١٩٧٠ وهو ذاته اصعب ما
جابهه الشعب الفلسطيني منذ ١٩٤٨ ، تمثل في انفراد النظام المصري بابرام تسوية مع
اسرائيل ، وفي طبيعة هذه التسوية ، التي ادت ليس فقط الى اخراج مصر من جبهة المواجهة مع
اسرائيل ، بل ، ايضا ، الى وقفها في الجبهة التي تعادي ، بحكم طبيعة التسوية ، وصول
منظمة التحرير الى تحقيق المطالب الوطنية الفلسطينية ، كما صاغها البرنامج الوطني المرحلي
للمنظمة في العام ١٩٧٤ ، وكان هذا البرنامج صيغ في حينه على ضوء اعتبارين ، يكمل أحدهما
الآخر : حاجة مصر ومعها انذاك سوريا الى برنامج فلسطيني يتضمن النوع من المطالب التي
يمكن تحقيقها في اطار التسوية الشاملة ، وحاجة المنظمة التي رأت ان مصر ماضية نحو ابرام
تسوية كهذه ، الى تأييدها ، فضلا عن تأييد سوريا ، للمطالب الفلسطينية .

ثم وقع ما وقع وابرم النظام المصري تسويته الخاصة به من وراء ظهر كل من المنظمة
وسوريا . واندفع في اتجاه العداء معها واوغل فيه . وكان من شأن هذا ، في تصور النظام
المصري وغربيي كامب ديفيد الآخرين ، ان يؤدي ، فيما يؤدي اليه ، الى اضعاف موقف
المنظمة ، ثم الى اخراجها من الحلبة نهائيا او ادخالها اليها ضعيفة مستخينة وراضية بأن

تصير شاهد الزور على عقابيل تسوية كامب ديفيد ، التي لا تعطي للفلسطينيين من وليمة الاستسلام الا ما هو اقل من الفتات . وتكاثفت الضغوط المنصبة على المنظمة ، ضغوط من أنواع ومستويات جديدة ، استهدفت الاثقال عليها . وتجلت في مقابل ذلك ، فعالية المنظمة في أن تحتفظ بمقدرتها على الحركة الحرة والمجابهة ، في ميدانها العسكري والسياسي ، وتسهم في تطويق آثار كامب ديفيد ، وتضع تسويته كلها في المأزق الذي تلج فيه الآن . وهو المأزق ، الذي يهدد مصير هذه التسوية من اساسه ، ويدفع الوالجين فيه الى البحث عن وسائل أخرى تنقذ ما يمكن انقاذه منها .

ككيف تسنى للمنظمة ، التي كانت في حساب كامب ديفيد اضعف الفرقاء والمرشح الأول من بينهم للانهييار ، ان تلعب هذا الدور في مواجهة تسوية من هذا النوع ؟ ان الاسباب التي ترد في معرض الاجابة على هذا السؤال عديدة ، ومتداولة ، وبينها الحقيقة التي تاكثت بمضي السنين ، حقيقة ان الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها كرس منظمة التحرير بوصفها الممثل الشرعي الوحيد له ، والمعبرة عن طموحاته الوطنية والمسؤولة عن تحقيق مطالبه فضلا عن صياغتها ، وان هذا الشعب يزداد ، بدوافع مقهومة تماما ، تمسكا بهذه الحقيقة كلما رأى ان مصيره الوطني بالذات معرض للخطر ، فيزداد التفافه حول المنظمة وتتراجع ، الى الدرجات التالية من الاهتمام ، الخلافات الداخلية والانتقادات وحتى الشكاوى ، لتفسح المجال امام مزيد من التماسك الوطني الشامل حول برامج المنظمة ومواقفها ، اي حول ما هو مشترك في طروحات القوى الفلسطينية كافة .

وتجلى هنا ، تأثير التحالفات التي بنتها المنظمة مع القوى والانظمة العربية التي لها ، بهذا المقدار او ذلك ، مصلحة في دعم المطالب الوطنية الفلسطينية ، وتجلى ايضا ، وزيادة على هذا وذاك ، تأثير التحالفات الدولية التي اقامتها المنظمة مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى والعديد من الدول ، ومع الاحزاب والهيئات والقوى ذات النفوذ في بلدان العالم كافة . وصار لهذا كله ، اثر ، تأثير في اسناد مواقف المنظمة وهي تخوض في السنتين الماضيتين واحدة من اشد وافسى المجابهات التي فرضت عليها منذ تأسيسها : وفي حمايتها من الانهييار امام الضغوط السياسية والعسكرية المتكاثفة ، المنصبة ضدها من اسرائيل والولايات المتحدة واصدقائها والموالين لها في البلاد العربية .

واستطاعت المنظمة بفضل الرصيد المتكون لها فلسطينيا وعربيا ودوليا ان تجد المقدره الكافية على ان تقول : لا لكامب ديفيد جملة وتفصيلا . اي ان تقول : لا للسياسة الاميركية ، وهي في ذروة هجومها على المنطقة ، ولا لاسرائيل ، وهي في ذروة زهوها بغنيمتها في مصر ، ولا لمؤيدي كامب ديفيد صراحة من العرب ، ولا لمؤيديه المقتنعين ، ولا للذين ايدوا الاستسلام الساداتي وترووا لكي يرقبوا استسلاما فلسطينيا لانقا ، يحررهم من الحرج امام شعوبهم التي ستحاسبهم بمقياس ادعاءاتهم ذاتها حول تمسكهم بعروبة فلسطين وقداستها ، ولا للمتخوفين من المجابهة تحت شتى الذرائع ، ولا للمتآمرين الذين يظهرون غير ما يطنون ، ويسلكون على نحو مغاير لما يعلنون من اقوال . ويرز الصمود شعارا حقيقته المنظمة من جانبها بالفعل في ظل شتى أنواع الضغوط المباشرة وغير المباشرة ، المقنعة وغير المقنعة ، ووسط المخاوف التي روجها المبشرون بعصر الهيمنة الاميركية على الشرق الاوسط .

وكان تحقيق الصمود ، حتى في تصور الوطنيين المتقاتلين ، انجازا كبيرا لعبت المنظمة دورا بارزا في صنعه ، يسجل لها حتى لو لم تنجز أكثر منه .

الا ان فعالية المنظمة نبعثها الى ما هو ابعد من الصمود بما هو حالة دفاع ضد خطر داهم . واستطاعت ان تصير مبادرة في أكثر من ميدان جديد . استغادت من رصيدها المتحقق قبل كامب ديفيد ، وعززته ، وشرعت تشن هجمات مضادة . فارتفعت وتيرة العمليات الفدائية داخل الاراضي المحتلة ، وتحصنت كفاءة المجابهة العسكرية ضد الغزو الاسرائيلي للجنوب اللبناني ، وتطور التنسيق السوري الفلسطيني وارسيت أسس ذات نفع مشترك للتعاون مع الارين ، وتقديم مستوى التعاون والتنسيق مع الاتحاد السوفياتي . وانفتحت نوافذ جديدة تماما داخل الدول الأوروبية الغربية ، دخلتها المنظمة وهي تدرك ان هذه النوافذ ، وان كانت اطرها من صنع مصالح التحالف الغربي ذاته ، المرتبط بالولايات المتحدة والمؤيد تقليديا لاسرائيل ، فانها تظل على قطاعات واسعة من الرأي العام في بلدان أوروبا الغربية ، حان الوقت الذي يتوجب فيه على الصوت الفلسطيني ان يخترقها .

واخيرا نشطت الحملة الموجهة نحو الرأي العام الاميركي . وجرت أولى الاتصالات المباشرة مع الاطر التي يمكن الاطلاع عليها من خلالها . ويتركز كثير من الاهتمام الفلسطيني ، وكذلك العربي والدولي ، على هذه الحملة ، وبالرغم من ان الانشطة الابرز فيها تجلت في الاتصال مع ممثلي القوى السوداء ، التي الف الرأي العام عندنا ان ينظر لها كقوى تتعارض مصالحها مع مصالح الادارة الاميركية ، فان الاتصال بها بما هو اتصال باميركيين اثار جملة من التساؤلات ، وحتى الشكوك ، اطلقتها صراحة ان ضمنا اطراف فلسطينية وعربية . واستندت هذه الشكوك ، فضلا عن الحذر المتأصل تجاه كل ما هو اميركي ، الى بعض مواقف الوفدين اللذين استضافتهما قيادة المنظمة في الاسابيع الاخيرة . واللذين اطلقا جملة من التصريحات اشتملت من جانب على دعوة الادارة الاميركية للاعتراف بمنظمة التحرير والاقرار بوصفها كممثلة للشعب الفلسطيني ، ومن الجانب الآخر ، على تأييد وجود اسرائيل ومطالبتها بما تصفه بأمنها ، وصاغت اقتراحات طالبت المنظمة بوقف انشطتها العنيفة ضد اسرائيل ، مقابل دعوة اسرائيل لوقف الاعمال العسكرية ضد الجنوب اللبناني ، والاقرار بمطالب عاجلة للفلسطينيين . ووصلت الشكوك حدا جعل بعض القادة الفلسطينيين يدرجون المقترحات في سياق سياسة الادارة الاميركية ذاتها . وينظرون الى الزعماء السود الذين حملوها بوصفهم مبعوثين غير رسميين لهذه الادارة يتصدون لمهمة جر المنظمة الى تسوية لا تبتعد كثيرا عن الآفاق التي رسمها كامب ديفيد . في حين املت غالبية القيادة ان تجد في الاتصالات التي تجريها مع الزعماء السود منخلا لخاطبة الرأي العام الاميركي وايصال الصوت الفلسطيني اليه ، وسيلة لاطلاعه على الحقائق المتصلة بالوضع الفلسطيني ، والسياسة الفلسطينية وعدالة مطالبها الوطنية ، واختراق الحصار الذي يضربه الاعلام المعادي في الولايات المتحدة .

واذا امكن ان نقف بعيدا عن التفاصيل ، التي تحفز الآمال والاخرى التي تستثير الشكوك ، فاننا سنكتفي في هذا العدد بالذات بالايضاحات الرصينة التي قدمها بلاغ المنظمة حول زيارة الوفد الذي رثسه القس جاكسون . حين بين ان هدف الاتصالات الجارية هو تنمية العلاقات وتطوير الحوار وتعميق الصداقة مع كافة القوى الديمقراطية والشريفة في الولايات

المتحدة ومساعدتها على الاطلاع على منجزات الشعب الفلسطيني وعلى نتائج العدوان الاسرائيلي وآثار المساندة الاميركية لهذا العدوان ، مع تأكيده على المواقف المبدئية للمنظمة التي عبرت عنها مقررات مجالسها الوطنية . لننبيه بعد هذا الى ما لاحظه البلاغ بسداد من وجود تحول في مواقف اوساط الرأي العام الاميركي ما يزال في بدايته ، وإلى أهمية المساهمة الايجابية في دفع هذا التحول الى الامام . وهنا ينبغي القول ان هذه العملية ليست سهلة على الاطلاق ، والصعوبات التي تجابه المنظمة في الميدان الاميركي بالذات ، تفوق ما جابهته في أي ميدان مماثل . واذا صحت المقارنة مع الانجازات التي حققتها في بلدان أوروبا الغربية ، فلا يصح ان نتجاهل الفروق الكبيرة في حجم القوات اليسارية والديمقراطية عموما ، بين هذه البلدان والولايات المتحدة ، وان الدخول الفلسطيني الى اوساط الرأي العام الواسعة في أوروبا الغربية تم بمعونة كافية من قوى فيها ، ذات حجم وأوزان تفوق ، احيانا بما لا يقاس ، مثيلاتها في الولايات المتحدة . يضاف الى هذا ان القوى التي تناهض المطالب الفلسطينية في بلدان أوروبا الغربية ، على نقيض القوى المؤيدة ، لا تملك الوزن ذاته الذي للادارة الاميركية ، ولا تملك في البلدان العربية قوة التأثير والنفوذ التي لهذه الادارة . هذا اذا اخرجنا من المقارنة الفرق الكبير الذي يتصل بالنفوذ الصهيوني وبدور اسرايل في خدمة مصالح الفريق الاميركي والفريق الاوروبي الغربي ، وفي التأثير فيها .

ولا نظن ان هناك بين الفلسطينيين من يجادل حول صعوبة العملية التي شرعت فيها المنظمة وهي تتجه نحو الرأي العام الاميركي ، او يقلل من المصاعب التي تواجهها ومن جملة المخاطر التي تكتنفها . فاذا امكن ان نقول ان هناك اجماعا على اهميتها ، من غير ان نفل اية تحفظات تحول دون الخلط بين مستلزمات التوجه للرأي العام الاميركي ومستلزمات التوجه للادارة ، صار من الواجب ان نتفق على ان اختراق اوساط الرأي العام ، الذي تسيطر عليه مصالح اعداء الشعب الفلسطيني وادواتها الهائلة ، يفترض توفر درجة عالية من المرونة الى جانب الدرجة العالية من الحذر ، حتى لا تقع المنظمة في اي من الدوغمائية التي تسد النوافذ او التقريط الذي يضيع الحقوق . وفي تقديرنا ان المرونة والحذر كليهما متوفران في مواقف وممارسات المنظمة ، واذا كان ثمة شيء مطلوب فهو المساعدة على استمرارهما .

وهنا تبرز ، باكثر مما برزت في اي مجال اخر ، أهمية وحدة الموقف الفلسطيني ، وتبرز في مقابلها مخاطر الانقسام، فمن المتعذر تماما ان تجري بنجاح عملية ضخمة كهذه ، اذا كانت الشكوك ستعرق عمل القائمين عليها ، واذا لم تتكاتف الجهود كافة لانجاحها . نضيف الى ذلك ان وحدة الموقف ، التي هي في الوقت ذاته تعبير عن الثقة الاجماعية بالقيادة الشرعية للمنظمة ، تشكل الوسيلة الجريئة لابقاء ادارة العملية بكاملها في يد هذه القيادة ، وتوفر الضوابط اللازمة من الجميع ولدى الجميع ، لكي تضي العملية في السياق الذي يخدم ، اول الامر واخره ، هدف تحقيق المطالب الوطنية للشعب الفلسطيني ، حين تنطلق من التمييز بين ما تفرضه الحاجة للحصول على تفهم الرأي العام من مستلزمات ، وبين المستلزمات التي تجهد الادارة الاميركية لفرضها على منظمة التحرير من خلال الضغوط التي تنصب عليها ، وترمي الى دفعها للتخلي عن الاسس التي صنعت قوة موقفها ومقدرتها على المجابهة .

وهنا ايضا ينبغي التمييز بين نوعين من الشكوك التي تكتنف هذه العملية : الشكوك التي

تطال عددا من المستجيبين للرغبة الفلسطينية في الاتصال بالرأي العام الاميركي من الاميركيين انفسهم ، والشكوك التي تتناول على الفريق الفلسطيني الذي يدير العملية .

النوع الاول من الشكوك وارد على ان يقترن التنبية له لشروطين : الاول ، ان لا يصير عقدة تذكرو بالعقد التي طالما سدت سبيل الاتصال مع الاطراف الخارجية حين لم تتطابق مواقف تلك الاطراف كلية مع الموقف الفلسطيني . وهي عقدة تجاوزها العمل الفلسطيني منذ سنوات ، اي منذ اتجه للبحث عن الهوامش المشتركة ولم يضع التطابق الكامل شرطا للشروع في بناء علاقات الصداقة والتعاون مع الآخرين . والثاني ، ان لا تدفع المصاعب او الشكوك الى اليأس الكامل من العملية من اساسها ، وان يصبح سلاح الحذر هو البديل من التهيب الذي يسوغ العقود .

اما النوع الثاني من الشكوك فما أوهاما حين نأخذ بعين الاعتبار التجربة التي بينت ان المعنيين بها تعرضوا لمثلها عند كل مبادرة سياسية اقدموا عليها ، ثم انضح في كل مرة ان المبادرة اعطت ثمارها الايجابية لصالح الجميع . ونحن نتذكر ان الفرقاء الفلسطينيين كافة لا يلتقون على شيء بمقدار ما يلتقون على رفض السياسة الاميركية ، وان الاشد نشاطا من بينهم في مجابهة هذه السياسة هم الاكثر مبادرة في تكسير الاطواق التي حاولت الولايات المتحدة وجماعاتها ان تقيد المنظمة بها ، اذا اتفقنا على ان مقياس النشاط هو الاعمال المنجزة ، وليست الصيغ اللفظية والاقوال وحدها .

محمد عبد الرحمن

الاستيطان خلال سنتين من حكم الليكود

يشكل الاستيطان اليهودي في الأراضي العربية المحتلة ، إحدى الركائز الأساسية لتثبيت الاحتلال الاسرائيلي ، واجهاض المقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة ، إضافة الى محاولة تثبيت الامر الواقع أمام الرأي العام العالمي المناهض لسياسة الاحتلال ، وضم الأراضي عن طريق القوة .

ولقد اتبعت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، بعد حرب ١٩٦٧ ، سياسة استيطانية تعبر عن نفسها وفق مفهوم الاسرائيليين للأمن ، والحدود الآمنة التي يمكن الدفاع عنها ، وخاصة على الحدود الشرقية ، نظراً للعوامل الطبوغرافية والديمقراطية التي تتحكم في تلك الجبهة . وقد تركزت جهود بناء المستوطنات طوال السنوات العشر (١٩٦٧ - ١٩٧٧) على طول وادي الأردن ، ومداخل القدس ، ومناطق التماس على حدود الخط الأخضر (حدود الهدنة لعام ١٩٤٩) وفق ما يسمى بمشروع الون للحل الاقليمي الوسط مع الأردن .

ومع صعود الليكود الى الحكم باسرائيل في ١٧ أيار (مايو) ١٩٧٧ ، شهدت الأراضي العربية المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة تحديداً) نشاطا استيطانيا متواصلا . وطرحت مخططات ومشاريع عديدة ، تعكس جميعها نظرة الليكود لمستقبل الأراضي المحتلة ، خاصة الضفة الغربية ، التي يعتبرها جزءاً من أرض اسرائيل الكاملة ، يجب استيطانها والبقاء فيها .

وستعرض فيما يلي ، للنشاط الاستيطاني لحكومة الليكود خلال سنتين من الحكم ، مع ربط هذا الموضوع بالتطورات السياسية في المنطقة ، ابتداء من زيارة السادات لاسرائيل في ١٩ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ ، مروراً بمؤتمر كامب ديفيد ، وانتهاء بالتوقيع على معاهدة السلم المصرية - الاسرائيلية في ٢٦ آذار (مارس) ١٩٧٩ ، حيث يلاحظ زحمة المشاريع والمخططات الاستيطانية مع كل مرحلة من مراحل مسيرة التسوية ، بما يتلاءم مع تصور الحكومة الاسرائيلية لمستقبل الأراضي الفلسطينية المحتلة ، في اطار الحكم الاداري الذاتي المقترح .

برنامج ليكود الاستيطاني

دخلت كتلة الليكود الانتخابيات الاسرائيلية في ايار (مايو) ١٩٧٧ ، وهي تطرح جملة برامج ونظريات تتحدث عن « حق الشعب اليهودي في ارض اسرائيل » ، وهو حق « ابدى غير قابل للطعن » ، ومتماثل مع الحق في الامن والسلام * . أما الضفة الغربية فانها « لن تسلم الى اي حكم اجنبي » ، وبين البحر وبين الارض ستكون السيادة الاسرائيلية فقط * . واعتبر برنامج الليكود الضفة الغربية جزءاً من « ارض اسرائيل الغربية » معلناً ان الطعن في حق اسرائيل بهذه الارض يؤدي « بصورة غير مستبعدة الى إقامة دولة فلسطينية تشكل خطراً على أمن السكان المدنيين » ، وعلى وجود اسرائيل ، وتحبذ كل امكانية للسلام (١) .

ونصت اتفاقيات الائتلاف الحكومي ، التي وقعتها كتلة الليكود مع اطراف الائتلاف الأخرى ، على تصورات مشتركة لمستقبل الاستيطان اليهودي في الأراضي المحتلة . وأكد الاتفاق المشترك بين الليكود والمقدال على ضرورة « إقامة المستوطنات بناء على قرار صادر من الحكومة فقط ، وفق معايير صهيونية وامنية » (٢) . كما عرضت الليكود على الحركة الديمقراطية للتغيير (داش) ، أثناء المفاوضات لدخول داش الى حكومة بيغن ، صيغة بشأن مستقبل الأراضي المحتلة جاء فيها « دخول الكنيست الحكومة ، بموجب قانون ، تطبيق قضاء دولة اسرائيل ، وانظمتها ، وادارتها على ارض - اسرائيل بكاملها في مرسوم يحدد ذلك ، ولن يتم تطبيقها ما دامت هناك مفاوضات على معاهدات سلام بين اسرائيل والدول العربية .. وسيكون الامر مرتبطاً باختيار التوقيت الملائم ، وباعتبارات الحكومة السياسية ، وبمناقشة كاملة في الكنيست وبقرار منه » (٣) . وبعد النقاش الذي جرى بين الليكود وداش ، تمهيداً للاتفاق الائتلافي توصل الطرفان الى اتفاق محدد بشأن الاستيطان وراء الخط الاخضر ، وفق قرارات الحكومة فقط (٤) . وأكد أحد اعضاء قيادة داش أثناء المفاوضات « ان مواقف الليكود كانت متصلة في القضايا التالية : الاستيطان ومسألة تطبيق القانون الاسرائيلي في المناطق المحتلة ومؤتمر جنيف ، والحدود السياسية والحدود الأمنية » (٥) .

وبغض النظر عن الاعتبارات الكثيرة التي ابعثت التجمع (المعراخ) العمالي عن السلطة في اسرائيل ، وساهمت في صعود الليكود ، فإن مواقف الليكود المتصلة بالنسبة للاستيطان في الأراضي العربية ، كانت أحد العوامل التي أدت الى ارتفاع الأصوات التي حصلت عليها في الانتخابات ، في اماكن الاستيطان الجديدة بنسبة ٨٪ (٦) .

المعراخ والليكود : لا خلاف على الاستيطان

يحدد شمعون بيرس زعيم حزب العمل ، أكبر الشركاء في المعراخ ، الفرق بين نظرة حزبه ، ونظرة الليكود للاستيطان بقوله « بالنسبة لنا ، فإن الخطة الاستيطانية موجودة ، ولكن ما هو موجود لدى الليكود هي خطة بالنسبة ليهودا والسامرة وهذا هو أساس الجدل . ففي الليكود ينادون بضرورة تطبيق القانون الاسرائيلي على يهودا والسامرة وضمها [الى اسرائيل] ... هذا هو أساس الجدل بيننا وبين الليكود . والاعتقاد السائد هو ان الجدل يدور بين خطتين استيطانيتين ، وهذا أمر غير صحيح ، فالجدل هو بين خطتين سياسيتين » (٧) . ونظراً لأن الاستيطان هو « هدف قومي » يجب أن تلتقي عليه جميع الأطراف والتيارات السياسية ،

ينادي يسرائيل غليلي ، الرئيس السابق للجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ، بعدم معارضة الليكود في مجال الاستيطان ، ويدعو حزب العمل ، لان يكون عاملا ايجابيا بالنسبة للاستيطان . والا يكون في المعارضة في هذا المجال . والمهم بالنسبة له هو « كيف يمكن التأثير بالنسبة للاستيطان . أو عدم الاستيطان في الاماكن حسب ما يتفق عليه مع حزب العمل » (٨) .

وكان غليلي ، قد عرض أمام الجلسة الأخيرة لحكومة حزب العمل ، في ١٩/٤/١٩٧٧ ، « فلسفة وانجازات » حكومة العراق في المجال الاستيطاني ، فأوضح أن حكومة العراق اتبعت سياسة استيطانية مبرمجة منذ عام ١٩٧٤ ، وفق تصورها العام لحل مشكلة الأراضي المحتلة ، على أساس مشروع ألون ، المستند على الحل الوسط الاقليمي . ويجاد حدود يمكن الدفاع عنها، مع مراعاة عدم اثاره اي ضجة سياسية حول الموضوع. ويتصرف غليلي، ان الاستيطان نفذ في مناطق لم يعترف بها قانونيا على انها جزء من دولة اسرائيل ، ولذا لم يطبق عليها القانون الاسرائيلي ، وأصبحت هذه المستوطنات في نطاق الصراع لتأمين حدود يمكن الدفاع عنها (٩) . ولخص غليلي نتائج نشاط الحكومات السابقة في ميدان الاستيطان منذ حرب الأيام الستة بما مجموعه ٧٦ مستوطنة خارج الخط الأخضر ، و ١٢ مستوطنة داخله .

الليكود ، وغوش ايمونيم

فور اعلان نتائج الانتخابات العامة في اسرائيل سنة ١٩٧٧ ، وفوز الليكود فيها . أعربت جماعة غوش ايمونيم الاستيطانية عن سرورها لهذه النتيجة ، وعلنت أنه « لن يكون استيطان دون موافقة الحكومة ، بدون التنسيق الكامل معها » (١٠) ، على اعتبار أن مفاهيم الجماعة تلتقي مع مفاهيم الليكود حول « أرض - اسرائيل الكاملة » ، وضرورة الاستيطان اليهودي الواسع في جميع أرجائها . وعشية إعلان النتائج ، اجتمع ممثلو الجماعة من كل انحاء اسرائيل ، وأجروا تقييما للنشاطات القادمة على ضوء التغيير السياسي الذي حصل . وتقرر في الاجتماع توسيع حركة الاستيطان . ولكن ، هذه المرة ، بالتنسيق غير المتفظ مع الحكومة الجديدة برئاسة الليكود ، والبدء بالعمل في مجالات اخرى اضافية مثل مدن التطوير ، واقامة نوى يستطيع اعضاء غوش ايمونيم الانضمام اليها ، تمهيدا لاستيطانهم في مكان ما ، وتقرر كذلك ، التوجه الى خارج اسرائيل ، وخاصة الولايات المتحدة ، لحث الشباب اليهودي على الهجرة والاقامة في مستوطنات الضفة الغربية أو مدن التطوير . على ان يحضروا الى « المناطق التي يوجد فيها تحد فقط، حيث ان الإقامة بدون تحد في الولايات المتحدة ، اسهل بكثير للحياة » (١١) .

وجهت غوش ايمونيم نقدها الشديد لحكومة العراق السابقة ، لـ « تقصيرها » في موضوع الاستيطان في الضفة الغربية . ولكن الآن « وبعد نجاح الليكود في الانتخابات ، فانتنا مقتنعون بأن مشكلة الاستيطان قد حلت ، وأن المسألة الوحيدة القائمة الآن ، هي تحديد من يستوطن ، ومتى وأين » (١٢) .

وربطت غوش ايمونيم مسؤولية استيطان الضفة الغربية بالحكومة الجديدة ذاتها . لأن هذا هو الوضع الطبيعي . ودعت كذلك الى تنفيذ استيطان سريع في الضفة الغربية لأسباب سياسية « لأن السرعة في الاستيطان ، يقوي موقفنا في مسألة المساواة » (١٣) .

واقترحت على الحكومة خطة تفصيلية جاهزة للتنفيذ. فعل الأراضي القريبة من الرملة تقام مستوطنات ، بيت - ايل وشيلا والون موريه بالقرب من نابلس ، حيث تدعم المستوطنات الواقعة على اطراف السامرة . وستقام مستوطنة حواره جنوب نابلس ، وكذلك مسحة بالقرب من جنين ، وعلى بعد ١٢ كلم جنوبي دوتان .

وسارع ممثلو مستوطنات غوش ايمونيم (كلهار عتسيون ، وكريات أربع ، وعين تورييم ، وعين عارود) الى منزل بيغن لعقد اجتماع معه ، وتقديموا باقتراح لخطة استيطانية في مواقع مؤقتة في الضفة الغربية لصيف ١٩٧٧ . واحضروا معهم مشروعاً من ثمانية فصول وخارطة للضفة الغربية ثبت عليها ١٦ موقعا استيطانيا ، تمتد من اريحا حتى بيتح تكفا ، ومن الخليل حتى جنين . وفي نفس اللقاء ، عبر الحاخام ليفنجر لرئيس الوزراء عن رغبة جماعته في نقل مهمة الاستيطان في الضفة الغربية الى الحكومة ، لأن قوى غوش ايمونيم الضعيفة لا تستطيع تحمل هذا العبء وحدها . واجابه بيغن « انني مستعد منذ الآن ، لقبول هذه المهمة ، وانني انتقل الى الاستيطان بايجابية مطلقة ، وبإطار واسع في الضفة الغربية . وأن الوزارة برئاسة ستينزل جهوداً كبيرة في هذا الاتجاه . وسوف نقيم مستوطنات وقرى ، ومدنا في كل أرجاء أرض - اسرائيل بشكل عام ، وفي الضفة الغربية بشكل خاص » (١٣) . وفي الاطار ذاته ابلغ عيزر وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلي البروفسور اوري اليتسور ، أحد الناطقين باسم غوش ايمونيم ، انه ينظر بايجابية كبيرة « سواء للاستيطان في الضفة الغربية أو لاعمية التنفيذ بسرعة » (١٤) . وهكذا تقاملت غوش ايمونيم بقرب تحقيق احلامها الاستيطانية الواسعة . ولكن بمساعدة ودعم الحكومة هذه المرة .

الحكومة الجديدة ، ومشاريع الاستيطان

ومع تشكيل الحكومة الجديدة بزعامة مناحيم بيغن ، وفي ظل الجمود الذي كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط ، وتنقيحاً للالتزامات الليكود أمام الناخبين ، اعلن بيغن ان حكومته « ستواصل إقامة المستوطنات في الضفة الغربية . وبالرغم من ذلك ، لن يبعد أي عربي عن أرضه ، ولن نملك أي أرض . واذا استطعنا اتياع أراض نحتاجها لغرض الاستيطان فسوف نبتاعها . وانني أؤيد نمج اقتصاد اسرائيل باقتصاد الضفة الغربية من أجل التوصل الى مزيد من التفاهم » (١٥) . وأوضح بيغن ايضا ، انه لا يرى اي تناقض بين اصرار اسرائيل على حقها في « أرض - اسرائيل » وبين الوثائق الدولية ، بما في ذلك القرار ٢٤٢ .

وحدد موشي دايان وزير الخارجية ، امام موظفي وزارته ، النظرة الاسرائيلية لمستقبل الأراضي المحتلة بقوله ، إن اتفاق السلام مع الدول العربية لن يتحقق بواسطة التقسيم الجغرافي للضفة الغربية « بل بايجاد نهج حياة مشتركة في الضفة الغربية ، دون أن تطبق عليها السيادة الاسرائيلية من جهة ، ودون ضم أي جزء منها ، أو من قطاع غزة الى الاربن من جهة اخرى » (١٦) وطالب دايان ، ان يكون الاستيطان الذي سينفذ في المستقبل حقيقيا وليس تظاهريا . لأن الضفة الغربية « وطننا القديم وأود بقدر ما يتعلق الأمر بنا ، الا نعتبر غريبا هناك . ويجب على اليهود امتلاك الأراضي في تلك المناطق ، واقامة منازل ومستوطنات فيها ، بتخطيط وتوجيه من الحكومة » (١٧) . وحتى لا يشعر دايان بالغيرة في « وطنه » ، فانه يدعو الى

حل الصراع مع الفلسطينيين « بالعيش معهم وبالقرب منهم » ، أي بمعنى آخر ، استيطان ونهب الأراضي العربية المحتلة وضمها إلى إسرائيل .

ولدى تسلم شارون وزير الزراعة ، مسؤولية اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ، بدأ واضحا أن الحكومة الإسرائيلية تنوي القيام بنشاط استيطاني واسع . وحرص شارون على التأكيد على أن سياسة أي حكومة في إسرائيل ، مهما اختلفت اتجاهاتها الحزبية ، تأتي مكحلة لعمل الحكومات السابقة . وأعلن شارون أمام اجتماع الوكالة اليهودية في القدس « أن الحكومة ستنفذ مخططات الاستيطان التي بلورتها الحكومة السابقة . وسوف تضيف إليها مخططات خاصة بها . تعطي دفعة واسعة جدا لعمليات الاستيطان » (١٨) . ووعده شارون ، أنه سيرشح أمام اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان في اجتماعها الأول ، مشاريع للاستيطان ، يذاع بعضها على الملأ « ويبقى البعض الآخر سرا » وأكد أن المستوطنات الجديدة ، سوف تساهم في تشكيل حدود المستقبل وستقوم الحكومة الجديدة « بتنفيذ مخططات الاستيطان التي سبقت المصادقة عليها » (١٩) .

وفي لغائها الأول ، ناقشت اللجنة الوزارية للاستيطان (المكونة من شارون رئيسا ، وعضوية عيزر وايزمان ، وممثلين عن وزارات الحكومة ذات الصلة بموضوع الاستيطان ، وممثلين عن الوكالة اليهودية ، والمنظمات الصهيونية . ويبلغ عدد أعضائها ١٤ نصفهم من اللجنة السابقة) الخطط والقرارات التي صادقت عليها اللجنة السابقة ، وكان مشروع غوش ايمونيم الاستيطاني (٢٠) ، أول مشروع يطرح للنقاش أمام اللجنة ويتضمن إقامة ١٦ نقطة استيطانية في الضفة الغربية . تهيأ للسكن حتى نهاية الصيف . إضافة لأربع نقاط قائمة ، هي معاليه ادوميم وعوفره ، والون موريه وباريم . واقترح مشروع غوش ايمونيم أيضا ، تطوير مناطق الضفة الغربية ، بإقامة تجمعات من المستوطنات المترابطة والمتقاربة . حيث تقام حول مركز مدني كبير ، ونقل القوى البشرية اليهودية المتجمعة على الساحل للاستيطان في الضفة الغربية . ودعا المشروع إلى اتباع شكل جديد للاستيطان . سمي بالاستيطان « القروي الجماعي » وهو من اعداد « الحركة الاستيطانية المدنية الجديدة » التي كانت قد نشطت في وقت ما . وتوقفت عن نشاطها « بعد أن أغلقت أبوابها الحكومة السابقة » . ويعتمد بناء هذه المستوطنات على الطابع القروي من الناحية الاجتماعية والشكلية ، والمديني من الناحية الاقتصادية والعملية . وتحل مشكلة السكن في هذا الشكل من المستوطنات ، عن طريق إحدى الخيارات التالية: أ - منازل للأيجار وهي ذات ملكية عامة . ب - منازل ملكية خاصة . ج - تقديم قطع من الأرض للبناء الخاص .

أما بالنسبة للعمل ، فمن الممكن أن يعمل المستوطن داخل المستوطنة أو خارجها . وبماكانه أن يكون صاحب مصنع ، أو أجيرا في مصنع . ويمكن أن ينظم بعض المستوطنين في عمل جماعي ، مع التشديد على ضرورة أن يجد المستوطن مصدر رزقه في مكان إقامته .

وتعبيرا عن الجو المتطرف الذي خلقه صعود الليكود إلى الحكم ، فقد طرحت في هذه الفترة مشاريع استيطانية عديدة ، شاركت فيها كل الأطراف العاملة في مجال الاستيطان ، التقت جميعها على ضرورة توسيع الاستيطان ، ليشمل كل أرجاء الأراضي المحتلة . وإعادة توزيع السكان اليهود ، مع ربط هذه المستوطنات ، وبالتالي الأراضي المحتلة بإسرائيل .

مشروع رعانان فايتس

يدعو رعانان فايتس (رئيس شعبة الاستيطان في الوكالة اليهودية) الى استيطان من نوع جديد ، يعتمد على المستوطنات الصناعية الزراعية المختلطة . وأطلق على هذه المستوطنات اسم « العقد » وقسم فايتس مشروعه الى ثلاث مراحل : (٢١) ١ - المشروع الشمالي يبدأ من الناصرة جنوباً ، وحتى الحدود اللبنانية شمالاً . وستقام هناك ٥٠ مستوطنة زراعية تضم ١٢ ألف عائلة (٥٥ ألف نسمة) يعملون في المشاريع الصناعية ، والانتاج الزراعي التصديري . ٢ - المشروع الجنوبي ، وهو يشمل مثلثاً رأس زاويته الحدود الجنوبية لقطاع غزة ؛ وقاعدته منطقة حالوتسا في الجنوب ، ويتر السبع في الشرق ، حيث يقام فيه عدد من المستوطنات تستوعب ٢٠ ألف عائلة (١٥٠ ألف نسمة) ، والهدف تكوين سلسلة من المستوطنات بين مشارف رفح ويتر السبع . ٣ - الاستيطان على الخط الشرقي ، وهو الخط الممتد من الجولان شمالاً حتى طريق غور الأردن . ومن غوش عتسيون حتى عربة والنقب ، وسيبنى هناك ٥٣ قرية جديدة تدمج فيها الاعمال الزراعية مع المشاريع الصناعية ، بحيث يكفي الانتاج للاستهلاك المحلي والتصدير .

ويتطابق مشروع فايتس في تصوره لاحتمالات التسوية ، مع مشروع الون . فهو يعارض إقامة المستوطنات داخل المناطق الآهلة بالسكان العرب في الضفة الغربية (موقف حزب العمل) ويؤيد الاستيطان في المناطق التي لا يوجد فيها قرى عربية على خط الحدود الشرقي ، من الجولان شمالاً وحتى ايلات جنوباً ، لتصحيح جزءاً لا يتجزأ من اسرائيل .

مشروع العمود الفقري المزدوج لشارون

ينطلق مشروع شارون الاستيطاني (٢٢) من فرضيات أساسية هي ، ١ - ان اسرائيل قائمة من أجل جمع الشعب اليهودي ، لذلك فان كل خطة للمدى الطويل ، يجب ان تأخذ بالاعتبار السكان الذين سيبلغ عددهم من ٦ - ٨ مليون يهودي كحد أدنى حتى نهاية القرن . ب - تحتاج اسرائيل لانتشار مادي واسع ، ليس للأسباب الدفاعية الحالية فقط ، وإنما من أجل التطورات على المدى البعيد . ج - يجب وضع الشباب اليهودي امام التحديات بعيدة الأثر ، لتزويده بالدافع للنشاط القومي ، كيلا يتفوق علينا الفلسطينيون في هذا المجال وخلال وقت قصير نسبياً ، (٢٣) .

ويهدف مشروع شارون (العمود الفقري المزدوج) الى نشر الاستيطان على خطين متقابلين ، لهما وصلات طولية ، ووصلات عرضية ، وهما الشريط الساحلي ، والشريط الشرقي ويشتمل المخطط التفصيلي للمشروع على ما يلي (٢٤) : ١ - إقامة ثلاثة مراكز مدنية على مدخل القدس هي ، جفعون ، معاليه أدوميم ، افرات (بين الخليل وبيت لحم) حيث تشكل هذه المراكز دافعاً مدنياً ثابتاً عن القدس . ٢ - يوجد اليوم في منطقة « المثلث الصغير » على حدود الضفة الغربية ، الذي يبدأ في وادي عاره ، وينتهي بكفر قاسم بالقرب من بيتح تكفا ، سكان عرب يقدر عددهم بـ ٦٥ ألف نسمة ، وهذا ناتج عن الغاء حدود الخط الأخضر بعد حرب ١٩٦٧ . ولنح استمرار هذا الاتصال العربي ، نقرر استيطان قطاع يمتد عدة كيلومترات في المنطقة التي تضم اقلية عربية . وسيقام هناك تشكيل كثيف من المستوطنات الاسرائيلية ، ليربط الساحل المأهول بالسكان اليهود مع القطاع الجديد . ٣ - في وادي الأردن ، سيسبق

طريق عريض يطلق عليه اسم طريق « حوتسيه شويمرون » ، ويمر عبر السامرة . ٤ - نظراً لأن نهر الأردن ، يشكل الحدود الاسرائيلية الآمنة شرقاً (كما جاء في المشروع) ، لذلك سيشتق طريق يربط منطقة تل - ابيب بوادي الأردن حيث تقام عليه معسكرات للجيش ، ومشاريع صناعية ، ومستوطنات ذات أحجام مختلفة ، وستقام مجموعة مستوطنات تربط مع كريات اربع ، والى الشمال من الخليل سيبنى مركز مديني كبير في اقرات لاكمال سلسلة المستوطنات اليهودية على مداخل القدس . ٥٠ - وسيبنى في المنطقة الشمالية للضفة الغربية ، مركزان مدينيان . أحدهما في سهل دوتان ، أقصى الشمال من حارس بالقرب من السامرة ، وتنتهي سلسلة المراكز المدينية هذه في جفعون .

ومن الواضح أن تنفيذ هذا المشروع يتطلب أعدادا كبيرة من المستوطنين ، ويمكن تلخيص أهداف شارون الاستيطانية من هذا المشروع بتوسيع المستوطنات اليهودية على مداخل القدس ، وإقامة شبكة من المستوطنات في المنطقة الممتدة غربي خط جنين - نابلس - الرملة ، للفصل بين عرب الضفة الغربية وعرب ١٩٤٨ . وكذلك ربط الضفة الغربية مع إسرائيل بشبكة من الطرق تمتد من البحر غرباً وحتى غور الأردن شرقاً .

مشروع الليكود

أعد المشروع طاقم من أعضاء الليكود في الكنيست برئاسة يفتال كوهين . ويهدف المشروع لإقامة مدن وقرى وراء الخط الأخضر . وكان قد طرح للنقاش في وزارة الزراعة في شهر تموز (يوليو) ١٩٧٧ . وحسب المشروع (٢٥) ستقام في السامرة ثلاث مدن ، الأولى بمنطقة مسحه شرقي بيتح تكفا ، والثانية في منطقة بيت شيرا ، على الخط شمالي القدس - تل ابيب ، وتقع الثالثة في منطقة ال شرق من الطيبة على طريق طولكرم - قلقيلية ، بحيث تستوعب كل مدينة ٢٠,٠٠٠ نسمة ، إضافة لذلك ستقام في السامرة ثلاث مستوطنات زراعية جماعية ، تستوعب كل واحدة ثلاثة الاف نسمة .

وستقام في يهودا ثلاث مدن هي جفعون وتكواع ومعالیه أدوميم ، تستوعب كل مدينة ١٥,٠٠٠ نسمة . بالإضافة الى ثلاث مستوطنات هي ، عوفره والون شافوت ، وواحدة في منطقة معاليه أدوميم . وتعزز كريات اربع بـ ٥٠,٠٠٠ وحدة سكنية لكي تستوعب ١٥٠,٠٠٠ نسمة . ويعترف مخططو المشروع ، أن مصادر الرزق غير متوفرة في نفس مكان الإقامة لسكان المستوطنات الجديدة ، وسوف يستمر المستوطنون بالعمل في نفس الأماكن الحالية ، حتى يتم قيام صناعة جديدة في المنطقة . كما يتحدث المشروع عن إقامة شبكة من الطرق تربط المستوطنات والمدن الجديدة مع إسرائيل .

وعندما حاولت بعض الأوساط الحكومية تأجيل مناقشة الحكومة للمشروع ، حتى عودة بيغن من زيارة واشنطن (تموز - يوليو - ١٩٧٧) رد كوهين على ذلك معارفاً ، لأن مساعي الليكود في الاستيطان واضحة ومعروفة ، ولا داعي لتجاهل حقيقة أن الليكود أخذ اصواتاً كثير من الناخبين بعد أنجازاته السياسية والأمنية ، ونظريته في استيطان كل أرض إسرائيل (٢٦) .

وفي مجال التنفيذ العملي لمشروع الاستيطان ، اتخذت اللجنة الوزارية المختصة (٢٧) برئاسة شارون في آب (أغسطس) ١٩٧٧ ، قرارا باقامة مستوطنة مدينية في معاليه ادوميم ، ستبنيها وزارة الاسكان . وستطور الون موريه ، وعوفره الى قرى صناعية تشرف عليها دائرة الاستيطان في المنظمة الصهيونية .

وأعطي الضوء الاخضر ، في الجلسة الثانية للجنة الوزارية للاستيطان ، لاقامة ثلاث مستوطنات وراء الخط الاخضر ، كانت الحكومة السابقة قد صادقت عليها في ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٧٧ ، وهذه المستوطنات هي : (٢٨)

١ - تسورناتان ب ، وتقع على طريق بيتح تكفا - قلقيلية . ٢ - ياتير . وتقع جنوبي الخليل (على طريق بئر السبع) وستقيم فيها نواة تابعة لغوش ايمونيم . وذكرت سكرتاريا الجماعة ، ان موقع هذه المستوطنة موجود في مشروعها المقدم للحكومة . ٣ - مغوا حورون أ ، وهي قريبة من اللطرون . وستقيم فيها نواة من حزب عمال اغودات اسرائيل . ووافقت اللجنة كذلك على اقامة مستوطنة ، تلمي يوسف في مشارف رفح (ضمن اطار المشروع الجنوبي لاقامة ١٢٠ مستوطنة زراعية في النقب حتى نهاية القرن) .

واستكمالا لخطوات الحكومة الاسرائيلية في سياسة الضم واللاحاق للأراضي المحتلة ، فقد اتخذت قرارا بتاريخ ١٦/٨/١٩٧٧ ، يقضي بمساواة الخدمات العامة في الضفة الغربية وغزة مع مثيلاتها في اسرائيل . وأوضح مزبخاي تسيبوري نائب وزير الدفاع اسباب اتخاذ هذا القرار بقوله ، ان الحكومة الاسرائيلية « سوف تتبع سياسة جديدة ، وفي نيتها البقاء في المناطق لفترة طويلة . لذلك فانها معنية بحقيقة تحسين مستوى الخدمات للسكان » (٢٩) . وقد ربطت الاوساط الاسرائيلية هذا القرار ، بخلفية التحركات السياسية في تلك الوقت ، والتي بدأتها واشنطن لاجراء حل لمسألة الوطن الفلسطيني . حيث كان هدف الحكومة الاسرائيلية ابلاغ الادارة الامريكية ، انه فيما يخص « مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، فان اسرائيل ستكون عنصرا فاعلا . ولا يمكن حل مشاكل هذه المناطق دون موافقتها » (٣٠) .

لعبة « الاستغماية » في استيطان معسكرات الجيش

بعد عودة بيغن رئيس الوزراء من زيارته لواشنطن في تموز (يوليو) ١٩٧٧ ، وعلى اثر نشر قرارات اللجنة الوزارية للاستيطان بشأن اقامة عدة مستوطنات في الضفة الغربية ، اثارته الادارة الامريكية ضجة حول هذا الموضوع ، بدعوى ان اقامة المستوطنات تشكل عائقا امام السلام . وكشف ايا ايبن ، وزير الخارجية الاسرائيلي السابق ، مدى هامشية هذا الموضوع « لأن الحكومات السابقة ، لم تأخذ الخط الاخضر كخط مقدس ولقد اقمنا نحن ايضا (يقصد حكومة حزب العمل) عددا من المستوطنات وراء هذا الخط » (٣١) .

ورغم أن بيغن أعلن في مستوطنة الون موريه ، رداً على الانتقادات الامريكية لحكومته ، أنه « سيكون في المستقبل كثير من الون موريه » (٣٢) ، إلا أنه عاد وأبدى بعض المرونة . وللتخلص من هذا الوضع سارت الحكومة في طريق «لعبة الاستغماية» من أجل « تهدئة جماعة غوش ايمونيم من جهة ، ومنع المواجهة مع واشنطن من جهة ثانية » (٣٣) . وفي اطار هذه اللعبة ، تقرر أن تستوطن نوى غوش ايمونيم داخل معسكرات الجيش . وحاولت جماعة

أيونيوم ، وحركة ارض - اسرائيل الكاملة معارضة القرار ، إلا أن بيغن جمع معتليهم (حنان يورات ، تسفي سلونيم ، غرشون شافت) بحضور أريئيل شارون ، وبين اليسار مدير مكتب رئيس الوزراء ، وأبلغهم بصورة حازمة ، أنه « لن يكون استيطان في هذه الأيام ، وهذه ليست الساعة المناسبة لذلك » (٣١) . وتراجعت غوش أيونيوم عن موقفها ، وأعلنت أنها توافق على تعريف الاستيطان المؤقت بأنه استيطان « آمني » وستقام المستوطنات في معسكرات الجيش الأردني المهجورة ، ومعسكرات الجيش الإسرائيلي . وقد فهم أعضاء سكرتارية غوش أيونيوم من ذلك ، أن الحكومة أعطتهم « الضوء الأخضر لاقامة ١١ مستوطنة جديدة » (٣٥) . وهذه المستوطنات هي (٣٦) ، ١ - دوتان ، تقع على طريق جنين - نابلس . وهي تشكل محوراً استراتيجياً هاماً . وسوف تقيم فيها ٢٠ عائلة ، عدد أفرادها ١٢٠ نسمة . ٢ - جنوب دوتان ، حيث يوجد معسكر للمركبات في منطقة سبسطية ، وستقام هناك مستوطنة شومرون ، في نقطة تقاطع طريق نابلس - جنين مع طريق نابلس - طولكرم . ومعظم أعضاء النواة من سكان ناتانيا ، ويبلغ عددهم ١٥٠ نسمة . ٣ - كرني شومرون ، وتقع بين مسحه والون موريه على طريق قلقيلية - نابلس . وهي تسيطر على جميع المنطقة بين ناتانيا ويبتح تكفا ، وعدد أعضائها ٢٥٠ نسمة . ٤ - وستقام حارس الى الجنوب من كرني شومرون ، يقيم فيها نواة من عمال الصناعات العسكرية . ٥ - الى الشرق من محور الرملة - نابلس ، الى الشمال من القدس د - ٤٠ كلم ، ستقام شيلا ويبلغ عدد أعضائها ٨٠ نسمة . ٦ - النبي صالح ، وتبعد ١٢ كلم غربي طريق نابلس - القدس ، ويبلغ عدد النواة ٢٠٠ نسمة . ٧ - بيت - ايل ، معظم أعضاء النواة من القدس ، يبلغ عددهم ٢٠٠ نسمة ، وسيقام فيها مركز تعليم ديني ومصانع متطورة . ٨ - بيت حورون ، وهي موقع تاريخي واستراتيجي تبعد ١٧ كلم عن القدس ، و٢٠ كلم عن مطار اللد . وقريبة من الطريق الرئيسية بين اللد والقدس ، ويبلغ عدد أعضائها ٣٠٠ نسمة . ٩ - جفعون ، وتبعد ٥ كلم عن طريق القدس - نابلس ، و١٢ كلم عن القدس ، ومعظم أعضائها علمانيون من القدس . ويبلغ عدد أعضائها ٤٠٠ نسمة وستقام فيها مشاريع صناعية . ١٠ - يريحا (اي أريحا) ويبلغ عدد أعضائها ٢٠٠ نسمة ، سيعملون بالزراعة والسياحة على طول ساحل البحر الميت . وستكون مركزاً للمستوطنات التي ستقام الى جانبها ، ١١ - ترنساء ، وتقع شرقي نابلس . لكن النواة المخصصة لها لم تتكون بعد .

وحقيقة الأمر ، أن المشكلة في إقامة المستوطنات في تلك الفترة . ارتبطت مع محاولة البحث عن مخرج للطريق المسدود الذي وصلت اليه أزمة الشرق الأوسط . ومحاولة بيغن اظهار نفسه وكأنه أقل طرفاً من الحكومة السابقة . وقد حدد سالونيم « المتحدث الرسمي » باسم غوش أيونيوم ، أن عنصر الخلاف مع بيغن بالنسبة للاستيطان هو « من ناحية التوقيت فقط » (٣٧) . والتقى هذا الاعلان مع تصريح لموظف بارز مقرب من رئيس الوزراء الذي قال « ان حكومة بيغن ، وغوش أيونيوم على اقتناع مشترك ، ان المشكلة هي في التوقيت وليس المبدأ ، وفي الأساس فان غوش أيونيوم ، ورئيس الوزراء متفقان على انه يجب استيطان الضفة الغربية ، سواء في مناطقها المأهولة بالسكان أو الخالية منهم » (٣٨) والأمر الذي طمأن غوش أيونيوم هو أن مستوطنتي كريات اربع ، والون موريه ، اقيمتا أيضاً في معسكرات الجيش ولكنهما أصبحتا بعد ذلك من المستوطنات الدائمة .

وفي هذا السياق ، خصصت وزارة الدفاع بعض معسكرات الجيش في الضفة الغربية ، لاقامة نوى غوش ايمونيم فيها بشكل مؤقت ، ريثما يتم تحويلها الى مستوطنات دائمة . وقد عدد مرديخاي تسيبوري نائب وزير الدفاع المعسكرات التالية لاقامة المستوطنات داخلها وهي (٣٩) : أ - معسكر يوسف ، بالقرب من عين باره . ب - معسكر سانور ، على طريق جنين - سبسطية ج - معسكر النبي صالح ، غربي الرملة . د - معسكر جلعون . هـ - معسكر بيت - ايل . و - معسكر حورون .

وأكد تسيبوري ، ان هذه المواقع ستتحول الى مستوطنات دائمة ، بعد ان يخليها الجيش الاسرائيلي . وان اللجنة الوزارية للاستيطان ستطلب ميزانية اضافية بقيمة ١٠٠ مليون ليرة لتنشيط مشروع الاستيطان .

وقد فضحت النقاشات التي جرت حول هذا الموضوع حقيقة المعاني السياسية وراء هذا القرار (قرار الاستيطان داخل معسكرات الجيش) فقد ذكر اللواء احتياط يشيعياهو غافيش ، ان العادة جرت على قيام شباب الناحال العسكرية بعمليات الاستيطان ، وهي جزء من الجيش ، ولكن هذه هي المرة الأولى التي « اُسمع فيها عن اقامة مستوطنات ناحال بواسطة اشخاص ليست لهم علاقة بالجيش ، ولا بالناحال ، ولا يشكلون مجموعة سياسية منجاسة » (٤٠) . وتساءل غافيش أخيراً ، عن الحال الذي سيكون فيه الانضباط العسكري مع « مجموعة من النساء والأطفال » .

أما موشي اندس ، رئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست (ليكود) ، فقد اعترف بحقيقة الظروف السياسية الخارجية التي فرضت استيطان غوش ايمونيم داخل معسكرات الجيش ، تلك الظروف « المتعلقة بمؤتمر جنيف والفضايا الأخرى » (٤١) .

والنتيجة ، أن لعبة الاستيطان داخل معسكرات الجيش ، سوف تتم على حساب الأراضي العربية المحتلة . لأن الجيش الاسرائيلي حسب رأي تسيبوري « يجب أن يبحث عن اماكن جديدة في الضفة الغربية . وأن الاماكن الملائمة لمعسكرات الجيش هي الأراضي الحكومية ، ويجب ان تصادر الأراضي من السكان العرب » (٤٢) . كما أن هذا الاسلوب الاستيطاني كان ملائماً لواشنطن من أجل تحريكها السياسي . في ذلك الوقت ، وهي لم تثر أي ضجة مفتعلة . كما هي العادة ، لأنها حسب ما ذكره مصدر حكومي اسرائيلي ، كانت تعلم « ان اسرائيل تنوي اقامة مستوطنات داخل معسكرات الجيش وأن الإدارة الامريكية موافقة على ذلك » (٤٣) .

الاستيطان وزيارة السادات

مع زيارة السادات لاسرائيل في ١٩/١١/١٩٧٧ ، وما تبعها من جهود سياسية متواصلة ، لعقد معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية ، نزل النشاط الاستيطاني في الأراضي المحتلة سابقاً مع الزمن ، لتثبيت الأمر الواقع من خلال زرع المستوطنات اليهودية فيها . وتجسد هذا النشاط في المشاريع الاستيطانية العديدة التي بدأت تطرح لتلائم مستقبل التسوية المحتملة . وأكد مشروع السلام الذي طرحته حكومة بيغن أمام الكنيست في ٢٨/١٢/١٩٧٧ النوايا الاسرائيلية الحقيقية في الحفاظ على الوجود اليهودي الاستيطاني داخل الأراضي العربية . ويرى دايمان ان اسرائيل لن تتخلي عن المستوطنات « ولقد اتخذنا كل الوسائل

الواضحة لكي نضمن ، ليس فقط بقاء المستوطنات ، وإنما المحافظة عليها ، وربطها مع إسرائيل ، وسيبقى الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية الى الأبد» (٤٤) .

وفي جلسة مجلس الوزراء الإسرائيلي ، التي عقدت بعد عودة بيغن من زيارته للاسماعيلية في ١٢/٢٦/١٩٧٧ ، طالب شارون بالبدء في تنفيذ استيطان واسع ، ولخص خطته في ثلاثة قرارات (٤٥) ١ - بناء ثلاث مستوطنات في الضفة الغربية خلال ثلاثة اشهر هي ، حارس ، تبوح ، سيلات أ . واقتراح اقامة مستوطنة في شيلا ، (لكن الاقتراح رفض بعد ان قرر المستشار القانوني للحكومة ، انه لا توجد في شيلا اراض كافية ، وجرى الاحتيايل على هذا الموضوع باقامة معسكر للحفريات الأثرية لتغطية الاستيطان هناك) . ٢ - بقرار الاحتفاظ بالمستوطنات في مشارف رفح وتوسيع الأراضي للعمل ، وزيادة السكان . ٣ - اقامة ستة أبراج للحفر في سيناء ، وهذا مشروط بموافقة المصريين .

كما ان الحكومة عادت وأكدت على هذه القرارات في جلستها بتاريخ ١٨/١/١٩٧٨ ، بتعديل بسيط ، فيما يخص مستوطنات مشارف رفح ، حيث عارض وايزمان هذا القرار من أجل عدم غضاب المصريين ، ولكنه أوضح فيما يتعلق بالضفة الغربية « أنه لا يوجد في الحكومة من يخالف حقنا على هذا القطاع ، ومعارضتنا إقامة دولة فلسطينية ، ويجب اقامة المستوطنات فيها ، وعدم الاهتمام بالضعفوطات من أي جانب» (٤٦) ، وانفقد وايزمان الاستيطان التظاهري ، مطالباً ببناء المستوطنات « بصورة منظمة ، واقامة استيطان حكومي ، لضمان قاعدة ملائمة للمستوطنين الجدد والسكان العرب ايضاً ، وعدم الاكتفاء بمواقع متفرقة ، والتي تنقصها القوى البشرية» (٤٧) .

السلام حافز مهم لزيادة مشاريع الاستيطان

على ارضية مشروع السلام الإسرائيلي ، المتضمن وضع الأراضي المحتلة تحت سلطة ادارة ذاتية برعاية اسرائيلية كاملة ، طرحت مشاريع ومخططات استيطانية عديدة . وعالجت تلك المشاريع ، مشاكل وازمات الاستيطان واسباب فشله ، وطرق واساليب العمل مستقبلاً ، لكي يحقق الاستيطان الصهيوني في الأراضي المحتلة أهدافه كاملة . وانطلقت مشاريع الاستيطان في تلك الفترة من فرضيات اساسية هي ، ان مسيرة السلام التي بداها السادات بزيارته لاسرائيل ، ستوصل الى حل وسط يرتبط بمبدأين : ١ - ان المصريين لن يتنازلوا عن حقوق الفلسطينيين . ٢ - ان اسرائيل لن تتنازل عن التجريد الكامل والمضمون للمناطق التي يتم الجلاء عنها . وهذا التجريد لن يكون قابلاً ومضموناً بشكل كامل بالضفة الغربية وقطاع غزة ، الا عن طريق استيطان يهودي ، دائم ، وكثيف على امتداد غور الأردن ، ومنطقة مشارف رفح» (٤٨) .

كما تنطلق تلك المشاريع ، من خلال التوقعات ، ان الحل السياسي لمشكلة الأراضي المحتلة خلال السنوات الانتقالية الخمس التالية يكون وفق احد الاحتمالات التالية : ١ - اتفاق مع حكومة الأردن . ٢ - دولة فلسطينية غربي الأردن . ٣ - نظام جمهوري فدرالي مع اسرائيل .

وتربط هذه المشاريع مستقبل الأراضي المحتلة ، بإقامة علاقات اقتصادية مع إسرائيل ، وتبادل المنتوجات والخدمات ، وربط شبكات المياه والكهرباء بين إسرائيل والضفة والقطاع . كما ستكون السنوات الخمس القادمة حاسمة في « تشكيل حدود إسرائيل » من خلال حسم موضوع مستقبل الحكم الذاتي . وفيما يلي عرض لأهم المشاريع الاستيطانية التي طرحت لتتلائم مع مشروع السلام الإسرائيلي .

١ - مشروع رعان فايتس : جاء مشروع فايتس ليكمل (حسب قوله) تصوره لمستقبل الأراضي المحتلة وفق مشروع الحكم الذاتي ، والمقرر تنفيذه خلال خمس سنوات . وهذا يستلزم وضع « مشروع رئيسي للاستيطان الريفي ، والمديني »^(١٦) .

يدعو فايتس ، الى تجديد فكرة الاستيطان ، والتعامل مع المعطيات القائمة (الأرض ، المياه ، المناخ) . وهذا يتطلب التخلي عن إقامة مستوطنات ريفية متفرقة ، بل جمعها في مجموعات ، تشكل كل واحدة منها منطقة اقليمية . ويمكن اعتبار المناطق التالية ذات أولوية :
 أ - غور الأردن ، يجب ان تحظى هذه المنطقة بالأولوية ، لأن كل تسوية سياسية يجب ان تستند الى وجود منطقة « استيطانية عازلة » في هذا القطاع الذي يشكل « جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل » . ويفضل إقامة هذه المنطقة العازلة نستطيع الموافقة بقدر معين من الطمأنينة على مبدأ حق سكان الضفة الغربية في تقرير المصير . ب - قطاع يميم : وتشبه مهمة المستوطنات في هذا القطاع مهمة مستوطنات غور الأردن ، من أجل منع ايجاد اتصال بري بين مصر وقطاع غزة . ج - الجليل الجبلي ، يجب المحافظة على اكثرية يهودية ساحقة في هذه المنطقة ، مع الأخذ بالاعتبار ، نوايا سوريا البعيدة من جهة ، ومطامح العرب في إسرائيل « المعروفة والمقهومة » من جهة اخرى . « وقد وضعت منطقة الجليل في المرتبة الثالثة خلال فترة السنوات الخمس ، نظراً لضغط الوقت ، وضرورة اتمام هذه المهمة [الاستيطان] في غور الأردن ، وقطاع يميم خلال هذه الفترة ويجب ان يتخذ تهويد الجليل منذ اليوم زحماً خاصاً . وأن يتصدر سلم الأولويات بعد انتهاء فترة السنوات الخمس »^(١٧) . د - تكثيف الاستيطان داخل الخط الأخضر ، وهذا سيتم خلال الفترة الانتقالية للحكم الذاتي . وسيقوم هذا الاستيطان بدور الفاصل الدائم بين سكان إسرائيل وسكان المناطق .

ويميز فايتس بين الاستيطان الريفي ، والاستيطان المدني . ففي حين أن الاستيطان المدني مفتوح ، حيث يواجه كل فرد حياته كما يشاء ، فان الاستيطان الريفي يقوم على مبدأ التعاوني . وينبغي ان يصل عدد سكان المستوطنة المدنية الى عدد معين . فالعامل المقيد بالنسبة للمستوطنات المدنية اذن ، هو الطاقة البشرية . ويقترح حلاً لهذه المسألة عن طريق اعادة توزيع السكان اليهود الذين يتجمعون على الساحل وفي وسط البلاد . ويحدد المشروع سلم اولويات للاستيطان المدني يشمل ١ - تهويد الجليل ، والمهمة الأساسية هنا زيادة السكان في المدن الصغيرة مثل ، صفد ، كرمئيل ، شلوجي ، حنصور ، كريات شمونة ، الناصرة . ٢ - تطوير القدس ، وبذل الجهود لإقامة توازن بين السكان اليهود والعرب ضمن حدود المدينة . وايجاد ترابط ، وامتداد اقليمي بين اجزاء المدينة ، وتطويرها من خلال تدعيم المنشآت الأساسية فيها . ٣ - المدن الحدودية ، وهي المدن التي اقيمت في مناطق الحدود ، وتشكل مراكز اقليمية (كاتسرين في مرتفعات الجولان ومعاليه اقرام في غور الأردن واللون شافوت في

غوش عتسيون يميمت في مشارف رفح ، ومركز سابير في العربة) من الضروري تطويرها الى مستوطنات مدينية من جميع النواحي . ٤ - تعزيز مدن الاعمار . ويوجد منها ثلاثون مدينة ، وقد فشلت هذه التجربة لاسباب عديدة ، اقتصادية واجتماعية ، ويرتبط مستقبل هذه المدن مع توفير الطاقة البشرية المطلوبة خلال السنوات الخمس القادمة (٥١) .
ويتوصل فايتس الى استنتاجات محددة هي ، ان قوى الاستيطان لا تكفي حتى المشروعات التي تنصدر سلم الأولويات . على الرغم من عدم الوصول الى الحجم المطلوب في المراكز المدينية للحفاظ على تطورها العادي . وأن سياسة الحكومة الخاصة بتوزيع السكان غير كافية ، ويتعذر تنفيذها ، وهي بحاجة الى اعادة نظر واستخدام وسائل اكثر فاعلية وعملية .

ويتضمن المشروع العملي لفايتس ، اقامة المستوطنات التالية (٥٢) خلال السنوات الخمس القادمة . في المرحلة الاولى ، ستقام ٢٠ مستوطنة كل سنة ابتداء من عام ١٩٧٩ ، وحتى نهاية الخمس سنوات . تكون الافضلية فيها لـ ١٧ مستوطنة اضافية في غور الأردن (اضافة للمستوطنات القائمة الآن وعددها ٢١) و ١٤ في قطاع يميمت ، و ٢٠ في الجليل ، و ١٦ على طول الخط الاخضر وخاصة في منطقة وادي عارة ، والمثلث الصغير الممتد حتى جبل الخليل ، لتقوية الاستيطان اليهودي في هذه المناطق .

وفي المرحلة الثانية ، ستقام ١١ مستوطنة في الجولان ، و ١٠ في اطار المشروع الجنوبي ، و ٨ في منطقة عربة ، و ٦ في النقب ، وتبلغ مجموع الاستثمارات المطلوبة لهذه المشروع ١٢,٣ مليار ليرة .

٢ - مشروع وزارة الدفاع أو « مشروع وايزمان » : تقدم بالمشروع اللواء ابراهام شامير ، رئيس شعبة التخطيط في الأركان العامة ، الى لجنة الاستيطان المشتركة بين الحكومة والمنظمة الصهيونية . وهو يستند الى فكرتين رئيسيتين : أ - تكثيف الاستيطان حول القدس ، لتكريس الطابع اليهودي لها . ب - تقليص التداخلات مع السكان العرب بواسطة شق خطوط اتصال ، تربط المراكز المدينية المقترحة في منطقة السهل مع السامرة . وتربط القدس مع المراكز المدينية الثلاث التي ستقام في منطقتها .

وطبقا لما جاء في المشروع (٥٣) ، ستقام في الضفة الغربية ستة مراكز مدينية ، ثلاثة في يهودا (جفحون ، معاليه الدوميم ، الفرات) مخصصة لحاجات الاستيطان في منطقة القدس . وستقام المراكز الثلاثة الأخرى في السامرة (حارس ، كرني شومرون ، النبي صالح) ، تحدد مواقعها الى الغرب من السامرة « لاتاحة امكانية المفاوضات » على مستقبل المنطقة الواقعة شرقي السامرة .

ورغم ان هذه المستوطنات قائمة فعلا (ما عدا الفرات) على شكل نقاط استيطانية مؤقتة تابعة لغوش ايمونيم ، فان المشروع يهدف الى توسيعها ، واجراء تغييرات هامة عليها لتتحول الى مراكز مدينية ، لان امكانيات غوش ايمونيم ضعيفة « ولا تستطيع توفير عدد كبير من الافراد . وأن مستوطناتهم صغيرة وبعيدة عن مراكز السكان في اسرائيل ، وهي لذلك تعاني من مشاكل الحصول على مصدر رزقها » (٥٤) .

٣ - مشروع (العشرة الاف) : عرض هذا المشروع على رئيس الحكومة مجلس مستوطنات الجولان ، وهو يقترح استيطان الجولان ، خلال سنتين بنحو ١٠٠,٠٠٠ مستوطن يهودي (مقابل ٤٠٠٠ اليوم) ، وزيادة الانتاج الزراعي من ٢٧٢ مليون ليرة عام ١٩٧٨ الى ٦٠٠ مليون ليرة عام ١٩٨٠ . كما يهدف المشروع الى تكثيف المستوطنات على طول المرتفعات ، وزيادة الاراضي الزراعية من ٦٧,٠٠٠ دونم الى ١١٥,٠٠٠ دونم خلال نفس الفترة .

٤ - مشاريع اخرى : ومن بين المشاريع الأخرى التي طرحت في تلك الفترة ، خطة إقامة ١٤ مستوطنة^(٥٥) في منطقة الجليل ، وعربيه في النقب الجنوبي ، خلال عام ١٩٧٨ ، تشترك في تنفيذها الحكومة مع المنظمة الصهيونية .

وأعلنت غوش ايمونيم ، انها بصدد وضع خطة للاستيطان في الضفة الغربية ، لزيادة السكان اليهود ، ليصل الى مليون نسمة خلال ٢٥ سنة «(٥٦)» ، والهدف من تلك الوصول الى تفوق في نسبة السكان اليهود على العرب ، بالاعتماد على هجرة العرب من الضفة الغربية (تقدر المصادر الاسرائيلية عدد المهاجرين من الضفة الغربية بـ ٢٠,٠٠٠ نسمة سنوياً) ، وهجرة يهودية معاكسة الى المنطقة .

والواضح من كل المشاريع السابقة ، ان النشاط الاستيطاني ، دخل مع التحركات السلمية بعد زيارة السادات لاسرائيل ، طوراجديداً . ومهما اختلفت أو تعارضت بعض الآراء والمشاريع ، فان جميع المهتمين بشؤون الاستيطان في اسرائيل يلتفون على ضرورة استيطان الاراضي المحتلة بشكل عام ، والضفة الغربية وقطاع غزة بشكل خاص سواء لمنع عودتها (حسب صيغة شارون) أو سواء لمنع عودة معظم اراضيها (حسب صيغة وايزمان) .
الاستيطان وكامب ديفيد

في الوقت الذي كانت تجري فيه الاستعدادات ، لعقد مؤتمر كامب ديفيد في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ ، أعلنت اسرائيل عن إقامة خمس مستوطنات في غور الأردن ، واعتبرت الادارة الامريكية هذا الاعلان بمثابة عرقلة للمفاوضات الجارية بشأن السلام . والواقع ، ان الحكومة الاسرائيلية كانت تريد من وراء اعلانها عن إقامة المستوطنات ، التأكيد على حقها في الاستمرار باستيطان الضفة الغربية ، وانها « ليست عقبة في طريق السلام » . وان تلك المستوطنات برأي بيغن ، هي جزء « من مشروع السلام الاسرائيلي ، ولا تشكل عائقاً أمام السلام »^(٥٧) . وقد حسمت الحكومة الاسرائيلية موضوع المستوطنات الخمس ، بإعلانها ان قرار اقامتها هو قرار تابع عن ضرورات أمنية .

وعلى اثر أزمة إقامة المستوطنات الخمس في غور الأردن ، ونظراً للتطورات السياسية المتعلقة بمؤتمر كامب ديفيد ، تولدت الحاجة عند الاسرائيليين لاعادة توضيح وتأكيد مواقفهم بالنسبة للاستيطان في الاراضي العربية المحتلة . وتم عقد لقاء لكتلة الليكود في الكنيست لمطالبة الحكومة « اتخاذ قرار حاسم بخصوص مشاريع الاستيطان في الضفة الغربية »^(٥٨) . وبعد نقاشات عديدة طرحت فيها آراء متعددة تلتقي جميعها على ضرورة وضع برنامج حكومي للاستيطان ، يستجيب لمتطلبات المراحل المختلفة ، لخصر بيغن موقف الحكومة ، والذي سيحمله الى لقاء كامب ديفيد ، بأنه سيرد بـ « لا » قاطعة ، إذا طلب من

اسرائيل اخلاء المستوطنات ، لأن هذا « ضد مصالحنا الحيوية ... ولن نعتبر مثل هذا الامر فشلا لنا ، ولكنني امل أن لا يحصل شيء كهذا » (٥٦) .

تجميد الاستيطان : بعد التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد في ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ ، أعلن بيغن في واشنطن عن تجميد الاستيطان لمدة ثلاثة أشهر ، وهي فترة المفاوضات مع مصر للتوقيع على اتفاقية السلام . وكذب الأنباء التي ذكرت أن اسرائيل وافقت على اخلاء الضفة الغربية وقطاع غزة بعد فترة السنوات الخمس ، وأكد على استمرار وجود الجيش الاسرائيلي في تلك المناطق لضمان الامن ، وأن يكون هناك أي جيش آخر ، وستبقى القدس موحدة ، وعاصمة لاسرائيل (٥٧) .

وبينما كان الاسرائيليون يعلنون عن أن فترة التجميد هي ثلاثة أشهر فقط ، أصر الشريكان الآخرون في كامب ديفيد على أن فترة التجميد المتفق عليها هي خمس سنوات . ولكن دايان كشف حقيقة انه لا توجد مطالب مصرية وأمريكية لاختلاء المستوطنات في الضفة وقطاع غزة ، وهناك موافقة على « تكثيف الاستيطان ، حيث يستطيع المستوطنون الاسرائيليون بشكل فردي (وليس بصورة منظمة) امتلاك الأراضي ، وبناء المنازل في تلك المناطق » (٥٨) . ويرأي دايان أن ما يثار من قبل الادارة الامريكية حول موضوع الاستيطان يهدف الى « مساعدة وزير الخارجية الامريكي أثناء جولته في المنطقة » (٥٩) . ورغم التزام الحكومة الاسرائيلية العلني بتجميد الاستيطان لفترة ثلاثة اشهر ، فانها لم تتوقف لحظة واحدة عن متابعة النشاط الاستيطاني بصورة أو بأخرى . ولكن هذه المرة تحت اسم جديد هو « تكثيف الاستيطان » .

تكثيف الاستيطان : من المعروف ، أن بناء المستوطنة الاسرائيلية يمر في مراحل متلاحقة . فبعد دراسة واختيار المكان ، يجري اختيار « النواة » الاستيطانية التي ستقيم هناك . ومن ثم تقام المساكن المؤقتة ، وبعض التجهيزات الضرورية . وإذا ثبت في المستقبل حسن اختيار الموقع ، تبدأ الاعمال الفعلية لتحويلها الى مستوطنة دائمة ، ويضاف اليها مستوطنون جدد ، الخ .

إنه يمكن القول ، إن تكثيف الاستيطان ، هو عمليا تحويل المستوطنات المؤقتة الى دائمة وترسيخها في الموقع . ومع أن الحكومة الاسرائيلية لا تحتاج الى الحجج المقنعة لاستيطان المناطق المحتلة ، فان عامل كسب الوقت في تلك الفترة كان عنصراً هاماً قبل الحكم الذاتي ولو أدى ذلك الى عرقلة المفاوضات ، لأننا لسنا ممثلين لسياسات مصر « (٦٣) ، وكذلك لأن تقوية الاستيطان وتكثيفه ، يمنع « تحويل الادارة الذاتية الى دولة فلسطينية » (٦٤) .

وقد نشطت الدوائر الاستيطانية (الحكومية ، وغير الحكومية) لانجاز أكبر قدر ممكن من مشاريع تطوير وتعزيز المستوطنات ، وفق اطار خطط التكتيف التالية : ١ - خصصت الحكومة مبلغ ٣٠٠ مليون ليرة (٦٥) للأسراع بتحويل مستوطنات الجولان المؤقتة الى دائمة ، واقامة مئات المنازل في مستوطنات الضفة الغربية (٥٠٠ منزل في حارس جنوب السامرة ، ١٠٠ في كرني شمرون ، ١٠٠ في ألون موريه) وستشقق طريق عريضة تربط بين مستوطنات يهودا ، ومستوطنات الخط الأخضر . وسيجري توسيع المركز الاقليمي في ألون شافوت ، الواقع في

غوش عتسيون. ب - وافقت لجنة المالية بالكنيست على مشروع التكتيف المقدم من دائرة الاستيطان بالوكالة اليهودية^(٦٦) ، وصادقت على مبلغ ٧٤١ مليون ليرة ، يوزع منه على الجولان مبلغ ٧٧ مليون لبناء ١١٢ وحدة سكنية ، وعلى السامرة ٥٢١ مليون ليرة لبناء ١٥٠ وحدة سكنية ، وغوش كاتيف ١٠,٢ مليون ليرة ، وخصص مبلغ ٦٠ مليون ليرة لطريق يمر عبر السامرة -

ومن الواضح ان ثلثي الميزانية ، كانت من نصيب مستوطنات الضفة الغربية ، قطاع غزة ، مما يعكس النوايا الاسرائيلية في فرض الامر الواقع من خلال المفاوضات على مستقبل هذه المناطق ، وفق اطار اتفاقيات كامب ديفيد مع المصريين . وفي هذا السياق فقد اتهم عضو الكنيست اري رون (ميام) الحكومة في نقاش جرى بعد التصويت على ميزانية التكتيف ، انها تصنع ترتيبات السلام مع غوش ايمونيم بدلا من مصر ، وان الحكومة « تفضل وضع الاستثمارات في الضفة الغربية وقطاع غزة بدلا من الاهتمام في تعزيز المناطق الامنية في مرتفعات الجولان وسيناء »^(٦٧) .

استئناف الاستيطان بعد فترة التجميد : مع ان النشاط الاستيطاني لم يتوقف خلال فترة التجميد فقد استؤنفت عمليات الاستيطان بعد الأشهر الثلاثة وفقا لما اعلنه بيغن ، بأنه « لن يمر يوم واحد بعد الأشهر الثلاثة دون استيطان »^(٦٨) .

ففي منطقة القدس ، اتخذت اللجنة الوزارية للاستيطان قرارا في ١٢/٢١ ١٩٧٨ باقامة مستوطنة فردية جماعية بالقرب من مستوطنة عين شيمش . واجرت وزارة الدفاع تنسيقا مع غوش ايمونيم ، للبحث عن مكان ملائم لاستيطان نواة الون موريه قرب نابلس . وذكرت اوساط جماعة ايمونيم^(٦٩) ، ان الحكومة وعدتهم ببدء الاعمال لبناء المستوطنة خلال اسبوع . وحسب تخطيط الحكومة ، فان الهدف هو تحويل الون موريه الى مركز مدني مثل كريات اربع (الغربية من الخليل) لتصبح « نابلس العبرية » . وكشف رئيس الأركان الاسرائيلي الهدف الحقيقي من وراء اقامة الون موريه بهذا الحجم ، بقوله ان منطقة نابلس حيوية للامن ، ويمر عبرها « محاور الحركة ، وتساهم مستوطنة الون موريه مع قاعدة التدريب الموجودة جنوب مدينة نابلس في السيطرة على المنطقة »^(٧٠) . وقد صادق بيغن قبل سفره الى واشنطن في شباط (فبراير) ١٩٧٩ ، على ميزانية تبلغ ٥٠٠ مليون ليرة لبناء الون موريه في « منطقة نابلس التي لم يكن بها حتى تلك التاريخ مستوطنات يهودية »^(٧١) .

وقررت اللجنة الوزارية لشؤون الامن في ١/٥ ١٩٧٩ إقامة عشر مستوطنات ناحال^(٧٢) . ثلاث منها في غور الاربن ، وسبعة في صحراء النقب ، ضمن اطار اعادة توزيع الجيش بعد الانسحاب من سيناء .

كما خصص قسم الاستيطان التابع للمنظمة الصهيونية مبلغ ٨٥٠ مليون ليرة لاقامة مستوطنات وراء الخط الأخضر^(٧٣) ، يحمل ٢٥٪ من المبلغ الى ميزانية عام ١٩٨٠ ، ويوزع الباقي الى ١٠٪ لمرتفعات الجولان ، ٢٥٪ لمستوطنات الغور ، ٢٥٪ للضفة الغربية ، ١٥٪ ليميت وقطاع غزة .

وطالبت دائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية (٧١) بمبلغ مليار و ٢٠٠ مليون ليرة اسرائيلية كميزانية للاستيطان لعام ١٩٧٩ . ومع أن وزارة المالية رفضت المصادقة الا على نصف المبلغ ، فقد تدخل بيغن وحسم الخلاف بالموافقة على صرف مبلغ مليار و ١٠٠ مليون ليرة (يصل هذا المبلغ الى ضعف ميزانية العام الماضي التي بلغت ٥٦٠ مليون ليرة فقط).

ولخص شارون اهداف الحكومة الاسرائيلية من وراء هذه النشاطات « انجاز ٥٧ مستوطنة حتى نهاية عام ١٩٧٩ (٧٥) ، وأكد شارون ان العادة كانت سابقا ، اقامة ١٠ مستوطنات كل سنة ، لكن خلال السنة والنصف الماضية (أي لفترة حكم الليكود) اقيمت ٢٥ مستوطنة جديده ونحن الآن بصدد اقامة ٣٢ مستوطنة اخرى ، منها ١٢ في الجليل » (٧٦) .

الاستيطان بعد التوقيع على اتفاقية السلام المصرية - الاسرائيلية

في رسالة وجهها بيغن الى زعماء المدال تعهد فيها « بتنفيذ استيطان واسع في الضفة الغربية ، بعد التوقيع على اتفاقية السلام » (٧٧) . وفور اعلان الوفود المتفاوضة في كامب ديفيد في اذار (مارس) ١٩٧٩ عن أنها توصلت الى الاتفاق النهائي ، جرت اعمال تسييج ٣٠٠ دونم لاقامة مستوطنة اهرات ، بالقرب من غوش عتسيون . كما أعلن الاقتصاد الزراعي عن اقامة ثلاث مستوطنات هي ، كوخاف هاشاحر ، واخرى بالقرب من اريحا ، والثالثة في قطاع غزة ، تبلغ تكاليف إقامتها ٢٠ مليون ليرة .

ومن أجل مواجهة مرحلة ما بعد التوقيع على اتفاق السلام ، واستعدادا لمفاوضات الحكم الذاتي ، وتقدير مصير الأراضي المحتلة ، وتنفيذا لوعود بيغن القاطعة بشأن القيام بنشاط استيطاني واسع بعد التوقيع على الاتفاقية ، طرحت مشاريع ، ومخططات استيطانية من قبل جميع الدوائر المعنية . وهي تلتقي جميعها حول هدف ربط مصير الضفة الغربية وقطاع غزة باسرائيل ، ومنع اقامة أي شكل من أشكال الكيان الفلسطيني . وتميزت المشاريع الاستيطانية في هذه الفترة بسرعة التنفيذ من خلال تخصيص الميزانيات المطلوبة لاقامة المستوطنات التي تقترحها تلك المشاريع .

وكانت أهم هذه المشاريع هي : ١ - مشروع شارون ، يستند المشروع (٧٨) على فرضية اساسية ، هي اعتبار الاستيطان في الضفة الغربية ذي أهمية حيوية للامن ، نظرا لوجود الجبهة الشرقية من جهة ، ووجود الشريط الساحلي الضيق ، من جهة اخرى . ويدعو شارون الى السيطرة على اراض استراتيجية هامة في منطقة السامرة . وسيتم توطين مليون يهودي في منطقة القدس خلال ١٥ - ٢٠ سنة . وسيتمتع السكان العرب بحرية كاملة في مواضيع ، الصحة ، والضرائب ، والزراعة والبناء ، والشرطة المحلية ، ولكن هذا لن يؤدي الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية .

اما المستوطنات التي يقترح شارون إقامتها فهي : ١ - الون موريه ب - على مسافة ٥ كلم من نابلس ، وبالقرب من قرية روجيب ، ب - النبي صالح ب وتقع بالقرب من النبي صالح أ ، شمعال غرب الرملة ، ج - كرني شومرون ب وتقع بين نابلس وطولكرم ، د - معاليه ادوميم ب .

وقد خصصت وزارة المالية مبلغ مليار و ٦٠٠ مليون ليرة ، وضعت تحت تصرف الوزير شارون ، « لاقامة المستوطنات وراء الخط الأخضر » (٧٩) .

٢ - مشاريع الوكالة اليهودية

أ - مشروع رعتان فايتس: ستركز جهود الاستيطان ، حسب المشروع^(٨٠) ، في مرتفعات الجولان ، والجليل ، والنقب ، وغور الأردن. وهويقترح خطة عمل للأشهر الستة المقبلة تتلخص في ١ - مد خط أنابيب لنقل المياه من بحيرة طبريا الى غور الأردن ، لتزويد المنطقة بالمياه الضرورية لاقامة المستوطنات . ٢ - اضافة ١٦ مستوطنة جديدة في غور الأردن ، تشكل مع المستوطنات القائمة حاليا منطقة عازلة ودائمة . ٣ - تحويل مستوطنة معالية الفريم الى مدينة .

وقد وجه شارون انتقاده لمشروع فايتس ، لأن الاستيطان في منطقة غور الأردن فقط معناه الحكم بالوت على مستوطنات الضفة الغربية وقطاع غزة ، وتسليمها للعرب^(٨١) . واعترف فايتس وهو في معرض دفاعه عن المشروع ، ان اسرائيل تعاني نقصا في القوى البشرية ، والموارد المالية. لذلك ، هانذا زرعنا المستوطنات في كل المناطق ، فلن نحقق أي هدف استيطاني ، لا في الضفة الغربية ، ولا في غور الأردن ، أو مرتفعات الجولان ، والجليل^(٨٢) .

ب - مشروع متقيا هو دروبلس : يركز المشروع^(٨٣) على استيطان الضفة الغربية للأسباب التالية : ١ - للتأكيد على ان الحكم الذاتي لن يطبق على الأرض ، بل على السكان ، وبسبب ذلك يجب السيطرة فوراً على الأراضي في الضفة الغربية . والطريقة الأفضل لذلك هي ، الاستيطان السريع على هذه الأراضي . ٢ - لمواجهة خطر الجبهة الشرقية ، يجب تقوية المرتفعات المسيطرة على وادي الأردن بواسطة مجموعة من المستوطنات تقام عليها . ٣ - يجب استيطان المناطق المزدهمة بالسكان العرب في الضفة الغربية ، لتقليص خطر اقامة دولة فلسطينية . ٤ - وسيقنع الاستيطان العرب ، اننا عازمون على الاحتفاظ الى الأبد ، وبكل وسيلة ، بالضفة الغربية .

ويتضمن المشروع ، اقامة ٥٠ مستوطنة جديدة في الضفة الغربية خلال السنوات الخمس القادمة ، اضافة الى ٢٢ مستوطنة قائمة الآن . وفي العام القادم ، يجب اقامة ١٥ مستوطنة في الضفة الغربية ، و٥ في غور الأردن ، و١٠ في الجولان و١٥ في الجنوب وهذا يحتاج ميزانية سبعة مليارات و ٢٠٠ مليون ليرة . وسوف تستوعب هذه المستوطنات ١٠٠,٠٠٠ يهودي . « فاذا استوطن اليهود في الضفة الغربية تكون لنا ، واذا لا فلن تكون لنا »^(٨٤) .

وذكرت اوساط حكومية^(٨٥) ، ان نهاية العام ١٩٨٠ ستشهد إقامة ١٢ مستوطنة في الضفة الغربية هي : مي عميخ ، بركاي ، تبوح ، حلميش ، شفي شومرون ، كرتي شومرون ب ، النبي صالح ب ، معاليه أدويم ب ، يقر ، شيكف ، متسبيه يريحا ، بيت حورون ، وسيقام في غور الأردن وحتى نهاية ١٩٨٠ ستة مستوطنات رائمة جديدة هي : روعي ريمونيم ، كوخاف هاشاحار ، الموع ب ، منحولاه ب ، وتوعيمة .

ومن أجل توفير الأراضي اللازمة للاستيطان ، فقد اصدرت محكمة العدل العليا في شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٩ ، قراراً ينص على ان « الاستيطان المدني هو جزء من جهاز الامن الاسرائيلي »^(٨٦) . واجابت المحكمة بالاجاب على السؤالين التاليين : ١ - هل توجد مبررات

عسكرية وأمنية كافية للسيطرة على الأراضي التي تقدم أصحابها العرب شكاوى ضد الحكم العسكري ؟ ٢٠ - هل يسمح بإقامة مستوطنات يهودية مدنية على أراض نمت السيطرة عليها لأغراض عسكرية ؟

ويعني مضمون قرار المحكمة العليا ، أن جميع الأراضي العربية هي رهن لرغبات السلطات الاسرائيلية ، بمجرد اعلائها أن هذه القطعة من الأرض أو تلك ، هي ضرورية لحاجات الأمن .

وأن حقيقة ما تكشفه هذه المشاريع ، والخطوات العملية الأخرى (السيطرة على المياه ، مصادرة الأراضي) ، أن السلطات الاسرائيلية تهيب الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، لتحويلهما الى مقاطعة ملحقة بإسرائيل ، يجري تهويدها مع مرور الزمن . وعبر بيغن عن ذلك بقوله « إن قرار هذه الحكومة ، سيكون عكس قرار الحكومة السابقة ، وسوف توافق على ملء السامرة باليهود قدر الامكان » (٨٧) . وطبعاً سيتحول السكان العرب في هذه المقاطعة ، الى عمال اجراء عند المستثمرين اليهود . نستوطن ونسيح لأن الإدارة الذاتية ستقوم غدا .

إذا كانت حكومات حزب العمل قد اتبعت اسلوباً استيطانياً واضحاً ، ومحدداً وفق اطار النظرة الى غور الأردن كحدود أمنة ، وربط الضفة الغربية ، بحل اقليمي وسط مع الأردن ، فإن الاستيطان في عهد الليكود ، ربما بدأ في بعض الاحيان غير محدد المعالم ، إلا أن مشروع الإدارة الذاتية الذي تقدم به بيغن في أواخر عام ١٩٧٧ ، عبر بشكل واضح عن اتجاه سياسات الاستيطان ، ومكانة هذه المستوطنات عند تطبيق هذا المشروع . وحدد شارون مستقبل مستوطنات الضفة الغربية ، إذا تحقق الحكم الذاتي بأنها « لن تخضع لأي سلطة عربية من أي نوع ، وستكون إسرائيل مسؤولة عن الأمن لمنع المنظمات المعادية من العمل للاحاق الأذى بإسرائيل ، ولتخفيف الأضرار بمصادر المياه في الضفة الغربية التي تنتفخ ، سواء لحاجات المزارعين العرب أو لإسرائيل ، ويجب مصادرة الأراضي الحيوية للاستيطان » (٨٨) .

أما قيام دولة فلسطينية ، فلا يوجد في إسرائيل من يوافق على قيامها ، وحتى تضمن إسرائيل عدم وجود أساس مادي ، فإنها مضطرة اليوم وقبل غد ، (٨٩) ، لتحويل الاستيطان في كل أنحاء البلاد الى هدف قومي مركزي ، وتقوية الاستيطان ، وتوسيعه في غور الأردن ، ومرتفعات الجولان ، والضفة الغربية ، ومنطقة القدس ، وقطاع غزة .

وفي سياق الاستعداد لقيام الحكم الذاتي الذي تعده السلطات الاسرائيلية ، تشكلت في الضفة الغربية ، وقرار من الحكومة ، أربع مجالس اقليمية للمستوطنات ، ومجلس خامس في قطاع غزة . وأصدرت وزارة الداخلية أنظمة مفصلة تحدد صلاحيات هذه المجالس ، وتنظم عملها . وهذه المجالس هي : ١ - مجلس عتسيون . ويشمل المستوطنات الثمانية في غوش عتسيون ، والمناطق المجاورة . ٢ - المجلس الاقليمي لغور الأردن ، ويضم تحت سلطته عشرين مستوطنة . ٣ - مجلس بيت - ايل . ٤ - مجلس السامرة . ٥ - مجلس قطاع غزة (٩٠) .

وسيكون لكل مجلس ، وضع قانوني يسمح له بشراء الأراضي وأمتلاكها . وستمنح هذه المجالس للمستوطنات وضعاً بلدياً مستقلاً ، حيث يحرمها ذلك من « اشكالات الحكم الذاتي ، وستحتضن المستوطنات بطابع الاستقلال الاقليمي » (٩١) .

وتجسد هذه الدائرة ، (التي تبدأ بنشاطات الاستيطان على صيغة ، نستوطن ونسيج لأن الحكم الذاتي سيقام غدا (٩٢) ، وتنتهي بمشروع بيغن على أساس أن مصدر الصلاحيات في المناطق هو القانون الاسرائيلي) ، سياسات ضم المناطق ، واخضاعها لحكم اداري ذاتي داخل الحكم الاداري الاسرائيلي ، او الحكم الاسرائيلي داخل الحكم الذاتي . وقد حرص بيغن على تأكيد ذلك ، بعد الضجة التي اثيرت حول الاستمرار في بناء المستوطنات بعد التوقيع على اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل في ٢٦/٢/١٩٧٩ ، بقوله « ان أي حدود لن تمر في ارض اسرائيل الغربية ، وان الخط الاخضر اختفى ولم يعد له وجود ، وهو موجود فقط في اذهان اشخاص معينين » (٩٣) .

كما شكل موضوع السيطرة على المياه في الأراضي المحتلة ، وربطها مع شبكات المياه في اسرائيل ، أحد اساليب الحكومة الاسرائيلية في اعطاء الادارة الذاتية المقترحة مضمونها الاسرائيلي المطلوب ، حيث تدعي حكومة اسرائيل ، ان مصادر المياه الجوفية في الضفة الغربية واسرائيل واحدة . لذلك فان الاستخدام غير الصحيح للمياه الجوفية سيؤدي الى ازدياد نسبة الملوحة في هذه المياه . وهذا يستدعي سيطرة اسرائيل على هذه الابار لضمان « استخدامها الصحيح » . وفي نفس الوقت اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرارا في ١٨/٢/١٩٧٩ بمد خط لانابيب المياه من بحيرة طبريا الى مستوطنات غور الاردن (٩٤) . وتتلخص الاهداف الحقيقية لهذه القرارات ، أيضا في الموقف الرسمي والثابت لحكومة اسرائيل ، من موضوع مستقبل المناطق المحتلة ولتأمين تغذية المستوطنات الاسرائيلية بالمياه ، ومنع قيام « وضع يكون فيه عرب الضفة الغربية في موقع السيطرة على مياه المستوطنات » (٩٥) . إضافة الى الامل التي تراود الاسرائيليين بزيادة عدد مستوطنات الغور ليصل الى ما بين ٤٠ و ٥٠ مستوطنة .

الاستيطان بين الخطط الموضوعية والواقع العملي

مع أن الاستيطان اليهودي لعب دورا بارزا في المراحل الاولى لقيام اسرائيل ، محققا أهداف الايديولوجية الصهيونية في استيطان الأرض ، وتثبيت الحدود ، وانتاج الحاجات الحياتية ، إلا انه سرعان ما بدأت وتيرته بالهبوط في أوائل الستينات ، نظرا لمحدودية الوسائل (الأرض ، المياه ، القوى البشرية ، الخ) وبهتان الدافع الايديولوجي عند غالبية اليهود ، إضافة الى عامل رفض الوجود الاسرائيلي ذاته من قبل شعوب المنطقة .

ومع أن تحولا ايجابيا طرأ على النشاط الاستيطاني بعد حرب ١٩٦٧ ، إلا أن هذا بقي محدودا أيضا بالنسبة للمشاركة والامل التي كانت معقودة على الاستيطان . وتشير الدراسات الاسرائيلية (٩٦) الى انه على مدى ثلاثين عاما من قيام الدولة (١٩٤٨ - ١٩٧٨) فإن مجموع المستوطنات التي اقيمت في اسرائيل والأراضي المحتلة تبلغ ٥٨٧ مستوطنة ، يقيم فيها ١٨٠,٠٠٠ نسمة فقط . وهي تتجمع اساسا في المناطق الرئيسية في اسرائيل (منطقة تل ابيب ، ممر القدس ، النقب الشمالي) .

أما الاستيطان في الأراضي المحتلة ، فانه يواجه اليوم صعوبات وعقبات متعددة ، أهمها مقاومة المواطنين العرب للاحتلال ورفضهم لواقعه ، وهم ليسوا على استعداد « لمغادرة أي موقع من خلال ارادتهم الحرة » (٩٧) . كما يشكل عامل التركيب الديمغرافي في الضفة الغربية عقبة

رئيسية أخرى . ففي حين يبلغ عدد السكان العرب في الضفة ٧٠٠,٠٠٠ نسمة (ما عدا سكان القدس الشرقية) يبلغ عدد المستوطنين اليهود فيها ٨٥٠٠ نسمة ، وهو يمثل ١٪ من مجموع السكان (٩٨) . وتصل الزيادة الطبيعية عند الحرب الى ٢٠,٠٠٠ نسمة سنويا .

وعلى الرغم من الوضع الاقتصادي المتدهور في اسرائيل فان شارون يحول ميزانيات تطوير الجليل والنقب ومرتفعات الجولان الى الضفة الغربية لأنها حسب تعبيره « أرض - اسرائيل الجميلة » وان أفضل الحالات التي يمكن لشارون أن يتوصل إليها ، هي « تحويل نسبة الـ ١٪ الى ٢ أو $\frac{٢}{٤}$ فقط» (٩٩) .

ومن جهة أخرى ، تعاني المستوطنات الاسرائيلية ذاتها مشاكل يومية عديدة ، دفعت ببعض المستوطنات الى حافة الانهيار وتتركز هذه المشاكل أساسا ، بعدم وجود فرص للعمل في نفس موقع المستوطنة ، (نظرا لأن اختيار موقع المستوطنة يتم وفق اعتبارات أمنية غالبا) مما يضطر المستوطن « للسفر يوميا للعمل في مكان عمله السابق وسط البلاد» (١٠٠) . وان استعراض وضع بعض المستوطنات يعطي صورة واضحة عن مدى المشاكل التي تعانيها .

في مستوطنة يميم ، اشتكى سكان المستوطنة ، الى كل من شارون ، ورعنان فايتس أثناء زيارتهما لها في شهر كانون ثاني (يناير) ١٩٧٨ ، وأخبروهما بأن مشاكلهم تتعلق بعدم وجود فرص للعمل « واذا لم تبادر الحكومة لاقامة مشاريع تستوعب قوة العمل ، فان حجم المستوطنة لن يزداد» (١٠١) .

أما مستوطنة ارغمان في غور الاردن ، فقد بلغت ديونها ١٦ مليون ليرة ، وترك كثير من اعضائها المكان ، للعمل خارج المستوطنة « من أجل حل أزمته المعيشية» (١٠٢) .

وتتعرض مستوطنة دوتان ، التابعة لغوش ايمونيم لخطر الانهيار ، لأن تسع عائلات تنوي مغادرة المستوطنة بسبب خلاف بين « عائلتين على افضلية المكان» (١٠٣) .

ورغم ان كريات أربع هي من أكبر المستوطنات التي اقيمت بعد حرب ١٩٦٧ ، فقد ذكرت ادارة المستوطنة ، انها تعاني من أزمات كثيرة ، وان ١٥ عائلة قد غادرتها « لأن المشكلة الأساسية للمستوطنين الجدد ، والقدامى ، هي ايجاد مصدر رزقهم» (١٠٤) .

ويحصل معظم مستوطني كريات أربع على رزقهم من العمل خارج المستوطنة وخاصة في منطقة القدس . ويعمل البعض الآخر في الحراسة الليلية بالمستوطنة (تبلغ اجرة الحارس ٥٠ ليرة كل يوم) . ورغم ان المستوطنة قائمة منذ ١٠ سنوات فانها لا تزال قليلة السكان . أما المهن وأعمال البناء التي تحتاجها القرية « فان العرب من سكان الخليل وجوارها يعملون فيها» (١٠٥) .

والامر الذي يدعو للتساؤل هنا ، انه بينما يتحدث المستوطن عن عدم وجود فرص العمل ، فانهم يعتمدون على العمال العرب في جميع المهن داخل المستوطنات . وان دل هذا على شيء فانه يشير الى عزوف المستوطنين اليهود عن العمل في المهن اليدوية وتحولهم لأصحاب أعمال ، ومستثمرين . فمستوطنات مشارف رفح مثلا تعتمد في الزراعة على العمال العرب « الذين طردوا من المكان عام ١٩٧١ ، بسبب ظروف أمنية ، وهم يعهدون اليوم كعاملين بالاجرة عند

اليهود ، (١٠٦) . وأن مستوطنات المنطقة ، والطرق التي تؤدي إليها ، والأبنية الموجودة فيها ، والمزارع ، كلها اقيمت « برأس المال اليهودي ، والعلم اليهودي ، والعمل العربي » (١٠٧) .

وتبقى مسألة اخيرة تتصل بمشكلة الاستيطان الاساسية وهي ، كيف ستوفر السلطات الاسرائيلية ، الطاقة البشرية اللازمة لانجاز المشاريع الاستيطانية التي تتحدث عن اسكان نحو مليون يهودي في الأراضي المحتلة خلال ٢٥ سنة .

في حقيقة الامر ، حاولت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة حل هذه المسألة بوسيلتين : الاولى عن طريق اعادة توزيع السكان بانشاء ما يسمى بمدن التطوير ، وغيرها من المشاريع . واصيبت هذه المشاريع بفشل ذريع ، لأن جميع اليهود يفضلون الإقامة في وسط البلاد ، حيث زالت الدوافع الايديولوجية التي كانت تستخدمها السلطة في توجيه السكان حسب الخطط الموضوعية . أما جماعات الاستيطان التي لا زالت بقايا الافكار الصهيونية تحركها مثل غروش ايمونيم فانهم « لا يتجاوزون الـ ٥٠٠ رجل فقط ، ينتقلون من مكان لآخر ، يقيمون مستوطنات متشابهة » (١٠٨) .

والوسيلة الثانية ، التي تعتمد عليها اسرائيل في زيادة سكان المستوطنات ، هي الهجرة من الخارج من مهاجرين جدد (وخاصة الاتحاد السوفياتي) . والواقع ان الآمال التي كانت معقودة في أوائل السبعينات على المهاجرين اليهود السوفيات اخذت بالانحسار تدريجياً . ومن استعراض الأرقام التساقط عند المهاجرين السوفيات في السنوات الأخيرة ، يتبين لنا التصاعد الملحوظ في نسبة التساقط كل عام ، كما يلي : (١٠٩)

عام ١٩٧٥	وصل الى فينا	١٢,٠٠٠	تساقط	٥,٠٠٠	بنسبة ٢٧٪
عام ١٩٧٦	وصل الى فينا	١٤,٠٠٠	تساقط	٧,٠٠٠	بنسبة ٥٠٪
عام ١٩٧٧	وصل الى فينا	١٧,٠٠٠	تساقط	٨٥٠٠	بنسبة ٥٠٪
عام ١٩٧٨	وصل الى فينا	٢٩,٠٠٠	تساقط	١٧,٠٠٠	بنسبة ٥٧٪

وقد حذر رئيس دائرة الوكالة اليهودية من المستوى الذي وصل اليه التساقط حيث وصل « مؤخراً الى ٧٠٪ وهي مصيبة حقيقية » (١١٠) . وفي آخر احصائية نشرت في آذار (مارس) ١٩٧٩ وصلت نسبة التساقط الى ٧٦٪ (١١١) . وحتى هؤلاء القادمين الى اسرائيل ، الحالمين بسعادة الحياة الغربية ، فان نسبة صغيرة جداً منهم تذهب للاستيطان بينما غالبيتهم « لا تريد أن تسمع عن الاستيطان أو العمل اليدوي بشكل عام » (١١٢) .

خاتمة

من الواضح ، ان الاستيطان الصهيوني في الأراضي المحتلة دخل في عهد الليكود ، واتفاقات كامب ديفيد ، مرحلة جديدة تتميز بطابع كولونيالي ، استغلالي على حساب الأرض والسكان العرب . ليشكل ركيزة أساسية لضم هذه الأراضي العربية الى اسرائيل تحت صيغ ومشاريع مختلفة . وان جميع الخطط الاستيطانية المطروحة تلتقي على ضرورة الاستيطان

الواسع لجميع الأراضي المحتلة ، مع تحقيق وجود سكاني يهودي كثيف ضمن مراكز مدنية كبيرة وتحويل المستوطنات الى مراكز صناعية تستغل الايدي العاملة العربية .

ورغم ان ما نفذ حتى الآن ، هو اقل بكثير مما جرى الحديث عنه ، نظرا لعدم توفر العامل البشري اساسا ، فان هذا لا يلغي امكانية نجاح الدولة العبرية في ايجاد حلول لهذه المشكلة بوسائل مختلفة ، مثل النجاح في اعادة توزيع السكان ، وجلب المهاجرين باعداد كبيرة من خلال تقديم اغراءات كبيرة الخ . خاصة ان كل الحلول السياسية الاسرائيلية المطروحة لمستقبل الأراضي المحتلة ومن ضمنها مشروع الادارة الذاتية ، تربط مصير هذه الأراضي ، والسكان العرب . بشكل او باخر بالمخططات الاسرائيلية لاقامة مشاريع ، وعلاقات اقتصادية مشتركة .

وان دعم نضال عرب الأرض المحتلة ، وتعزيز صمودهم يؤدي بشكل قاطع الى افشال مشاريع الاستيطان الصهيونية ، التي يخطط لها ان تكون الركيزة الأساسية لتنفيذ مشروع الادارة الذاتية الذي تريد اطراف كامب ديفيد تطبيقه في الضفة الغربية وقطاع غزة .

-
- (١) حنة شامير ، شؤون فلسطينية ، العدد ٦٧ حزيران ، ١٩٧٧ ، ص ٢٤٣ .
 (٢) معاريف ، ١٩٧٧/٥/٢٥ .
 (٣) يديعوت احرونوت ، ١٩٧٧/٥/٢٥ .
 (٤) يديعوت احرونوت ، ١٩٧٧/٥/٢٥ .
 (٥) معاريف ، ١٩٧٧/٦/٣ .
 (٦) ر . ١٠٠ ، العدد ١٢٠٠ ، ١٩٧٧/٥/١٩ .
 (٧) ر . ١٠١ ، العدد ١٢٧٩ ، ١٩٧٧/٨/٢٦ .
 (٨) المصدر نفسه .
 (٩) ر . ١٠١ ، العدد ١٢٢٢ ، ١٩٧٧/٦/٢٠ .
 (١٠) مناحيم ميكسون ، يديعوت احرونوت ، ١٩٧٧/٦/١٠ .
 (١١) المصدر نفسه ، نقلا عن لسان بوسي ارتسيال احد الناطقين الرسميين باسم غوش ايمونيم .
 (١٢) المصدر نفسه .
 (١٣) اهارون دولان ، معاريف ، ١٩٧٧/٧/١ .
 (١٤) المصدر نفسه .
 (١٥) ر . ١٠١ ، العدد ١٢٠٦ ، ١٩٧٧/٥/٢٢ .
 (١٦) عمل همشمار ، ١٩٧٧/٦/٢٢ .
 (١٧) مصدر الحاشية ١٣ .
 (١٨) ر . ١٠١ ، العدد ١٢٢١ ، ١٩٧٧/٦/٢٩ .
 (١٩) المصدر نفسه .
 (٢٠) مصدر الحاشية ١٣ .
 (٢١) عرض رعتان فايتس تفاصيل مشروعه الاستيطاني في مقابلة اجرتها معه يديعوت احرونوت ، ١٩٧٧/٩/٢٠ .
 (٢٢) امارون باكر ، يديعوت احرونوت ، ١٩٧٧/٩/٢٢ .
 (٢٣) المصدر نفسه .
 (٢٤) معاريف ، ١٩٧٧/٩/١ .
 (٢٥) نشرت تفاصيل المشروع صحيفة معاريف ، ١٩٧٧/٧/٣ .
 (٢٦) المصدر نفسه .
 (٢٧) معاريف ، ١٩٧٧/٨/٣ .
 (٢٨) معاريف ، ١٩٧٧/٨/١٨ .
 (٢٩) ورد نص تصريح تسيبوري في هارتس ، ١٩٧٧/٨/١٩ .
 (٣٠) شموئيل سيف ، معاريف ، ١٩٧٧/٨/١٩ .
 (٣١) تصريح لآبا ايبان اثناء توقيفه في مطار لندن ، وهو في طريقه لواشنطن ، معاريف ، ١٩٧٧/٧/٢٩ .
 (٣٢) معاريف ، ١٩٧٧/٨/٢٦ .
 (٣٣) امنون روبنشتاين ، هارتس ، ١٩٧٧/٩/٣٠ .
 (٣٤) معاريف ، ١٩٧٧/٩/٢٠ .
 (٣٥) المصدر نفسه .

- (٦٦) منحيم ميكلسون ، يديعوت احرونوت ، ١٩٧٧/٩/٢٥ .
- (٦٧) يهودا ليطاني ، هارتس ، ١٩٧٧/٩/٢٠ .
- (٦٨) المصدر نفسه .
- (٦٩) ابن حاييم ، دافار ، ١٩٧٧/١٠/٢٦ .
- (٧٠) ر ١٠ ، ١ ، العدد ١٣٠٥ ، ١٩٧٧/٩/٢٩ .
- (٧١) المصدر نفسه .
- (٧٢) مصدر الحاشية ٢٩ .
- (٧٣) المصدر نفسه .
- (٧٤) من مقابلة لدايان مع التلفزيون الاسرائيلي ، هارتس ، ١٩٧٨/١/١ .
- (٧٥) عزري بنزيمان ، هارتس ، ١٩٧٨/٢/٢٤ .
- (٧٦) المصدر نفسه .
- (٧٧) المصدر نفسه .
- (٧٨) كما جاء في مشروع رعتان فايتس ، دافار ، ١٩٧٨/٨/٢٥ .
- (٧٩) تفاصيل المشروع في المصدر (٤٨) .
- (٨٠) المصدر نفسه .
- (٨١) المصدر نفسه .
- (٨٢) معاريف ، ١٩٧٨/٨/٢٥ .
- (٨٣) نشرت تفاصيل المشروع هارتس ، ١٩٧٨/٥/١٩ .
- (٨٤) عزير وايزمان ، نقلا عن يهودا ليطاني هارتس ، ١٩٧٨/٥/٢٢ .
- (٨٥) دافار ، ١٩٧٨/٤/١٩ .
- (٨٦) المصدر نفسه .
- (٨٧) من مقابلة بيغن مع صحيفة نيوزويك ، نقلا عن هارتس ، ١٩٧٨/٨/٢١ .
- (٨٨) دافار ، ١٩٧٨/٨/٢٦ .
- (٨٩) معاريف ، ١٩٧٨/٨/٢٤ .
- (٩٠) دافار ، ١٩٧٨/٩/٩ .
- (٩١) يديعوت احرونوت ، ١٩٧٨/٩/٢٢ .
- (٩٢) هارتس ، ١٩٧٨/٩/٢٦ .
- (٩٣) تصريح لدايان عشية توجهه الى واشنطن في ١٩٧٨/١٠/٢٥ ، يديعوت احرونوت ، ١٩٧٨/١٠/٢٦ .
- (٩٤) يوسف حاريف ، معاريف ، ١٩٧٨/٩/٢٩ .
- (٩٥) مصدر الحاشية ٦٢ .
- (٩٦) دافار ، ١٩٧٩/١/١٨ .
- (٩٧) معاريف ، ١٩٧٩/١/١٨ .
- (٩٨) من مقابلة بيغن للسفير الامريكي في اسرائيل نقله يوسف حاريف ، معاريف ، ١٩٧٨/٩/٢٩ .
- (٩٩) دافار ، ١٩٧٩/١/١٠ .
- (١٠٠) هارتس ، ١٩٧٩/٦/٢١ .
- (٧١) دافار ، ١٩٧٩/٣/٤ .
- (٧٢) هارتس ، ١٩٧٩/١/١٦ .
- (٧٣) دافار ، ١٩٧٩/٢/٢٧ .
- (٧٤) يوسف تسوريال ، معاريف ، ١٩٧٩/٣/٥ .
- (٧٥) من حديث لشارون امام كتلة الكفدال بالكنيست ، نشرته معاريف ، ١٩٧٩/١/٢٢ .
- (٧٦) المصدر نفسه .
- (٧٧) معاريف ، ١٩٧٩/٢/٢٢ .
- (٧٨) شرح شارون تفاصيل مشروع امام نادي الهندسة بتل - اييب ونشرته هارتس ، ١٩٧٩/٣/٢٥ .
- (٧٩) يديعوت احرونوت ، ١٩٧٩/٥/٣ .
- (٨٠) عرض رعتان فايتس تفاصيل هذا المشروع امام الصحافيين بالقس ، نقلا عن ر ١٠ ، ١ ، العدد ١٧٧٢ ، ١٩٧٩/٥/١٥ .
- (٨١) معاريف ، ١٩٧٩/٥/١٧ .
- (٨٢) ر ١٠ ، ١ ، العدد ١٨٠٠ ، ١٩٧٩/٦/١٩ .
- (٨٣) طرح متنياهر برويتس تفاصيل مشروع امام الصحافيين بالقس ونشرته يديعوت احرونوت ، ١٩٧٩/٥/٢٠ .
- (٨٤) هارتس ، ١٩٧٩/٥/٢٠ .
- (٨٥) المصدر نفسه .
- (٨٦) بروفسور ناتان فينبروغ ، هارتس ، ١٩٧٩/٤/١٥ .
- (٨٧) ر ١٠ ، ١ ، العدد ١٧٠٧ ، ١٩٧٩/٤/٢٤ .
- (٨٨) من مقابلة مع شارون ، معاريف ، ١٩٧٩/٢/٢٣ .
- (٨٩) المصدر نفسه .
- (٩٠) ر ١٠ ، ١ ، العدد ١٧٢٥ ، ١٩٧٩/٢/٢٧ .
- (٩١) المصدر نفسه .
- (٩٢) يهودا ليطاني ، هارتس ، ١٩٧٩/٥/١٨ .
- (٩٣) من خطاب لبين امام مركز حيروت في تل اييب دافار ، ١٩٧٩/٤/٢٠ .
- (٩٤) يديعوت احرونوت ، ١٩٧٩/٥/١٩ .
- (٩٥) المصدر نفسه .
- (٩٦) ملحق دافار ، ١٩٧٩/٤/٢٥ .
- (٩٧) يوهال البيستور ، معاريف ، ١٩٧٩/٦/٩ .
- (٩٨) يهودا ليطاني ، هارتس ، ١٩٧٩/٢/٢٥ .
- (٩٩) المصدر نفسه .
- (١٠٠) معاريف ، ١٩٧٩/٨/١٨ .

- (١٠٧) المصدر نفسه .
- (١٠٨) من بيان لمزب الغسل . معاريف ، ١٩٧٩/١/١ .
- (١٠٩) هارتس ، ١٩٧٩/٣/٢١ .
- (١١٠) معاريف ، ١٩٧٩/٤/٢٧ .
- (١١١) هارتس ، ١٩٧٩/٣/٢٠ .
- (١١٢) تادي بريس ، دالغار ، ١٩٧٧/٩/٩ .
- (١٠١) المصدر نفسه .
- (١٠٢) ر.أ. العدد ١٨٥٢ ، ١٩٧٩/٨/٢٠ .
- (١٠٣) معاريف ١٩٧٨/١٢/٢٢ .
- (١٠٤) يهودا ليطاني ، هارتس ، ١٩٧٨/٤/١٤ .
- (١٠٥) المصدر نفسه .
- (١٠٦) دان بايلي ، دالغار ، ١٩٧٨/٥/٢٩ .

تأسيس "الوطن القومي اليهودي" في فلسطين ١٩١٧-١٩٢٣

٢- نظام الانتداب وأطره "تموز ١٩٢٠- ايلول ١٩٢٣"

كانت السنوات الثلاث التي تلت انتهاء الحكم العسكري البريطاني ، وبداية الادارة المدنية في فلسطين اعتباراً من ١ تموز (يوليو) ١٩٢٠ ، فترة تبلور نظام الانتداب البريطاني على البلد . وقد تأثر هذا النظام ، بصيغته النهائية ، بمواقف الاطراف المختلفة منه ، في ضوء مصالح كل منهم ؛ سواء كان أولئك هم الحلفاء او بريطانيا او الصهيونيون او العرب الفلسطينيين . وكانت المصالح المتضاربة او ، احيانا ، غير المتطابقة لتلك الاطراف المتصارعة ، وما نجم عنها من ضغوط ، هي التي اطالت امد تلك الفترة ، نسبياً .

هربرت صموئيل : اول مندوب سام بريطاني في فلسطين

اعلنت بريطانيا ، بعد اختيارها دولة منتدبة على فلسطين في ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، من قبل مجلس عصبة الأمم المنعقد في سان ريمو ، نيتها الغاء الحكم العسكري في البلد ، واستبداله بادارة مدنية ، ابتداء من اول تموز (يوليو) في السنة ذاتها . وفي الوقت نفسه ، اعلن زعماء بريطانيا ، الذين مثلوها في المؤتمر ، اختيار هربرت صموئيل مندوباً سامياً بريطانياً اول في فلسطين . ولم يكن ثمة افضل من هذا الاختيار لتنفيذ مشروع الوطن القومي : اذ كان صموئيل ، وهو اول وزير يهودي في الحكومة البريطانية ، من اركان تلك المجموعة من الزعماء البريطانيين الذين نشطوا منذ نشوب الحرب العالمية الاولى ، لحمل حكومتهم على تبني ذلك المشروع وما استلزمه من سياسة ادت الى وعد بلفور^(١) . وقد قبل صموئيل منصبه هذا ، بعد استشارة وايزمن ويسوكولوف وموافقتهما : اذ كان الثلاثة قد حضروا اجتماعات عصبة الأمم التي عقدت في سان ريمو ، بناء على دعوة من رئيس حكومة بريطانيا لريد جورج^(٢) . ولم يكتف الصهيونيون بذلك ، بل عمدوا ايضاً ، فيما بعد ، الى تعيين عدد من مؤيديهم في المراكز الادارية الحساسة في فلسطين ، كان من ابرزهم نورمان بينتويش ، الذي عين مستشاراً قضائياً لحكومة فلسطين ، وبصفته هذه كان مسؤولاً ايضاً عن وضع نص القوانين التي تصدرها حكومة الانتداب؛ والبرت حايمسون ، الذي عين رئيساً لادارة الهجرة . ونقل ماكس نوروك من عمله في المنظمة الصهيونية ، وعين في مركز المساعد الاول للمسكرتير الرئيسي لحكومة الانتداب^(٣) .

وصل صموئيل الى فلسطين في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٢٠ ، وياشر فوراً اقامة الادارة المدنية وتهيئة اوضاع البلد لارساء اسس الوطن القومي اليهودي : فاعلان في حفل تنصيبه ، في ٨ تموز (يوليو) ١٩٢٠ ، اعادة فتح مكاتب تسجيل الأراضي (الطابور) ، التي اغلقت منذ نشوب الحرب العالمية الاولى ، وازال بذلك عقبة رئيسية من طريق مؤسسات شراء الأراضي الصهيونية ، كانت تمثل نشاطها ؛ إذ ان نقل ملكية الارض يتم رسمياً في مكاتب الطابور فقط . واستكمالا لذلك ، انشئت ، فيما بعد ، محاكم لتسوية نزاعات ملكية الأراضي ، وقسم للمساحة (٤) . وكان صموئيل قد اعلن أيضاً ، في المناسبة نفسها ، توسيع مجال الاشغال العامة ، كشق الطرق واقامة المنشآت وغير ذلك مما كانت الحكومة تموله . وكان عند لا بأس به من المهاجرين اليهود الجدد يحتاشون ، على اثر قدومهم الى فلسطين ، من عملهم في تلك الورش . ووعده صموئيل ايضاً بانشاء ادارة مدنية للاشراف على السكك الحديدية ، وتعهده ببذل جهود لاقامة محطات توليد للكهرباء ، واتشاء اجهزة اتصال تليفرافية ، ولتجفيف المستنقعات وتحسين الاوضاع الصحية والثقافية . وغيرها (٥) . وفي آب (اغسطس) ١٩٢٠ ، استؤنفت الهجرة الى فلسطين (٦) على اثر صدور قانون خاص بذلك ، سمح بموجبه بدخول ١٦.٥٠٠ مهاجر يهودي الى فلسطين ، خلال سنة . اما في تشرين الاول (اكتوبر) من السنة نفسها ، فقد أصدر صموئيل امراً اعتبرت العبرية بموجبيه لغة رسمية في فلسطين ، (بالاضافة الى العربية والانكليزية) ، قبل أن يقر ذلك بموجب صك الانتداب . وان لم تستعمل العبرية في الاقضية التي يقل فيها عدد السكان اليهود عن الخمس (٧) .

وفي الوقت نفسه ، صدرت اوامر بالعفو عن الحكوميين بسبب اضطرابات نيسان . من عرب ويهود ، ومن بينهم أمين الحسيني وعازف العارف وزئيف جابوتينسكي ، فيما بدا خطوة اولى على طريق سياسة « المحافظة على التوازن » بين العرب واليهود . اما فيما يتعلق بنظام الحكم في فلسطين ، فقد اعلن صموئيل نيته في تشكيل مجلس استشاري ، لاسداء النصح للمندوب السامي بشأن ادارة البلد . وتقرر ان يرئس المندوب السامي نفسه هذا المجلس ، المكون من عشرين عضواً ، نصفهم من الموظفين البريطانيين ، والنصف الآخر من الفلسطينيين . بينهم سبعة من العرب (اربعة مسلمين وثلاثة مسيحيين) ، وثلاثة من اليهود (٨) . وفي مقابل ذلك ، اقيمت تدريجياً ادارات مختلفة ، على شكل نواثر ، كانت اكثرية كبار الموظفين فيها (بما في ذلك جهازا القضاء والاعداء العام) من البريطانيين (٩) .

صك الانتداب ومضمونه

كان مجلس عصبة الامم ، المنعقد في سان ريمو ، قد قام ايضاً ، قبيل اتخاذ قراره بفرض الانتدابين البريطاني والفرنسي على بلدان المشرق العربي ، بمناقشة مشروع صك الانتداب على فلسطين ، الذي قدمته بريطانيا ، ولكنه لم يصادق عليه نهائياً . وقد تأجلت المصادقة لفترة غير قصيرة ، لأسباب عديدة . منها أن ايطاليا علقت موافقتها على القرار ، الى ان يستجاب لطلباتها المتعلقة بمناطق تركيا الآسيوية (١٠) . كذلك رفضت تركيا « التنازل عن حقوقها » في المشرق العربي ، ولم يتم ذلك الا عند توقيع اتفاقية سيفر ، في ١٠ آب (اغسطس) ١٩٢٠ . الا ان تلك الاتفاقية لم تحظ بالمصادقة النهائية من قبل السلطات التركية ، على اثر تسلّم اتاتورك الحكم في البلد . كذلك حرصت بريطانيا ، من ناحيتها ، على حمل الولايات المتحدة ،

التي اجمعت عن الانضمام الى عصبة الامم ، على الاعتراف بمشروع اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ولم يتم ذلك الا في ٣٠ حزيران ١٩٢٢ . عندما اتخذ الكونغرس الامريكى ، نتيجة جهود بللها الصهيونيين والبريطانيون ، قرارا يعلن فيه ان الولايات المتحدة « تجبذ انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين »^(١١١) . ولم تكتف بريطانيا بذلك ، بل حملت الولايات المتحدة ، عند توقيع المعاهدة البريطانية - الامريكية سنة ١٩٢٤ ، على ادخال نص وعد بلفور في مقدمتها ، بشكل تفوح منه رائحة الموافقة على الانتداب البريطاني في فلسطين ، وذلك لقاء منح مواطني الولايات المتحدة تسهيلات تجارية في البلد ، والسماح لشركة امريكية بالتنقيب عن النفط في منطقة النقب ، في جنوب فلسطين^(١١٢) . وبعملها هذا ، ضمننت بريطانيا موافقة كل النول الكبرى على مشروع اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين (وكانت فرنسا واطاليا قد اعلنتا موافقتهما على ذلك سنة ١٩١٨) . كذلك ساهمت معارضة العرب الفلسطينيين ، التي تبنتها لوائح نافذة في بريطانيا ، من جهة ، واعادة النظر في مصر شرق الأردن ، من قبل بريطانيا ، من جهة اخرى ، في تأخير المصادقة النهائية على صك الانتداب ، من قبل عصبة الأمم . ولم يتم ذلك الا في ٢٤ تموز ١٩٢٢ .

ولكن على الرغم من هذا التأخير ، كانت نصوص الانتداب هي الأساس القانوني ، الذي استند اليه الحكم المدني البريطاني في فلسطين ، منذ بدايته في الأول من تموز ١٩٢٠ . ولم يكن من المستغرب ، والحال هذه ، ان يبذل الصهيونيون جهودا كبيرة لصوغ صك الانتداب بالشكل الذي يخدم مصالحهم . وكانت المفاوضات بين الحكومة البريطانية والحركة الصهيونية من جهة ، وبين المجموعات الصهيونية المختلفة مع بعضها البعض من جهة اخرى ، بشأن اقرار الصيغة النهائية لصك الانتداب ، قد استمرت لاكثر من سنة ؛ اذ بدأت في مطلع سنة ١٩١٩ ولم تنته الا خلال الأشهر الأخيرة من السنة التالية . وقدمت ، خلال هذه الفترة ، مشاريع عدة من قبل الحركة الصهيونية ، وتبولت بينها وبين الحكومة البريطانية نحو ١٠ صيغ وصيغ مضادة^(١١٣) ، قبل الاتفاق على نص صك الانتداب النهائي واقتراره^(١١٤) .

بدأت المحاولات لصياغة صك الانتداب في آذار (مارس) ١٩١٩ . عندما قدم الزعيم الصهيوني الامريكى فرانكفورتسر مسودة نص خاصة به ، في محاولة للتوفيق بين وجهات النظر الصهيونية المختلفة في هذا الصدد . وفي الشهر نفسه ، بدأت المرحلة الأولى من المصادقات بشأن النص بين الصهيونيين والسطات البريطانية ، واستمرت حتى منتصف تموز من السنة نفسها ، حيث تم وضع مشروع الصك الأول . وفي ايلول (سبتمبر) بدأت جولة جديدة من المصادقات فيما يتعلق بهذا المشروع ، استنادا الى ملاحظات كان بلفور قد قدمها ، في حينه ، على اقتراحات الصهيونيين مؤتمر الصلح . وانتهت هذه المرحلة في منتصف كانون الأول (ديسمبر) من السنة نفسها ، باقرار « نص موثق متفق عليه »^(١١٥) بين الصهيونيين والبريطانيين . ولكن مع اقرار الانتداب البريطاني على فلسطين ، في نيسان ١٩٢٠ ، راحت السلطات البريطانية تعيد النظر في الصك لعرضه على مجلس عصبة الأمم للمصادقة عليه . وانتهت هذه المرحلة في حزيران من السنة نفسها ، ولكن الفرنسيين والاطاليين فوجئوا بهذا النص بسبب « لهجته اليهودية »^(١١٦) ، فاضطر البريطانيون الى اعادة النظر فيه ، مرة اخرى ، محاولين التخفيف من تلك اللمجة . الا ان الصهيونيين علموا بالامر ، فبذلوا كل ما في وسعهم لمنع ذلك ، ونجحوا

في مساعيهم تلك ، إذ أمنت مصالحهم ؛ بموجب النص النهائي الذي اُنقِصَ اعداده في منتصف كانون الأول ١٩٢٠ (وهو النص الذي وافق عليه مجلس عصبة الأمم أخيراً) كما يشتهون ، وذلك على حساب حقوق العرب الفلسطينيين ومصالحهم^(١٧) . فقد كان الهدف الأساسي من اقرار نصوص صك الانتداب ، بالشكل الذي تم فيه ذلك ، العمل على اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، مساعدة سكان البلد للحصول على استقلالهم ، كما كان الهدف من تبني نظام الانتداب عموماً . وهناك من يدعي ان فرض الانتداب البريطاني على فلسطين ، بسبب نواقصه تلك ونتيجة لتعارضه مع نصوص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم وروحها ، وهي المادة التي تشكل الاساس القانوني لنظام الانتداب بأسره ، كان عملاً غير شرعي^(١٨) . غير أن ذلك لم يمنع بريطانيا ، على أية حال ، من حكم فلسطين بموجبه .

ويظهر حرص وأضعف صك الانتداب على تحويله الى أداة لتحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، في بنود عدة منه ، بما في ذلك مقدمته ، التي تضمنت نص تصريح وعد بلفور . وكان الصهيونيون قد شطبوا من مشروع الصك الذي قدموه ، حتى تلك الفقرة ، من وعد بلفور ، القاضية بالمحافظة على الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، إلا ان الفقرة اعيدت اليه ، بسبب اصرار مندوب فرنسا على ذلك في مؤتمر سان ريمو . ويعد ان تنازل عن تحفظاته من بنود أخرى في الصك^(١٩) . غير ان الصهيونيين نجحوا ، في مقابل ذلك ، في ادخال فقرة اخرى الى المقدمة ، كانوا قد فسطوا في ادخالها الى نص وعد بلفور في حينه ، تنص على ان فرض الانتداب البريطاني على فلسطين وتنفيذ وعد بلفور ، يعدان « اعترافاً بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين ، والدوافع التي تبعت على اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد » . وتجد مقدمة صك الانتداب هذه تعبيراً عنها في عدد من موادها ، التي تفسرها وتضع الشروط والالتزامات الكفيلة بتنفيذها : فالمادة الثانية من الصك تنص ، مثلاً ، على ان « تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ... وتطوير انظمة الحكم الذاتي ، وضمان الحقوق المدنية والدينية [لا السياسية] لجميع سكان فلسطين ، بصرف النظر عن الاجناس والاديان » . اما المادة الرابعة ، فتدعو حكومة الانتداب الى الاعتراف « بوكالة يهودية ... كهيئة عسومية تشير وتعاون في ادارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية ، وغير ذلك مما يؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وتساعد وتشترك في تطوير البلاد ، تحت اشراف حكومتها الدائم ، ويعترف بان المنظمة الصهيونية العالمية هي هذه الوكالة ... ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان نظامها وتشكيلها يجعلانها صالحة وملائمة لهذا الغرض » . كذلك يسدى صك الانتداب النصح للمنظمة الصهيونية العالمية بأن « تتخذ ما يلزم من التدابير ، بعد استشارة الحكومة البريطانية ، للحصول على معونة [اليهود غير الصهيونيين] الذين يرغبون في المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي » . وفرضت المادة السادسة من الصك ، على حكومة الانتداب « ان تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في ظروف ملائمة ، وتنشط ، بالاتفاق مع الوكالة اليهودية .. استيطان اليهود في الأراضي الزراعية ، بما فيها الأراضي المدورة والأراضي البور غير المطلوبة للأعمال العمومية » . وجاء في المادة السابعة ان « على حكومة فلسطين ان تسن قانوناً للجنسية يتضمن نصوصاً بتسهيل حصول اليهود ، الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً ، على الجنسية الفلسطينية » . وسمحت المادة الحادية عشرة لحكومة فلسطين بأن « تتفق مع الوكالة اليهودية .. على ان تدير او تستثمر ، بشروط

الانصاف والعدل ، الاعمال والمصالح العمومية ، وتطور مرافق البلاد الطبيعية ، بحيث لا تتولى الحكومة بنفسها هذه الامور مباشرة . و اخيرا ، اعترفت المادة الثانية والعشرون باللغة العبرية لغة رسمية في فلسطين ، باعلانها ان « تكون الانكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية في فلسطين » (٢٠) . وكانت الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين قد اجمعت ، في حينه ، عن اتخاذ مثل هذه الخطوة .

رسم حدود فلسطين الشمالية

كانت القضية الثانية التي بحثها مجلس عصبة الامم في سان ريمو ، فيما يتعلق بفلسطين ، هي قضية حدود البلد ، رغم انه لم يتخذ ، آنذاك ، قرارا نهائيا بشأنها . وكانت مسألة الحدود هذه موضع خلاف بين بريطانيا وفرنسا ، اللتين استمرت المفاوضات بينهما بهذا الشأن فترة غير قصيرة . وقد انحصر الخلاف بين الدولتين في مسألة حدود فلسطين الشمالية والشمالية - الشرقية فقط : فالحدود الغربية هي البحر ، والجنوبية ، بين فلسطين ومصر ، كانت تلك التي فرضتها بريطانيا على تركيا سنة ١٩٠٦ ، ثم بقيت على حالها بعد اقرار الانتداب البريطاني على فلسطين ، بينما خضع تعيين الحدود الشرقية لمشئنة بريطانيا وحدها ، التي كانت تسيطر على فلسطين (وشرق الاردن) والعراق . ووفقا لاتفاقية سايكس - بيكو ، كانت حدود فلسطين الشمالية تقع على خط مستقيم يمتد من شمال مدينة عكا الى شمال بحيرة طبريا . لكن هذه الحدود لم تحظ برضى البريطانيين والصهيونيين ، الذين وحدوا جهودهم للعمل على توسيعها ، لتضم - على حد تعبير لويد جورج - « فلسطين التوراتية » ، « من دان [في الشمال] الى بئر السبع [في الجنوب] » ، بحيث تقع ضمنها مصادر المياه في الشمال ، كنهري الليطاني وبانياس وبحيرة الحولة وغيرها (٢١) . وكانت لجنة الشرق التابعة لمجلس الحرب البريطاني ، التي اجتمعت في كانون الاول سنة ١٩١٨ ، للبحث في طلبات بريطانيا بشأن فلسطين ، في مؤتمر الصلح ، قد اوصت ايضا بـ « بذل كل جهد ... لتأمين تعديل عادل لحدود فلسطين ، في الشمال والشرق والجنوب » (٢٢) .

وثناء انعقاد مؤتمر الصلح ، في اوائل سنة ١٩١٩ ، اثيرت مسألة حدود فلسطين الشمالية ، ودار نقاش واسع بشأنها ، استمر وقتا غير قصير . فقد طالبت بريطانيا بتوسيع تلك الحدود نحو الشمال ، لتضم مصادر المياه في المنطقة ، او - في حال عدم الاستجابة لطلبها هذا - حمل فرنسا على الالتزام بعدم تحويل مجاري نهر الاردن ، اذا وقعت في المنطقة الخاضعة لانتدابها ، حتى لا تحرم فلسطين من المياه الضرورية لها . ولدعم هذه الطلبات ، اعلن لويد جورج امام المؤتمر « ان بريطانيا ستوافق فقط على قبول انتداب على فلسطين حقيقية ، فلسطين التاريخ القديم ، التي يجب الا تقتصر على صحور يهودا الجرداء ، التي يمكن ان تحول ، في أية لحظة ، الى صحراء بقطع المياه عنها ... » (٢٣) . الا ان المندوب الفرنسي رفض الاستجابة للطلبات البريطانية ، موضحا ان المياه في الشمال ضرورية ايضا للري الأراضي التي ترميها . وحاول الصهيونيون الضغط على المؤتمر ، اثناء انعقاده : فقام برانديس ، بايعاز منهم ، بارسال برقية الى لويد جورج ، في ١٦ شباط (فبراير) ١٩١٩ ، طالبا منه العمل على توسيع حدود فلسطين الشمالية ، لتضم نهر الليطاني ومصاب المياه في جبل الشيخ ، وكذلك سهل الجولان وحوران . غير ان المندوب الفرنسي رفض هذا الطلب ايضا ، وعلق على البرقية بقوله

انها تدل على ان لدى برانديس شعورا مبالغيا فيه ، بأهمية شخصه (٢١) . ولقد انفض مؤتمر الصلح دون اتخاذ قرار بشأن الحدود .

غير ان البريطانيين لم يتوقفوا عن مساعيهم الهادفة الى تعديل حدود فلسطين الشمالية ، واستمرت ضغوطهم على الحكومة الفرنسية ، الى ان تكلفت اخيرا بالنجاح . فخلال المفاوضات بشأن الاتفاقية البريطانية - الفرنسية ، التي وقعت في منتصف ايلول ١٩١٩ واعترفت بريطانيا بموجبها بالنفوذ الفرنسي في سوريا ، استطاع البريطانيون اقناع الفرنسيين بالموافقة على توسيع الحدود : فاستبدل خط الحدود الشمالية ، الذي كان قد رسم بموجب اتفاقية سايكس - بيكو ، بخط آخر ، شبه مستقيم ، يمتد من الناقورة الى شمال بحيرة الحولة . ولكن حتى هذه الحدود الجديدة لم تحظ برضى البريطانيين والصهيونيين : اذ بقيت مصادر المياه الرئيسية في الشمال خارجها ، فجددوا ضغوطهم على فرنسا . ومنذ منتصف سنة ١٩٢٠ ، بدأت جولة جديدة من المفاوضات بين البريطانيين والفرنسيين ، لتسوية المشاكل المتعلقة بالحدود وغيرها . الناجمة عن فرض الانتداب البريطاني والفرنسي على بلدان المشرق العربي . وانتهت تلك المفاوضات باتفاقية بين الطرفين ، وقعت في كانون الاول ١٩٢٠ (٢٥) . وقد نصت تلك الاتفاقية ، فيما نصت عليه ، على توسيع حدود فلسطين الشمالية ، مرة اخرى ، بشكل يضم ذلك المستطيل من الاراضي (« الاصبع ») ، الواقع الى الشمال من طبريا ، مع المستوطنات اليهودية الموجودة فيه ، وهي المطة وثل حاي وكفار غلعادي وغيرها ، التي كانت قد تعرضت لهجوم العرب عليها في آذار ١٩٢٠ (٢٦) . وفي مقابل ذلك تم الاتفاق على السماح لسلطات الانتداب البريطاني باستغلال فائض مياه نهري اليرموك والاردن لري اراضي فلسطين (٢٧) . كما نصت الاتفاقية على ضرورة تعيين لجنة من قبل الدولتين ، لرسم الحدود على الطبيعة . وقد باشرت هذه اللجنة - بعد تعيينها - عملها في مطلع سنة ١٩٢٢ ، ورسمت الحدود من البحر المتوسط حتى القمة ، بشكل ضمت معه بحيرتا طبريا والحولة وجزء من مصادر مياه نهر الاردن الى فلسطين . وفي السنة التالية ، وقعت اتفاقية جديدة بين بريطانيا وفرنسا بشأن الحدود ، اعتمدت تقرير لجنة الحدود تلك ، الذي رفع الى عصبة الأمم ايضا (٢٨) . ولكن على الرغم من ذلك ، بقيت مسألة الحدود بين بانياس والمطة معلقة ، ثم سويت في مطلع السنة التالية ، ١٩٢٤ (٢٩) . وخلال السنوات التالية ، طرأت تعديلات اخرى طفيفة على الحدود الشمالية بين فلسطين ولبنان وسوريا ، الى ان رسمت نهائيا سنة ١٩٢٦ (٣٠) .

المؤتمر الفلسطيني العربي الثالث (١٩٢٠)

في اثناء تطبيق هذه الاجراءات وقبلها ، استمر عرب فلسطين في ابداء معارضتهم اياها ، ومعارضتهم الوطن القومي اليهودي عموما . فبعد صدور قرارات مؤتمر سان ريمو بشأن فرض الانتداب البريطاني على فلسطين ، دعي المؤتمر الفلسطيني العربي الثاني للانعقاد ، خلال ايار (مايو) ١٩٢٠ ، للبحث في السياسة التي ينبغي انتهاجها بعد التطورات الجديدة . الا ان السلطات العسكرية البريطانية منعت عقد المؤتمر ، وفرضت ايضا ، بدعوى الحفاظ على سياسة « التوازن » ، حظرا على عقد دورة لجمعية النواب في المجلس الملي اليهودي (كنيسيت يسرائيل) ، كان من المقرر عقدها في الشهر نفسه (٣١) . ومع قدوم هربيرت صموئيل الى

فلسطين ، انهمك الزعماء العرب في متابعة نشاطه ، للوقوف على سياسته ، بينما وقعوا ، في الوقت نفسه ، وتحت تأثير خيبة الأمل التي أصابتهم بعد سقوط حكم فيصل في دمشق ، في تعوز ١٩٢٠ ، وتأثير ذلك على مستقبل فلسطين . ولذلك لم يعقد المؤتمر الفلسطيني العربي الثالث الا في نهاية السنة .

جابهت المؤتمر الثالث ، الذي انعقد في حيفا ، في ١٣ كانون الاول ١٩٢٠ ، مشاكل صعبة . اذ وجد نفسه ملزما بوضع أسس استراتيجية فلسطينية جديدة ، في ضوء فرض الانتداب البريطاني على فلسطين من جهة ، ومن جهة اخرى سيطرة الفرنسيين على سوريا (خصوصا ان الزعماء الفلسطينيين كانوا يصرون ، حتى ذلك الوقت ، على اعتبار فلسطين جزءا منها ويطالبون بإقامة حكومة واحدة للمنطقة بأكملها) . وبعد مداوات استمرت خمسة ايام ، اتخذت قرارات يشتم منها السكوت على الواقع الجديد ، في كل من فلسطين وسوريا . فقد طالب المؤتمر بريطانيا بـ « المبادرة الى تشكيل حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي ينتخب اعضاءه الشعب المتكلم باللغة العربية القاطن في فلسطين » (٣٢) ، دون ان تصدر عنه أية طعون في شرعية الانتداب البريطاني أو أي تلميح الى الوحدة مع سوريا . والواضح ان السكوت عن المطالبة بهذه الوحدة يعود الى سيطرة الفرنسيين على سوريا ، رغم وجود من يزعم ان ذلك تم ايضا « نكاية » بفيصل الذي « تخلى » عن فلسطين في مؤتمر الصلح . وهما كانت الدوافع التي حدث بالمؤتمر الى اتخاذ هذا الموقف ، فقد كانت قراراته بداية مرحلة جديدة ، نشطت فيها الحركة الوطنية الفلسطينية منفردة . دون الاهتمام ، صوما ، بما يجري في الدول المجاورة ، التي انتهجت الحركات الوطنية العربية فيها ، بدورها ، النهج نفسه فاعرضت عن الاهتمام بما يجري داخل فلسطين . واستمرت هذه المرحلة نحو ١٦ عاما ، حتى سنوات ١٩٢٦ - ١٩٢٩ ، حين وجهت الدول العربية انظارها الى ما يجري في فلسطين ، بعد نشوب الثورة الكبرى في البلد آنذاك ، وبعد ان كان الوطن القومي اليهودي قد نما بشكل ملحوظ .

وقد اتصفت القرارات الاخرى ، التي اتخذها المؤتمر الفلسطيني العربي الثالث ، بالاعتدال ايضا : اذ اكتفى باعلان ان « الشعب غير راض عن شكل الادارة الحالية ، لانها مخالفة لرغائبه وحقوقه » (٣٣) ، لاسباب عدة ، منها : ١ - اتخاذ [الادارة البريطانية] صلاحية سن القوانين لنفسها ، اي بدون مجلس تشريعي نيابي منتخب ، وقبل صدور قرار عصبة الامم النهائي : ٢ - اعترافها بالمنظمة الصهيونية كهيئة رسمية : ٣ - شروعها بتنفيذ المارب الصهيونية ، بادخالها المهاجرين الصهيونيين ، واستعمالها العبرية لغة رسمية ، وسكوتها على وجود راية صهيونية : ٤ - تأليفها مجلسا استثماريا عينته تعيينا ، لتوهم ان في فلسطين مجلسا تشريعيًا يمثل السكان : ٥ - وجود زعماء صهيونيين في اعلی مراكزها ، مع ان فلسطين هذه هي البلاد المقدسة للعالمين النصراني والاسلامي ولا يجوز وصول امرها الى ايد غير اسلامية او نصرانية ... (٣٤) ولكن على الرغم من ذلك ، « فان هذا المؤتمر يرفع لبريطانيا العظمى شكره [لانه] على يقين تام من ان طلبه [تشكيل حكومة وطنية] مصانف خير قبول واسرع تلبية ، وان المتردد في اجابته استدامة لما لا ضرورة له وما يمكن تجنبه من استياء الشعب العربي ، وتحميل الشعب البريطاني نفقات باهظة في سبيل الراحة الداخلية والخارجية » (٣٥) .

رغم هذه القرارات المعتدلة ، من حيث موقف المؤتمر من الحكومة البريطانية ، ورغم انتخاب لجنة تنفيذية من الوجهاء الفلسطينيين المعتدلين ، برئاسة موسى كاظم الحسيني ، أعلن المندوب الساسي رفضه الاعتراف بالمؤتمر ، مدعيا انه لا يمثل الشعب الفلسطيني . فشنت على الاثر حملة من التحريض ، اقترنت باصدار البيانات والنشرات وعقد الاجتماعات العامة في اماكن مختلفة ، تأييدا للمؤتمر ، مما اضطر صموئيل الى اعادة النظر في قراره ، فاتجه الى فتح حوار مع اولئك الزعماء ، وابلغهم انه على استعداد للاعتراف بأية هيئة من العرب ، تمثل قطاعا مهما من الشعب ، شرط الا تصدر عنها اية قرارات او اقتراحات تتناقض مع شروط الانتداب . وقد امتنع الزعماء الفلسطينيون عن الموافقة على هذه المقترحات ، ولكنهم استجابوا لامكانات اقامة علاقات شخصية ودية مع المندوب الساسي (٣٦) (أما المجلس الملي اليهودي فقد وافق على تلك الشروط ، فأعترف هريبرت صموئيل به) .

واستمر صموئيل في سياسته الهادفة الى تقديم تنازلات طفيغة للزعماء الفلسطينيين ، والسعي الى كسب ود بعضهم ، في محاولة للحفاظ على الهدوء في البلد ، ما دام ذلك لا يتعارض مع اسس الانتداب ولا يؤثر معارضة الصهيونيين من جهة ، ويكفل المصالح البريطانية من جهة اخرى . ولم يمر الا نحو شهرين على انعقاد المؤتمر الفلسطيني الثالث ، حتى سنحت لصموئيل فرصة تطبيق تلك السياسة مرة اخرى ، ففي اذار ١٩٢١ ، توفي مفتي القدس ، كامل الحسيني ، فاتجهت الانظار الى انتخاب خلف له . وكان منصب الافتاء يعادل آنذاك في اهميته منصب رئاسة البلدية . وبما ان المنصب الاخير كان من نصيب آل النشاشيبي ، بعد ان تم تعيين راجب النشاشيبي رئيسا لبلدية القدس ، بعد اقالة موسى كاظم الحسيني ، كان لا بد ، حفاظا على « التوازن » من ان يكون الافتاء من نصيب آل الحسيني . ووقع الاختيار على الحاج امين الحسيني لشغل المنصب ، واضطرت السلطات الى اجراء مناورات لتأمين انتخابه . بعد ان كان صموئيل قد اجتمع به (٣٧) واتفق معه . ففي الجولة الاولى من الانتخابات ، جاء الحاج امين الحسيني رابعا في القائمة ، خصوصا بعد ان رشح آل النشاشيبي مناهسا قويا له . هو الشيخ حسام الدين جارالله . وكان المرشح لرئاسة الافتاء ينتخب من بين الفائزين الثلاثة الأوائل فقط . ولهذا سارعت السلطات الى تقديم اغراءات للشيخ جارالله ، حملته على سحب ترشيحه ، بحيث بقي ثلاثة مرشحين فقط ، فعين من بينهم الحاج امين مفتيا ، رغم ان هذا التعيين لم يثبت في اية وثيقة رسمية (٣٨) .

وهناك تفسيرات مختلفة للدوافع التي حدث بصموئيل الى اختيار الحاج امين الحسيني ، دون غيره ، لمنصب الافتاء ، عدا عن الرغبة في المحافظة على التوازن بين آل الحسيني وآل النشاشيبي ، ومن ثم استغلال التنافس التقليدي بين العائلتين لشق صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية . فقد كانت عائلة الحسيني تتوارث هذا المنصب ، اساسا ، وكانت في الوقت نفسه ، ممثلة بشخص زعيمها موسى كاظم الحسيني ، تلعب دورا مهما في قيادة الحركة الوطنية ، ولذلك كان البريطانيون مهتمين بارضائها وكسبها . كما كان الحاج امين الحسيني نفسه قد لعب دورا بارزا في احداث ١٩٢٠ في القدس . وكان تعيينه في وظيفة مرموقة كقبلا يدفعه للانضمام الى حلفاء السلطة او ، على الاقل ، تقييده .

حدود فلسطين الشرقية

فيما كان هربيرت صموئيل يخطو خطواته الأولى في فلسطين ، كانت الحكومة البريطانية قد قررت إعادة النظر في سياستها المتعلقة بالشرق العربي عموماً ، وبتلك المناطق التي خضعت لانتدابها (فلسطين وشرق الأردن والعراق خاصة) . ولهذه الغاية عقد في القاهرة ، في مطلع آذار ١٩٢١ ، مؤتمر للمسؤولين البريطانيين في المنطقة ، من سياسيين وعسكريين وأدبيين ، برئاسة ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني آنذاك ، لوضع أسس السياسة البريطانية الجديدة . وقرر المؤتمر ، فيما قرره ، أن ينصب فيصل ، الذي كان الفرنسيون قد طردوه من سوريا ، ملكاً على العراق الخاضع للانتداب البريطاني . واثناء انعقاد المؤتمر ، كان الأمير عبد الله ، شقيق فيصل ، قد وصل من الحجاز إلى عمان في شرق الأردن ، على رأس قوة من أتباعه ، لمهاجمة الفرنسيين في سوريا ، مما دفع البريطانيين إلى التدخل للسيطرة على الوضع . ولذلك اجتمع تشرشل ، في أواخر الشهر نفسه ، عند قدومه إلى القدس ، بالأمير عبد الله واتفق معه على « إدارة شرق الأردن تحت الإشراف العام للندوب السامسي في فلسطين » (٣٩) . ثم راحت تتوثق علاقات عبد الله بالبريطانيين ، الذين وافقوا على تزويده بالمستشارين وبالساعات الاقتصادية . وفي سنة ١٩٢٢ زار الأمير لندن ، وتوصل إلى اتفاق مع البريطانيين ، اعترف أولئك بموجبه بوجود « حكومة مستقلة » (٤٠) برئاسة في شرق الأردن . واستكمالاً لهذا الاتفاق ، تقرر التسري على شرق الأردن البنود المتعلقة بإقامة الوطن القومي اليهودي من بنود صك الانتداب على فلسطين . وفي مرحلة لاحقة ، اتخذت السلطات البريطانية مادة خاصة بهذا الشأن في صك الانتداب (المادة ٢٥) ، وحصلت على موافقة مجلس عصبة الأمم عليها (٤١) . وقبل أن يقر نص صك الانتداب البريطاني على فلسطين من قبل عصبة الأمم ، في ٢٤ أيلول ١٩٢٢ ، أصدرت السلطات البريطانية ، في الأول من الشهر نفسه ، ما سمته مرسوم تعيين حدود فلسطين لسنة ١٩٢٢ ، وفصلت بموجبه شرق الأردن عن فلسطين ، ورسمت الحدود بينهما بموجب « خط يمتد من نقطة تبعد ميلين غربي مدينة العقبة ، الواقعة على خليج العقبة ، إلى وسط وادي عرابة والبحر الميت ونهر الأردن عند ملتقى هذا النهر بنهر اليرموك ، ومن ثم تمتد إلى وسط نهر اليرموك فالحدود السورية » (٤٢) . وبذلك مهدت الطريق لإقامة إمارة شرق الأردن ، وتعيين عبد الله أميراً عليها . وحاول الصهيونيون الاحتجاج على هذه الإجراءات ، مدعين أن شرق الأردن ليس إلا « أرض - إسرائيل الشرقية » ويجب أن يكون مشمولاً في المنطقة المخصصة لإقامة الوطن القومي اليهودي ، على الرغم من أن وعد بلفور أو صك الانتداب لا يشير إلى أية حدود ، إلا أن اعتراضاتهم رفضت (٤٣) . ويدعي البعض أن الهدف من تأسيس إمارة شرق الأردن على هذا الشكل ، وعزلها عن المنطقة المخصصة لإقامة الوطن القومي ، كان إيجاد مأوى للعرب الفلسطينيين الذين سيضطرون إلى ترك ديارهم بسبب تنفيذ المشروع الصهيوني . ومهما كانت هذه الادعاءات صحيحة ، فمن الواضح أن السلطات البريطانية أصرت بحزم ، يكاد يكون قاطعاً ، على منح أي تسلسل صهيوني إلى الشرق من نهر الأردن ، خلال فترة الانتداب بأكملها (٤٤) ، على الرغم من أن عدداً من المشايخ والأمراء في شرق الأردن ، أبدوا استعدادهم ، أكثر من مرة ، « للتعاون » مع الصهيونيين والسماح لهم حتى بإقامة مستوطنات على أراض كانوا يسيطرون عليها هناك (٤٥) .

واكتمالا لتنفيذ السياسة التي اقرها مؤتمر المسؤولين البريطانيين الذي عقد في القاهرة برئاسة تشرشل ، اصدرت الحكومة البريطانية ، في حزيران ١٩٢١ ، كتابا ليوضح موقفها من العراق . وعلى الاثر ، وصل الامير فيصل الى بغداد كمرشح للعرش ، حيث جرى استفتاء ، توج فيصل على اثره ، في ٢٣ آب ١٩٢١ ، ملكا على العراق .

اضطرابات ايار ١٩٢١

اثناء وجود تشرشل في القاهرة ، قررت اللجنة التنفيذية المنتخبة من قبل المؤتمر الفلسطيني العربي الثالث ، تشكيل وفد للسفر الى هناك وعرض مطالب الفلسطينيين عليه . وقد قابل تشرشل الوفد على مضض ، وامتنع عن بحث القضايا السياسية معه ، موضحا انه سيستقبل اعضاء الوفد في القدس ، عند وصوله اليها في اواخر اذار . في اجتماعه بهم هناك طلب الزعماء الفلسطينيون منه العمل على الغاء وعد بلفور ، وايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وتسهيل اقامة حكومة وطنية منتخبة في البلد . فأجاب تشرشل بأن الغاء وعد بلفور ، وايقاف الهجرة اليهودية ليسا « ضمن صلاحياته » ولا يتفقان « مع رغباته »^(٤٦) ، ولكنه اضاف ان مصالح العرب الفلسطينيين ستصان ، وان انشاء الوطن القومي لا يعني « قيام حكومة يهودية تسيطر على العرب »^(٤٧) .

لم يحظ موقف تشرشل هذا برضى العرب الفلسطينيين ، الذين سرعان ما وجدوا مناسبة للتعبير عن غضبهم . ففي اواخر نيسان ١٩٢١ ، اي بعد مرور شهر على اجتماع تشرشل بالوفد الفلسطيني ، وزع حزب العمال الاشتراكي اليهودي (الموسي) ، نوايا الميول الشيوعية ، نشرات باللغات العبرية والايديش والعربية في تل ابيب ويافا ، تدعو العمال اليهود والعرب الى الامتناع عن العمل والتظاهر بمناسبة عيد العمال ، وتحثهم ايضا على اقامة سوفيت فلسطيني^(٤٨) . وفي الاول من ايار نظم الحزب تظاهرة غير مرخصة ، انطلقت من تل ابيب الى يافا ، واصدمت بتظاهرة اخرى قادها حزب احداث هعفوداه . وعندما حاولت الشرطة تفريق تظاهرة الموسي ، لجأ اعضاؤه الى حي المنشية في يافا ، مما اثار شائعات عن قيام اليهود بمهاجمة العرب ، فقاموا بهجوم على فندق مخصص لاستقبال المهاجرين اليهود الجدد ، وقتلوا عددا من نزلائه^(٤٩) . وسرعان ما امتدت الاضطرابات الى مناطق اخرى من فلسطين ، واستمرت بضعة ايام ، هاجم العرب خلالها عددا من المستوطنات اليهودية ، منها بيتح تكفا ورحوفوت والخضيرة^(٥٠) . واسفرت هذه الاضطرابات ، عدا عن الاضرار بالملكات ، عن مقتل ٤٧ وجرح ١٤٦ يهوديا ، اصيب معظمهم من قبل العرب ، ومقتل ٤٨ وجرح ٧٣ عربيا^(٥١) ، اصيب معظمهم من قبل الشرطة والجيش . واعلن الزعماء العرب ، بعد الاضطرابات ، مقاطعة اليهود^(٥٢) ، غير ان هذا الاجراء لم يستمر طويلا .

ومع انتهاء الاضطرابات ، عينت السلطات البريطانية لجنة للتحقيق في اسبابها ، برئاسة قاضي القضاة في فلسطين السير توماس هايكرافت . وافادت لجنة هايكرافت ، في تقريرها الذي نشرته في تشرين الاول ١٩٢١ ، ان اسباب تلك الاضطرابات تكمن في الشعور « بعدم الرضى لدى العرب ، وعدائهم لليهود ، لاسباب سياسية واقتصادية تتعلق بالهجرة اليهودية ، وفهمهم للسياسة الصهيونية »^(٥٣) . واكدت اللجنة ايضا « ان المشكلة تتعلق

بخوف العرب من الهجرة اليهودية المستمرة الى فلسطين ، التي قد تؤدي الى سيطرة اليهود عليهم (٥١) .

صموئيل يعيد النظر

لم تمر اضطرابات ايار ١٩٢١ دون ان تترك اثارها . وكان صموئيل نفسه من بين من اثرت فيهم . فقد دفعته الى النظر في سياسته الفلسطينية (٥٥) . واسلوب حل المشاكل التي تواجهه ، ومن ثم العمل على اقناع لندن بوجهة نظره . وكان صموئيل ، من خلال ممارسته عمله كمندوب سام ، قد تكونت لديه قناعة باستحالة تنفيذ البرنامج الصهيوني بحده الاقصى ، او الاستجابة لكل طلبات الصهايونيين : نظرا لمعارضة العرب من ناحية ، وضعف الحركة الصهيونية وقلة امكانياتها المالية من ناحية ثانية . وكان من نتيجة ذلك ان عجزت المؤسسات الصهيونية في فلسطين حتى عن استيعاب تلك القلة من المهاجرين التي وصلت الى البلد حتى تلك الوقت ، مما ساهم في تفاقم المشاكل الاقتصادية التي سيطرت عليه خلال سنتي ١٩٢١ - ١٩٢٢ ، وادى الى تقوية شعور لدى صموئيل بأن الصهايونيين لاسيما وايزمان ، قد « خدعوه » ، عندما حملوه على القبول بمنصب المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، بعد ان اوهموه بأنهم قوة يمكن الاعتماد عليها ، في البلد وخارجها (٥٦) . وجاءت اضطرابات ايار لتخلق مشاكل جديدة ، وتزيد تلك القناعات لدى صموئيل رسوخا ، ولتدفعه الى بلورة سياسة (انتهجها حتى نهاية ولايته سنة ١٩٢٥) تستند الى العمل اولا على تأمين المصالح البريطانية في فلسطين (٥٧) ، من خلال تحميل بريطانيا اقل مدى ممكن من الاعياء الاقتصادية والسياسية ، خصوصا ان اوضاعها الاقتصادية لم تكن على ما يرام ، في مطلع العشرينات . كما كانت تعاني من اضطرابات سياسية في مستعمراتها . اما العرب فقد دعت تلك السياسة الى التساهل معهم (٥٨) وتقديم « التنازلات » لهم ، مادام ذلك لا يمس اساس نظام الانتداب ، بواسطة تشجيع الزعماء المعتدلين بينهم ، ومحاولة استيعاب المتطرفين منهم باغداق المناصب والالقاء عليهم واقامة علاقات شخصية ودية معهم من جهة ، وضرب الطرفين ببعضهما البعض ، ومحاولة الهائهما بقضايا جانبية من جهة اخرى . اما الصهايونيون (الضلع الاخير في مثلث الصراع الفلسطيني - البريطاني - الصهيوني) فقد كان عليهم ان يحصلوا على التسهيلات الملائمة لحجمهم فقط ، دون الاهتمام باحاديثهم عن كبار الامور ، حتى لو ادى ذلك الى اغصابهم ، ومن ثم دفعهم الى اعتماد سياسة النفس الطويل اسلوبا لاقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين (٥٩) .

كانت اولى دلائل سياسة صموئيل هذه ، خطاب القاه يوم ٣ حزيران ١٩٢١ ، بمناسبة عيد ميلاد ملك بريطانيا ، قدم فيه تفسيرا جديدا لوعده بلقور ، انكر بموجبه ان يكون هدف بريطانيا من ذلك الوعد تمكين الغرياء من السيطرة على عرب فلسطين . واماكنهم المقدسة وارضيتهم ، بل السماح لعدد من اليهود ، يحدد وفق مصالح السكان الحاليين ، بالقدوم الى البلد والمساهمة في تطويرها ، بما يتلاءم مع مصلحة جميع سكانها (٦٠) . وفي نهاية خطابه ، قال صموئيل : « لو رأينا انفسنا في حاجة الى اتخاذ اية اجراءات لاقناع السكان المسلمين والمسيحيين بأن الحكومة ستراعي عمليا ، وفي تطبيقها ، هذه المبادئ وتحافظ على حقوقهم محافظة تامة ، فاننا لن نتوانى عن اتخاذها ، وليس من المعقول ان تفرض الحكومة

البريطانية ، التي أصبحت وصية على سعادة اهل فلسطين بموجب انتدابها عليها ، اية سياسة ، يجدون ما يبرر لهم الظن في انها تتعارض مع دياناتهم ومع مصالحهم السياسية والاقتصادية^(٦١) . وقد ساهم هذا الخطاب في تهدئة خواطر بعض الزعماء الفلسطينيين المعتدلين ، بينما قام وايزمن ، في اول فرصة سنحت له بتقديم احتجاج الى لويد جورج . غير ان تشرشل اعلن في البرلمان البريطاني في اثناء حديثه عن المشكلة الفلسطينية ، في ١٤ حزيران ١٩٢١ ، « انه يتتبع ، بثقة عظيمة جدا ، أعمال السير هربرت صموئيل ، ويعطيها كل ما هو ممكن من التأكيد »^(٦٢) .

كما كان بين الاجراءات التي اتخذها صموئيل ايضا ، على اثر اضطرابات ايار ، ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين مؤقتا . وبعد هدوء الاوضاع ، استؤنفت الهجرة الى البلد ، ولكن بموجب قانون آخر . فقد استبدل قانون الهجرة الاساسي بأخر جديد ، قسم المهاجرين الى فلسطين بموجبه الى اربع فئات - وقد شملت الفئة (ا) « كل شخص يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق رأس مال لا يقل عن الف جنيه » ، او ٥٠٠ جنيه اذا كان « ينتسب الى احدى المهن الحرة » ، او اذا كان له « ايراد ثابت لا يقل عن اربعة جنيهات في الشهر ، ما عدا الايراد الذي يكسبه بنفسه »^(٦٣) . اما الفئة (ب) ، فقد شملت « الاشخاص المؤهلة لهم اسباب المعيشة » ، مثل الايتام في مؤسسات الرعاية الاجتماعية وذوي الوظائف الدينية والطلبة ، بينما ضمت الفئة (ج) « الاشخاص الذين لهم امل ثابت في الاستخدام في فلسطين » ، واخيرا الفئة (د) ، التي شملت اولئك « الذين يعيولهم احد المقيمين الدائمين او المهاجرين في فلسطين ، ممن ينسبون الى [الفئات] السابقة »^(٦٤) . ولم تفرض أية قيود على دخول المهاجرين من الفئات (ا) ، (ب) ، (د) ، بينما نظمت اجراءات دخول المهاجرين من الفئة (ج) ، وهم العمال ، على شكل منح الصهيونيين حق التحكم في دخولهم الى فلسطين . مع ما في الامر من اهمية : اذ كان العمال من « فئة » المهاجرين من اكبر فئات المهاجرين عددا . وبموجب هذا الترتيب ، منحت انظمة الهجرة اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في فلسطين الحق في ابلاغ مدير الهجرة « بوجود امل معقولة لاستخدام عدد من الاشخاص في فلسطين ، سواء بذكر اسمائهم او بدون ذكرها ، وأن تطلب منه ان يأتين لهم بدخول [البلد] على ان ترفق كل طلب بكفالة لاعالة الشخص او الاشخاص الذين قدمت الطلبات بشأنهم لمدة لا تقل عن سنة واحدة »^(٦٥) . ويقوم مدير الهجرة ، على الاثر ، باعداد « جداول [مهاجرين] عمال ، معتبرا في ذلك الاقتراحات التي تبديها اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بهذا الشأن »^(٦٦) . ودرجت العادة على اعداد جدولين كل سنة ، ينشر الاول منهما في آخر ايلول ، والثاني في اخر آذار ، ويحددان « اقصى عدد من اصحاب الحرف والصناعات والمهن المختلفة »^(٦٧) ، الذين يحق لهم الدخول كمهاجرين الى فلسطين خلال الفترة المعنية . ومع اقتراح هذه الجداول بموافقة المندوب السامي ، تصدر اذونات هجرة وترسل « الى اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في فلسطين لتوزع بمعرفتها »^(٦٨) . وقد استغلت الوكالة اليهودية الصلاحيات التي منحتها ، في التأثير على تعيين اعداد المهاجرين ثم الاشراف على عملية توزيع اذونات الهجرة عليهم ، لاندخال فئات معينة من المهاجرين اليهود الى فلسطين ، تتوافر لديهم الشروط الملزمة لاتجاهاتها السياسية او الاقتصادية ، وحجبت ، مثلا ، الاذونات عن الفئات

الصهيونية المناوئة لها ، مما عمق الخلافات داخل المعسكر الصهيوني .

بين صموئيل والفلسطينيين والصهيوتيين

حاول صموئيل ، نتيجة الفتناعات التي تكونت لديه على أثر اضطرابات ايار ١٩٢١ ، العمل على تعديل السياسة البريطانية في فلسطين ، فقد دخل ، أولا ، في حوار مع وايزمن لاقناعه بوجهة نظره ، إلا أن محاولاته باءت بالفشل . كذلك حاول حمل الحكومة البريطانية على إعادة النظر في سياستها الفلسطينية ، الا انه فشل في ذلك ايضا ، نتيجة تدخل وايزمن^(٦٦) . وكانت الحكومة البريطانية قد عقدت جلسة ، في منتصف ١٩٢١ ، لبحث سياستها الفلسطينية ، الا ان ذلك لم يسفر إلا عن تحويل مسؤولية حكم فلسطين من وزارة الخارجية الى وزارة المستعمرات ، والتشديد مجدداً على ضرورة الالتزام بوعد بلفور ، وظهر في مذكرة تقدم بها تشرشل ، لتبحث في تلك الجلسة ، انه راح يعيد النظر في موقفه^(٦٧) . ولكن كان على صموئيل ان يعمل طوال سنة كاملة حتى يقنع الحكومة البريطانية بوجهة نظره ، ويحملها على تبنيها رسمياً .

اما الزعماء الفلسطينيون ، فقد سارعوا ، على اثر اضطرابات ايار ، الى عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع في الشهر نفسه . وتبنى المؤتمر القرارات ذاتها ، التي كان قد أقرها المؤتمر الثالث ، ولكنه قرر أيضا ارسال وفد الى بريطانيا لشرح مطالب الفلسطينيين لحكومتها . واجتمع الوفد ، خلال وجوده في بريطانيا ، بأكثر من زعيم بريطاني ، وقدم في ١٢ اب ١٩٢١ مذكرة الى الحكومة البريطانية ، « حليفة العرب » ، طالب فيها بحل المشكلة الفلسطينية على اساس « انشاء حكومة وطنية تكون مسؤولة أمام مجلس نيابي (برلمان) منتخب من السكان الذين قطنوا فلسطين قبل الحرب ، من مسلمين ومسيحيين ويهود ... [و] الغاء فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .. [و] ايقاف الهجرة اليهودية [اليها] بينما تؤلف حكومة وطنية ... [وحكمها] بموجب القانون العثماني الذي كان معمولاً به قبل الحرب ، وان تلغى جميع الشرائع والقوانين التي سنت بعد الاحتلال البريطاني ، وان لا تسن قوانين الا بعدما تشكل حكومة وطنية »^(٦٨) ، وأخيراً - عودة الى مطلب قديم - « عدم فصل فلسطين عن اخواتها المقاطعات العربية المجاورة لها »^(٦٩) . وفي ٢٤ تشرين الأول ١٩٢١ ، قدم الوفد مذكرة ثانية الى وزير المستعمرات البريطاني ، طالبا تبليغها للحكومة البريطانية ، ومعرفة رأي وزارة المستعمرات فيها ، ومؤكداً « ان ٩٢ في المئة من سكان فلسطين يؤيدون القضية التي نعرضها لكم ... [و] ان استياء اهالي فلسطين المهم والمتزايد ناشيء عن اعتقادهم الاكيد بأن سياسة الحكومة البريطانية الحالية موجهة الى طردهم من بلادهم او جعلهم لا شيء فيها ، لكي تجعلها مملكة قومية للشهاجرين اليهود »^(٧٠) . ولم تسفر هذه الاتصالات عن اية نتيجة ، عدا قيام صموئيل بدعوة عدد من الوجهاء الفلسطينيين ، في اثناء وجود الوفد في لندن ، وفي محاولة منه لضعف مركزه ، للتشاور معه بشأن مشروع دستور فلسطين المقترح . غير ان المدعويين رفضوا الدخول في نقاش بشأن تلك المسألة ، موضحين ان من السابق لأوانه القيام بذلك ، قبل البت في مصير الانتداب .

ومع حلول الذكرى الرابعة لوعد بلفور ، في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ ، تجددت

الاضطرابات في فلسطين . ولكن على نطاق ضيق هذه المرة ، اسفر عن مقتل خمسة من اليهود وثلاثة من العرب . وكانت الهاغاناه قد تعلمت درسا من اضطرابات ايار ، إذ اتخذت ما اعتبرته ضروريا من الاجراءات للدفاع عن اليهود (٧٤) . ومن ناحية ثانية ، ساهم بعض وجهاء المسلمين في تهدئة الخواطر والحد من انتشار الاضطرابات ، ولكن التوتر بقي على حاله .

المجلس الاسلامي الاعلى

على الرغم من تلك التوتر ، وجد صموئيل ان الاوضاع في فلسطين ، في نهاية سنة ١٩٢١ ، كانت هادئة لدرجة تسمح له باجراء مناورات « توازن » جديدة ، وهذه المرة « مساواة » المسلمين باليهود ، من حيث ادارة شؤونهم الدينية . وكان اليهود قد اجروا انتخابات ، في ١٩ نيسان ١٩٢٠ ، لاختيار اعضاء اول مجلس ملي يهودي ، من بين صلاحياته الاشراف على ادارة شؤونهم الدينية ايضا . وافتتح المجلس اول دوراته في ٧ تشرين الاول ١٩٢٠ . وفي الرابع والعشرين من الشهر نفسه ، اعترف صموئيل « باللجنة القومية » (فاعاد ليثومي) (التنفيذية) المنبثقة عنه ، شرط اعترافها بالانتداب وتعليماته (٧٥) . ولذلك كان من الضروري اقامة مؤسسات مماثلة ، ترمي شؤون المسلمين والمسيحيين الدينية . ولكن ادارة شؤون المسيحيين كانت في ايدي رؤساء طوائفهم ، الذين فضلت حكومة الانتداب عدم التدخل في شؤونهم ، بحيث لم يبق إلا المسلمون . ولذلك اصدرت السلطات ، في اذار ١٩٢١ ، امرا بتشكيل لجنة لمراقبة ادارة الاوقاف الاسلامية والمحاكم الشرعية (٧٦) - فاضطرب الشيوخ والعلماء لان احدا لم يستشرهم قبل اصدار هذا القرار ، الذي يحد ، بحسب رأيهم ، من صلاحياتهم . وسارعت السلطات الى تعديل موقفها ، فاصدرت في ٢٠ كانون الاول ١٩٢١ ، امرا بتشكيل المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى ، ومنحته صلاحيات شبه مطلقة للاشراف على ادارة شؤون المسلمين الدينية . وكان من بين هذه الصلاحيات تخويل المجلس صلاحية ترشيح قضاة المحاكم الشرعية مفتشيها ، وقضاة محكمة الاستئناف الشرعية ورئيسها . ثم تعيينهم ، بعد موافقة الحكومة . واذا استنعت الحكومة عن منح موافقتها ، كان عليها ابلاغ المجلس بالاسباب التي دفعتها الى ذلك خلال ١٥ يوما . كما انيطت بالمجلس مسؤولية تعيين رجال الافتاء ، ومدير ومأموري الاوقاف ، وكل موظفي المحاكم الشرعية ، والاشراف على لجنة الاوقاف العامة وكل لجان الاوقاف الاخرى . ومنح المجلس ايضا صلاحية اقالة موظفي الاوقاف او المحاكم الشرعية او اية مؤسسة اخرى تمول من اموال الوقف . وكانت قد قدرت (سنة ١٩٢٠) مساحة الاراضي الخاضعة لادارة الاوقاف ، صنف الوقف الصحيح ، بنحو ١٠٠ الف دونم ، يتراوح الدخل السنوي منها بين ١٠ و ٢٠ الف ليرة فلسطينية ، بالإضافة الى ٧٥ - ١٠٠ قرية عربية ، تتراوح مساحة اراضيها بين ٧٥٠ ألف ومليون دونم ، معظمها من صنف الميري الموقوفة ، ويبلغ الدخل من اعشارها الذي يدفع للوقف ، نحو ٢٠ الف ليرة سنويا (٧٧) . وهذان الدخلان شكلا ، في حينه ، نحو ثلاثة ارباع دخل ادارة الاوقاف السنوي (٧٨) .

كذلك سمح للمجلس الاسلامي الاعلى ، اضافة الى الصلاحيات التي اشرنا اليها ، بوضع ميزانيته السنوية الخاصة به ، وفق ما يريته ، عن ان يقوم فقط بابلاغ الحكومة بتلك بعد مصادقته عليها (٧٩) . وجرت الانتخابات لاختيار اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى الاول

سنة ١٩٢٢ . وانتخب الحاج أمين الحسيني رئيسا له ، بالإضافة الى احتفاظه بمنصب المفتي .

تعميق الخلافات بين العرب

جاء اعلان سلطات الانتداب تشكيل المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى - ربما من حيث لا تدري - بمثابة صب الزيت على نار الانقسام بين مسلمي فلسطين ، الذين كانوا يشكلون آنذاك اكثر من ثلاثة ارباع سكان البلد . اثر ذلك ، بشكل واضح ، في قدرة عرب فلسطين على متابعة قضيتهم الوطنية ، خصوصا بعد ان تمكنت الفرقة من صفوفهم ، ولم يستطع أحد رآب الصدع . فقد صعدت الانتخابات للمجلس ، التي سمح لكل المسلمين الذكور الراشدين بالاشتراك فيها . من حدة التنافس بين الالحسيني وال النشاشيبي ومناصري كل منهم ، بحيث ، لم يلبث . على حد تعبير احد معاصري تلك الفترة - ان صارت الحسينية والنشاشيبية علما حزبيا لانصار كل من الاسرتين ومظهرا من مظاهر التنافس بينهم ومشغلة من مشاغلهم وكان حرمان العرب من الحكم دافعا لهم الى الاتجاه نحو المجلس والتلهي به وتعليق اوسع الامال عليه كاستجابة ايجابية الى تلك الرغبة ، فكان في ذلك منار غيرة وحسد ومنافسة وسخط ورضاء وحرمان ونوال ومنح استغل القوى استغلال من جانب السلطات والمعارضين معا ، حتى جاء وقت كاد المسلمون ينسون فيه الحكومة وملايينها ودوائرها والإف موظفيها وقوانينها ومدارسها ... لتتخسر انظارهم في المجلس ، يدققون في اعماله وتصرفاته ومشاريعه ، وينبشون عن كل صغيرة وكبيرة فيه ، وتحقق عيونهم في العشرات المحدودة من الالف جيبهاته والعشرات المحدودة من موظفيه والساحة الضيقة المتأهبة من اعماله الانشائية والمادية ، ويقومون بالاسفار والرحلات ويعقدون الاجتماعات ويؤلفون الجبهات في صدد ذلك كله ، ويجدون في هذا تلميحا لرغبة الحكم وفشا لشهوة النقد ، اللذين حرموهما «(٨٠)» . وكان من نتائج ذلك « ان قويت المهاترات والمناورات وانقسم المسلمون [وتبعهم المسيحيون. ايضا] الى معسكرين متعاديين «(٨١)» هما : الـ « مجلسيون » ، اي انصار المجلس والحسينيون عامة . والـ « معارضون » للمجلس ، اي انصار النشاشيبيين عامة . واتدمج الناس في هذين التيارين ، « بتأثير ما اعتادته فلسطين وما لم تنقطع صلتها به من حزبية القيسية واليمينية ، ونسوا او كادوا ينسون القضية الوطنية «(٨٢)» .

ويتضح من تصرفات سلطات الانتداب انها كانت سعيدة جدا بهذا الصراع ، فقد بذلت كل ما في وسعها للابقاء عليه وتعميقه . ففي سنة ١٩٢٦ . انتهت ولاية المجلس الاولى ، وجرت انتخابات لاختيار اعضاء جدد . غير ان المعارضة طعنت في شرعية تلك الانتخابات ونزاهتها ، فقضت المحكمة العليا ببطالها . وعلى الأثر سارعت السلطات الى سن قانون خاص ، شكلت بموجبه مجلسا جديدا من المفتي وانصاره ، وعينت لجنة لدراسة التعديلات التي ينبغي اinoxالها على نص قانون المجلس الأصلي . وقدمت اللجنة تقريرها في سنة ١٩٢٨ ، ونشر في السنة التالية على شكل مشروع قانون جديد(٨٣) . غير ان الاضطرابات التي نشبت في فلسطين ، في تلك السنة ، حالت دون اقراره ؛ فبقى المفتي رئيسا معينًا للمجلس ، ببركة سلطات الانتداب ، حتى سنة ١٩٢٧(٨٤) ، عندما اقليل من منصبه بسبب الدور الذي لعبه في الثورة العربية

الكبرى في فلسطين (١٩٣٦ - ١٩٣٩) . ولكن ، حتى ذلك الوقت ، كان المفتي قد استغل نفوذه وصلاحياته ، بموجب منصبه ، لتجميع الانصار حوله بشكل جعله اقوى رجل في فلسطين . مما ساهم في توسيع رقعة الخلاف مع المعارضة ومؤيديها ، وادى الى فقدان أي أمل في التوفيق بين الطرفين . وانعكس هذا الخلاف الشديد سلبا على القضية الفلسطينية .

الكتاب الابيض سنة ١٩٢٢

على الرغم من انهماك الفلسطينيين ، في مطلع سنة ١٩٢٢ ، في الصراع على انتخابات المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى ، وجدت الزعامة الفلسطينية متسعا من الوقت لارسال وفد اخر من قبلها الى بريطانيا ، للتباحث مع حكومتها . ووصل الوفد الى هناك في الوقت الذي كانت وزارة المستعمرات تعمل فيه على تحديد اسس السياسة البريطانية بشأن فلسطين (وهي تلك التي تضمنتها الكتاب الابيض الذي اصدره وزير المستعمرات تشرشل في ٢ حزيران ١٩٢٢) . وحال وصول الوفد الى لندن ، دخل في « المفاوضات » مع وزارة المستعمرات ، على شكل مذكرات متبادلة بين الطرفين ، كان هدف الوزارة منها حمل الوفد على القبول بأسس السياسة البريطانية المقترحة . واستمرت هذه المراسلات نحو ٣ اشهر (٨٥) ، رفض الوفد في نهايتها القبول بالمقترحات التي قدمت له من قبل الحكومة ، وفضاها القبول بوعده بلفور « مخفف » ، ودعا بريطانيا ، بدلا من ذلك ، الى العمل على تأمين مصالح سكان فلسطين المدنية والسياسية والاقتصادية ، وذلك باقامة حكومة وطنية فلسطينية مستقلة ، تتعهد بالحفاظ على الحقوق المشروعة للأجانب والاقليات والدولة (المنتدبة) (٨٦) . الا ان الحكومة رفضت طلب الوفد ، موضحة في مراسلاتها معه ، بعد ان حاولت الطعن في شرعية تمثيله عرب فلسطين ، انها لا تنوي « التراجع عن تعهدنا ... امام الشعب اليهودي » (٨٧) ، وان اقامة حكومة وطنية في فلسطين « ستمنع تنفيذ ذلك التعهد » (٨٨) الذي نص عليه وعد بلفور . كما اعتبرت الحكومة البريطانية ان « مسألة الغاء وعد بلفور غير واردة اطلاقا ولا هاندقم من بحث السياسة المترتبة على التعهدات » (٨٩) ، الواردة في ذلك الوعد . ولهذا نصحت الوفد بأن يتخذ « موقفا بناء » وان يركز جهوده في بحث « الضمانات » (٩٠) التي قد يحتاجها العرب الفلسطينيون في ظل تنفيذ مشروع الوطن القومي .

وفيما كانت المفاوضات بالمراسلات ، بين الحكومة البريطانية والوفد الفلسطيني ، تشرف على نهايتها ، وصل الى لندن ، في ايار ١٩٢٢ ، هربرت صموئيل ، وفي نيته حمل حكومته على اصدار بيان واضح بشأن سياستها في فلسطين ، بعد شعوره بأن من الضروري القيام بذلك « بعد تجرية سنتين » (٩١) في البلد . ولم يضع صموئيل وقتاً طويلاً لتحقيق هدفه : فحتى الرابع والعشرين من الشهر نفسه ، انتهى وضع مسودة بيان ، وعرضه على تشرشل ، الذي وافق عليه بعد ثلاثة ايام ، بدون تعديل او اضافات (٩٢) (وهو البيان نفسه التي صدر فيما بعد تحت اسم الكتاب الابيض) . وفي الثالث من الشهر التالي ، ارسلت الحكومة البريطانية نص البيان المقترح الى المنظمة الصهيونية ، طالبة منها تعهداً صريحاً بقبوله والعمل بموجبه (٩٣) . كما ارسلت نسخة مماثلة الى الوفد الفلسطيني ، مرفقة بالطلب نفسه .

وفي رده ، تمسك الوفد الفلسطيني بموقفه السابق الرافض للمقترحات البريطانية (٩٤) ،

وبعث بمذكرة الى وزير المستعمرات ، بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٢٢ ، أوضح فيها انه يرى ان الهدف من الكتاب هو تمكين اليهود من السيطرة على فلسطين . في نهاية الأمر ، كما اعرب الوفد عن مخاوفه من ان يؤدي اصرار بريطانيا على اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، الى « اخضاع او ضياع السكان العرب في فلسطين وضياع لغتهم وثقافتهم » (٩٥) . اما الصهيونيون ، فقد حاولوا العمل على تعديل الكتاب الابيض لمصلحتهم ، الا انهم فشلوا (٩٦) . لذلك ، سرعان ما اعلنت اللجنة التنفيذية الصهيونية موافقتها على الطلبات البريطانية ، موضحة ، في رسالة بعث بها وايزمن الى وزارة المستعمرات بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٢٢ – اي بعد يوم في ارسال الوفد الفلسطيني جوابه – انها « تريد التأكيد لحكومة جلالاته ان نشاط المنظمة الصهيونية سيبدأ بموجب السياسة المنصوص عليها » (٩٧) في الكتاب الابيض . ويبدو ان ذلك تم بعد ان ابلغ الصهيونيون « بوضوح – على حد تعبير وايزمن . ان اقرار الانتداب سيكون متلقفا « بقبولهم السياسة » التي نص عليها الكتاب الابيض » . ولذلك كان عليهم – وايزمن وزملائه – « القبول بها » (٩٨) . وحتى جابوتينسكي ، عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية ، الذي اتخذ فيما بعد موقفاً متصلباً من السياسة البريطانية في فلسطين ، وحمل لواء المعارضة لزعامه وايزمن وزملائه ، كان من بين اولئك الذين ابدوا موافقتهم على الكتاب الابيض في حينه ، « دون ان يثير اية معارضة جدية » (٩٩) . لانه « شعربان واجبه الاخلاقي يدعو الى تحمل عار الهزيمة مع زملائه » (١٠٠) .

كان كتاب تشرشل الابيض ١٩٢٢ ، اول وثيقة بريطانية تتحدث بوضوح عن السياسة التي قررت بريطانيا اتباعها في فلسطين . لكن على الرغم من أهمية هذه الوثيقة ، فقد صيغت بوحى ما لا تنوي الحكومة البريطانية فعله في فلسطين (١٠١) ، و تم تحديد حقوق العرب بموجبها من خلال فرض القيود على الصهيونيين (١٠٢) . فقد جاء في الكتاب الابيض انه وضع « بغية الوصول الى حل للمسائل المتعلقة التي افسحت مجالاً للغموض والتلق ... والتوتر الذي ساد فلسطين من حين الى آخر » ، بسبب « مخاوف اخذت تساور بعض طبقات من السكان العرب واليهود » (١٠٣) . ولذلك كان من الضروري ازالة تلك المخاوف ، بتوضيح حقوق كل من العرب واليهود ، من وجهة النظر البريطانية ، باعلان « التزام مزدوج » (١٠٤) تجاه الطرفين . فقد قدم الكتاب ، اولاً ، تفسيراً جديداً لوعده بلفور ، باعلان ان الحكومة البريطانية « لم تفكر قط باخضاع او محو السكان العرب او القضاء على لغتهم وادابهم في فلسطين .. وهي تلقت النظر الى ان عبارات [وعده بلفور] لا تشير الى تحويل فلسطين بجمليتها وجعلها وطناً قومياً لليهود ، بل تعني ان وطننا كهذا يؤسس في فلسطين » (١٠٥) . ثانياً ، وبالنسبة لليهود ، « فتمنى سأل سائل ما هو معنى تطوير الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، يمكن ان يجاب على ذلك بأنه لا يعني فرض الجنسية اليهودية على اهالي فلسطين اجمالاً ، بل زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع انحاء العالم ، حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية . ولكن حتى يكون للطائفة اليهودية امل وطميد في تقدمها البحر ، ويفسح للشعب اليهودي مجال واف كي تظهر فيه مقدراته ، كان من الضروري ان يعلم بأن وجوده في فلسطين هو حق لا منة . وذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان انشاء الوطن القومي اليهودي دولياً ، والاعتراف رسمياً بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة » (١٠٦) . وهذا هو ، انن ، ما « تفسره حكومة جلالاته تصريح [بلفور] ... ، ويرى

وزير المستعمرات أن هذا التصريح ، إذا فهم على هذا الوجه ، لا يتضمن صراحة ، أو ضمنا ، شيئا من شأنه أن يثير مخاوف عرب فلسطين أو يسبب استياء اليهود» (١٠٧) .

وتطرق الكتاب الأبيض الى الوسائل التي ستتبعها الحكومة البريطانية لتنفيذ تلك السياسة ، فأعلن أن « من الضروري ، لتطبيق هذه السياسة ، تمكين الطائفة اليهودية في فلسطين من زيادة عددها عن طريق الهجرة» (١٠٨) ، شرط أن يخضع ذلك « لقدرة البلاد الاقتصادية» (١٠٩) على استيعاب أولئك المهاجرين إذ ذاك . أما بشأن نظام الحكم ، « فقي عزم حكومة جلالتة تأسيس حكومة ذاتية واسعة النطاق في فلسطين ، ولكنها ترتئي ، بالنظر للظروف الخاصة في تلك البلاد ، أن يتم ذلك تدريجيا لا طفرة» (١١٠) واعتبرت الحكومة البريطانية أن الخطوة الأولى على هذه الطريق قد اتخذت عند تأسيس المجلس الاستشاري ، و « أن النية تنجه الآن الى اتخاذ خطوة ثانية بتأليف مجلس تشريعي تختار أكثرية أعضائه على أساس انتخابي واسع» (١١١) . ولكن « في رأي وزير المستعمرات أن من الحكمة أن يمر وقت ما قبل توسيع الحكم الذاتي في فلسطين ، وقبل تحويل المجلس صلاحية المراقبة على السلطة التنفيذية ، وبعد وضع سنوات يعاد النظر في حالة البلاد . فإذا أسفر الاختيار في سير النظم الدستورية التي يراد تأسيسها بعد الآن عن نجاح ، تعطى صلاحية أوامر لنواب الشعب المنتخبين» (١١٢) .

ولقد بقيت السياسة التي أعلنت بموجب هذا الكتاب الأبيض ، سارية المفعول ، على وجه العموم ، حتى سنة ١٩٢٩ ، عندما تغيرت بموجب كتاب أبيض آخر صدر آنذاك .

المجلس التشريعي

مع نشر كتاب تشرشل الأبيض ، سارت الاجراءات الهادفة الى وضع الاسس الدستورية لنظام حكم الانتداب البريطاني في فلسطين ، بخطى حثيثة . ففي ٢٤ تموز ١٩٢٢ ، أقر مجلس عصبة الأمم نص صك الانتداب ، الذي عرضته عليه الحكومة البريطانية ، في ضوء التفسيرات التي تضمنها الكتاب الأبيض . وما أن مر أسبوعان على ذلك ، حتى نشرت سلطات الانتداب في فلسطين ، في ١٠ آب ، ما أسمته مرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ . ومنح المندوب السامي البريطاني ، بموجب هذا المرسوم ، صلاحية حكم البلد باعتباره رأس السلطة التنفيذية فيها ، وذلك وفقا « للمراسيم والتعليمات التي قد يصدرها جلالة [ملك بريطانيا] ... من أجل تنفيذ صك الانتداب ... او للتعليمات التي تصدر اليه بواسطة احد وزرائه . ووفقا لكافة التفاريع والقوانين المعمول بها الآن ، او التي سيعمل بها فيما بعد ، في فلسطين» (١١٣) ، وعلى أن يساعده في تادية مهامه هذه « مجلس تنفيذي لاسداء المشورة» (١١٤) ، تعين اعضاءه الحكومة البريطانية . وضح المندوب السامي أيضا ، جميع الحقوق في الأراضي العمومية ... والمناجم والمعادن والمياه» (١١٥) ، وسمح له بأن « يهب أو يؤجر اية ارض من الأراضي العمومية او اية معدن او منتج ، وله بأن يأذن باشغال مثل هذه الأراضي بصفة مؤقتة وبالشروط والمدة التي يراها ملائمة» (١١٦) . كما منح المندوب صلاحية تعيين الموظفين وأقالمتهم . ومنح العفو عن الجرائم .

ونص المرسوم أيضا على اقامة « سلطة تشريعية » ، على شكل مجلس تشريعي ، يؤلف

من اثنين وعشرين عضواً ، بالإضافة الى المندوب السامي ، ويكون « عشرة من هؤلاء الاعضاء موظفين واثنان عشر منهم اعضاء غير موظفين » (١١٧) ، منهم ثمانية من المسلمين واثنان من المسيحيين واثنان من اليهود ، ينتخبون ، في انتخابات عامة ، من قبل جميع الفلسطينيين الذين تجاوزوا الخامسة والعشرين من اعمارهم . وكان مرسوم انتخاب المجلس التشريعي الفلسطيني لسنة ١٩٢٢ (١١٨) ، الذي حدد اجراءات الانتخابات ، قد صدر في اليوم نفسه الذي اعلن فيه مرسوم دستور فلسطين ، أي ١٠ آب ١٩٢٢ . وخولت السلطات المجلس التشريعي « السلطة والصلاحيه التامة في اصدار ما تدعو الضرورة اليه من القوانين ، من اجل السلام والنظام وحسن ادارة الحكم في فلسطين ، دون اخلال بالسلطات المنوطة بجلالته او الاحتفاظه بها ... على ان تراعى في ذلك ، دائماً ، جميع الشروط والقيود المقررة في اية تعليمات يصدرها جلالته ... ولا يجوز ان يصدر قانون يكون مناقضاً او مخالفاً لاحكام صك الانتخاب بوجه من الوجوه » (١١٩) . ولكن ، من ناحية ثانية ، كانت صلاحيات المجلس محددة للغاية : ان لا يعمل بأي قانون ما لم يوافق عليه المندوب السامي « (١٢٠) ، الذي يستطيع « ان يعطى موافقته او عدم موافقته على اي قانون بمحض ارادته » (١٢١) .

كذلك نص مرسوم دستور فلسطين على اقامة « سلطة قضائية » ، مؤلفة من محاكم مختلفة ، وامر بان « تنشر باللغات الانكليزية والعربية والعبرية ، كافة القوانين والاعلانات الرسمية والنماذج الرسمية التي تصدرها الحكومة » (١٢٢) .

وصدر بموجب هذا المرسوم ، في وقت لاحق ، منشور يقضي بتقسيم فلسطين ، ادارياً ، الى ثلاثة الوية وثمانية عشر قضاء ، هي : (ا) لواء القدس ومركزه القدس ، ويشمل اقصية بيت لحم والخليل واريحا والقدس ورام الله : (ب) اللواء الشمالي ، ومركزه حيفا ، ويشمل اقصية عكا وبيسان وحيفا وجنين وناבלس والناصره وصفد وطبريا وطولكرم : (ج) اللواء الجنوبي ، ومركزه ، يافا ، ويشمل اقصية بئر السبع وبزة ويافا والرملة (١٢٣) (وادخلت في مراحل لاحقة ، خلال السنوات ١٩٢٧ : ١٩٣٩ : ١٩٤٥ ، تعديلات على هذه التقسيمات الادارية ، لتوزيع عبء المسائل الادارية ، على اثر نمو الوطن القومي اليهودي وانتشار المستوطنات الصهيونية في فلسطين) .

وقد حاولت الحكومة البريطانية ، بعد اعلان السياسة التي اشرنا اليها ، الحصول على موافقة العرب واليهود عليها . وكان الطرفان قد اطلعا على تفاصيل تلك الوثائق الدستورية : اي مرسوم دستور فلسطين ، ومرسوم انتخابات المجلس التشريعي ، عندما عرض عليها الكتاب الابيض . وقد اعتبر الصهيونيون تلك السياسة بمثابة « خفض جدي في قيمة وعد بلفور » (١٢٤) ، لأنها فصلت « ارض - اسرائيل الشرقية » (اي شرق الاردن) عن المنطقة المخصصة لاقامة الوطن القومي اليهودي ، واثارت قضية المجلس التشريعي ، الذي خشي الصهيونيون من تحوله الى اداة بأيدي الاكثية العربية ، تستغلها لعرقلة النمو الصهيوني . كذلك تحفظ الصهيونيون من مسألة ربط الهجرة اليهودية الى فلسطين بقدرة البلد الاقتصادية على استيعاب المهاجرين الجدد . وظهرت المعارضة قوية بين اليهود في فلسطين بشكل خاص : إلا ان القيادة الصهيونية (رغمتمهم على تغيير موقفهم ، حتى لا يفشلوا صومئيل (١٢٥) .

اما فيما يتعلق بالعرب ، فقد اعلنت اللجنة التنفيذية الفلسطينية ، في بيان اصدرته يوم ٨

تموز ١٩٢٢ ، انها من ، خلال رفضها للانتداب أساسا ، لا تستطيع الموافقة على اجراءات دستورية تستند اليه . ودعت اللجنة الى عقد مؤتمر فلسطيني جديد « كي يضع الخطط الجديدة التي تراها الأمة أضمن وأقرب للوصول الى الغاية الاساسية » (١٢٦) . وعقد المؤتمر الجديد ، وهو الخامس ، في ٢٠ اب ١٩٢٢ ، في نابلس ، واتخذ سلسلة من القرارات ، كان من أهمها « تأييد رفض نظام الانتداب باسم فلسطين ... [و] رفض دستور فلسطين الجديد ومقاطعته انتخابات المجلس التشريعي ... [و] مقاطعة اليهود في الشراء وبيع الاموال غير المنقولة ، عل ان يعهد للجنة التنفيذية تعيين ميعاد وكيفية تطبيقها » (١٢٧) . كما اقر المؤتمر الخامس « ميثاقا وطنيا فلسطينيا » ، اعلن بموجبه الالتزام بتحقيق استقلال فلسطين والوحدة العربية ، ورفض الوطن القومي اليهودي والهجرة الصهيونية (١٢٨) .

ولم تعرض سلطات الانتداب هذه المعارضة العربية اهمية كبرى ، بل سارت قدما في تنفيذ مشاريعها . ولذلك قامت ، خلال تشرين الاول ، باجراء احصاء عام للسكان في فلسطين ، كمقدمة لاجراء انتخابات المجلس التشريعي . وتبين نتيجة الاحصاء ان عدد سكان فلسطين بلغ آنذاك ٧٥٢,٠٤٨ نسمة ، منهم ٦٦٠,٦٤١ (اي ٨٧,٩٪) من العرب (ومن هؤلاء ٥٨٩,١٧٧ ، اي ٧٨,٣٪ ، من المسلمين و ٧١,٤٦٤ ، اي ٩,٦٪ ، من المسيحيين) و ٨٢,٧٩٠ (اي ١١,١٪) من اليهود . اما الباقون ، وعددهم ٧,٦١٧ نسمة (١٪) ، فينتمون الى اقلية من قوميات وجنسيات واديان مختلفة (١٢٩) . وفي اواخر شباط واولائل اذار ١٩٢٢ ، جرت انتخابات المجلس التشريعي ، إلا ان العرب أعلنوا مقاطعتها (١٣٠) . ولذلك لم ينتخب ، على الرغم من تمديد فترة الانتخاب ، الا ١٢٤ مرشحا من بين ٨٠٠ ممثل ، كان من المفترض ان يتم انتخابهم في الدوائر الانتخابية العربية (١٣١) (اما في الدوائر الانتخابية اليهودية ، فقد تم انتخاب كافة الممثلين اليهود ، وعددهم ٧٩) (١٣٢) . ووجهت ضغوط شديدة الى الذين انتخبوا من بين الاعضاء العرب في المجلس ، فاضطروا جميعا الى تقديم استقالاتهم .

وازاء افشال انتخابات المجلس التشريعي ، بواسطة مقاطعتها ، اصدرت الحكومة البريطانية ، في ٤ ايار ١٩٢٣ ، مرسوما جديدا ، اعلنت بموجبه ان « الانتخابات التي اجريت في فلسطين ... باطلة وملغاة » (١٣٣) . ولهذا « يكون للمندوب السامي [وحده] السلطة التامة في وضع القوانين الضرورية لتوطيد الامن والنظام وانتظام الحكم في فلسطين » (١٣٤) ، وذلك حتى انتخاب مجلس تشريعي جديد (١٣٥) ، وهو ما لم يتم حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٤٨ . وفي الوقت نفسه ، احييت السلطات المجلس الاستشاري ، وزادت عدد اعضائه ، من ١٠ الى ١٥ عضوا ، كلهم من موظفي الحكومة (١٣٦) ، لتجنب نفسها عناء مجابهة مقاطعة اي فئة من المعارضين لسياستها او رفضهم اياها .

وكان العرب سعداء للغاية بافشالهم مشاريع الحكومة الدستورية ، لاسيما انشاء المجلس التشريعي . غير ان اليهود كانوا اكثر سعادة ؛ فقد اشتركوا في انتخابات المجلس على مضض ، وخشوا من ان ينجح في تأدية مهامه ، فيحصل تدريجيا على صلاحيات اوسع ، ويتحول الى برلمان حقيقي تقرر سياسته الاكثرية العديدة العربية في البلد ، ويجمد الوطن القومي اليهودي . وظهر الموقف الصهيوني هذا واضحا في مطلع الثلاثينات ، عندما طرحت ، ثانية ، فكرة اعادة انشاء المجلس التشريعي ، ووافق عليها عدد من الزعماء العرب ؛ فرفضها اليهود ،

الذين كانوا قد تحولوا حتى تلك الوقت الى قوة لا بأس بها في فلسطين ، وكان لهم ما أرادوا .

اقتراح الوكالة العربية

عاد العرب ، بعد افشال المجلس التشريعي ، الى سياستهم السابقة ، بعقد المؤتمرات واصدار البيانات وارسال الوفود . فقد عقد في يافا ، خلال ١٦ - ٢٠ حزيران ١٩٢٢ ، المؤتمر العربي الفلسطيني السادس ، الذي اتخذ في ختام اعماله ، ٢٧ قرارا (١٢٧) ، كان معظمها تكرارا لقرارات اتخذت في المؤتمرات السابقة ، ولم تنفذ . وقرر المؤتمر ايضا ارسال وفد الى لندن ، غير ان عدوى الرفض كانت قد انتقلت الى بريطانيا ، فرفضت حكومتها استقبال الوفد او مفاوضته ، واصدر رئيسه بيانا جديدا ، دعا فيه الى « انشاء حكومة نيابية وطنية في فلسطين » (١٢٨) . ولم تكن الحكومة البريطانية ، من ناحيتها ، مستعدة لاستقبال الوفد انذاك ، لأن وجوده في لندن ترافق مع عقد اتفاقية سلام في لوزان ، في ٢٤ تموز ١٩٢٢ ، مع تركيا ، جاءت مكملة لاتفاقية سيفر ، التي رفض أتاتورك المصادقة عليها ، فحصلت مكانها . وازيلت بذلك آخر العقبات القانونية الشكلية على طريق اقرار الانتداب على فلسطين : فصرى مفعوله ، بشكل قاطع ونهائي ، مع سريان مفعول الاتفاقية ، في ٢٩ ايلول من السنة نفسها . لذلك لم تكن الحكومة البريطانية مستعدة لسماح الاحتجاجات على فرض نظام الانتداب على فلسطين او الطعن فيه ، من قبل العرب الفلسطينيين او غيرهم .

ولكن على الرغم من ذلك ، عادت الحكومة البريطانية فقدمت ، في اواخر سنة ١٩٢٢ اقتراحا جديدا للفلسطينيين ، يقضي بانشاء وكالة عربية ، « تشارك » في حكم فلسطين ، على غرار الوكالة اليهودية . ويبدو ان هذا الاقتراح جاء محاولة لوضع حد لحالة الامن المضطربة في فلسطين ، وتحسين اوضاع البلد الاقتصادية ، مما يوفر على بريطانيا نفقات كثيرة (١٢٩) ، لم تكن قدرتها الاقتصادية انذاك تسمح لها بتحملها . ففي ١١ تشرين الاول ١٩٢٢ ، استدعى المندوب السامي عددا من الوجهاء العرب ، من مختلف انحاء فلسطين ، الى اجتماع عقد في دار الحكومة في القدس ، لابلغهم تعليمات جديدة وصلته من وزير المستعمرات البريطاني . وخلال الاجتماع ، ابلغ المندوب السامي الزعماء العرب ان الحكومة البريطانية قد اتخذت قراراتها السياسية بشأن فلسطين ، استنادا الى وعد بلفور ، والتزامها المزدوج تجاه العرب واليهود ، وانها لا تنوي التراجع عن تلك السياسة (١٣٠) . ولكن الحكومة ترى ان الوضع في فلسطين غير مرض ، كما يتضح من تظاهرات العرب العديدة ، خصوصا تلك المتعلقة منها بالوكالة اليهودية ، والتي يفهم منها ان وجود الوكالة قد يحمل السلطات على منح اليهودية الفصليات (١٣١) . ولإصلاح هذا الوضع ، تقترح الحكومة انشاء وكالة عربية ، تمنح المركز نفسه الذي تحتله الوكالة اليهودية ، على ان يعين اعضاؤها من قبل المندوب السامي ، ويكون لها حق ابداء الرأي بشأن الهجرة ، اسوة بالوكالة اليهودية (١٣٢) ، على ان يتم ذلك بموافقة الجميع . ولهذا فوض المندوب السامي بأجراء الاتصالات مع العرب ، بينما يتصل وزير المستعمرات بقيادة المنظمة الصهيونية في لندن ، وعلى ان يعمل بهذا الترتيب ، اذا تم ، حتى انتخاب مجلس تشريعي جديد (١٣٣) . وفي نهاية الاجتماع ، اعطي المجتمعون وقتا للتساؤل بشأن ردهم ، فرفضوا ، على لسان رئيس اللجنة التنفيذية الفلسطينية موسى كاظم الحسيني ، القبول بالاقتراح .

وبعد انفضاض الاجتماع ، اصدر رئيس اللجنة التنفيذية بياناً ، علل فيه رفضه ، موضحاً ان « الاقتراح بأن يشترك العرب في ادارة بلادهم بواسطة وكالة عربية ، يتوقف تقريرها على مفاوضة عصبية الامم لتوافق عليها ، لتكون لها صفة رسمية كالوكالة اليهودية ، واعتبار ... هذا الاقتراح خطوة كبرى نحو استيفاء رغائب الشعب العربي ، قد تلقته الامة بالاستغراب العظيم . اذ كيف يعقل ان يقبلوا بهذا المشروع ، بعد ان رفضوا مشروع المجلس التشريعي والمجلس الاستثنائي ولهما صلاحية اوسع من صلاحية الوكالة . كيف يقبلون به ، وهو يجعل العرب ، اصحاب البلاد ، في مستوى واحد مع اليهود ، فضلاً عن ان اسم الوكالة يجعلهم يشعرون انهم غرباء في بلادهم ايضاً ؟ » (١٤٤) . وازاء هذا الموقف ، ابدت حكومة بريطانيا « تعجبها » من موقف الفلسطينيين ، فأعلن وزير المستعمرات ، في ٩ تشرين الثاني ١٩٢٢ ، « ان حكومته » وصلت الى نتيجة مفادها ان لا جدوى من جهود اضافية [نحو تعاون اوثق بين الجمهور العربي وحكومة فلسطين] ، ولذلك قررت عدم تكرار التجربة « (١٤٥) .

ومع اعلان هذا الموقف ، توقفت المفاوضات الجديدة بين الحكومة البريطانية والزعماء الفلسطينيين . ومرت فلسطين في فترة من الركود ، استمرت خمس سنوات متتالية .

مثلث الصراع البريطاني - الفلسطيني - الصهيوني

مع نهاية المرحلة الاولى من الانتداب البريطاني على فلسطين ، في اواخر سنة ١٩٢٢ ، كانت مواقف الاطراف الثلاثة في الصراع على فلسطين (البريطانيون والفلسطينيون واليهود) قد تبلورت وازدادت تصلباً . وظل هؤلاء ملتزمين ، عموماً ، بالمنطلقات الاساسية التي صيغت خلال هذه المرحلة حتى نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٢٩ ، على الاقل . فقد اعتبر البريطانيون ، وهم اقوى اطراف الصراع ، ان من حقهم حكم فلسطين باعتبارها منطقة نفوذ لهم ، اسوة بمناطق النفوذ الاخرى التي خصصت لهم ولحلفائهم ، بعد انتصارهم في الحرب العالمية الاولى . ولذلك لم يكونوا على استعداد للاستجابة لطلبات الفلسطينيين بشأن منحهم الاستقلال والحكم الذاتي ؛ بينما لم يدرك الفلسطينيون ، من ناحيتهم ، ان موازين القوى العالمية انذاك لم تكن تسمح لهم ولا تساعدهم ، على تحقيق اي من تلك الطلبات . ومن هذا المنطلق ، اصر البريطانيون ايضاً على تنفيذ سياسة وعد بلفور ، الهادفة الى تأمين مصالحهم عن طريق كسب ود اليهود والصهيونيين من جهة ، وحملهم على التمسك ببريطانيا للابقاء على سيطرتها في فلسطين من جهة اخرى ، لكي يستطيعوا اقامة الوطن القومي في كنفها . وكان اقصى ما وصلت اليه بريطانيا في هذا الصدد ، ازاء المعارضة العربية ، موافقتها على تقليص مفهوم الامتيازات التي منحت لليهود ، بموجب ذلك الوعد ، بالمقارنة مع تلك التي نسبت اليه ، او فهمت ضمناً منه ، عند صدوره .

اما الزعماء الفلسطينيون من ابناء العائلات الكبيرة والوجهاء والتجار وبعض المثقفين ، فلم يقدروا ، كما يبدو ، عمق المتغيرات الدولية التي نشأت اثر انتهاء الحرب العالمية ، وراحوا يتحدثون عن حق تقرير المصير والاستقلال والوحدة العربية ، في وقت لم يكن فيه احد على استعداد لسماعهم من جهة ، ولم يكن لديهم ، ولو نزر يسير ، من القوة الضرورية لتحقيق هذه المطالب ، او بعضها ، من جهة اخرى . ومن ناحية ثانية ، لم يكن باستطاعة الشعب

اللسطيني آنذاك ، موضوعيا ، خلق قيادة أخرى ، خصوصا ، انه كان خاضعا لحكم التخلف العثماني مدة اربعة قرون متتالية ، انهك خلالها الفقر والمرض والجهل قواه (وحتى سنة ١٩٢١ ، مثلا ، كما اتضح من الاحصاء العام للسكان الذي اجري آنذاك ، بلغت نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة بين العرب الفلسطينيين ١٥,٢١٪ . ٤٧,٨٠٪ بين المسيحيين و ١٠,٩١٪ بين المسلمين مقابل ٧٢,٢١٪ بين اليهود . اي ان عدد اليهود الذين يجيدون القراءة والكتابة فاق عدد العرب - ١٢٦ الف يهودي في مقابل ١١٩ الف عربي - رغم ان نسبتهم من عدد السكان العام وصلت آنذاك الى ١٦,٩٠ (١٤٦) .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، اذ سرعان ما سيطر التنافس ، كما اشرنا ، على تلك الزعامة الفلسطينية فشطرتها الى قسمين ، عرف احدهما ، (« المجلسيون » ، اي الحسينيون ومناصروهم) بأنه التيار الوطني ، بينما رفع الاخر ، (النشاشيبييون ومؤيدوهم) شعار المعارضة . وقد حرص التيار الوطني على عدم الالتزام بأي موقف علني ، تفهم منه الموافقة على وعد بلفور او الوطن القومي ، ولكن زعماءه تعاونوا ، في الوقت نفسه ، مع البريطانيين ، منفذي تلك السياسة . اما المعارضة ، فقد كانت تبدي ، بين حين وآخر ، « مرونة » في مواقفها ، يفهم منها استعدادها ، ضمن شروط معينة ، للتقاهم مع البريطانيين ، وربما مع اليهود ، وكانت تتعرض ، بسبب ذلك ، الى حملات تجريح وتشكيك شعواء . وترتب على هذه الاوضاع نشوء « رأي عام » فلسطيني ، راح يصر على ضرورة حصول الفلسطينيين على كل شيء او لا شيء . فكان نصيبهم ، عموما : لا شيء .

اما الصهيونيون فقد كانوا اكثر الاطراف واقعية : اذ قنروا قوتهم وامكاناتهم حق قدرها . فاتبعوا سياسة خذ وطالب ، ونفذوها بمرونة فائقة . فكانوا يسارعون الى الانحناء ، واحيانا الاختفاء ، عندما تهب العاصفة . ثم يعيدون ، بعد مرورها ، الى مواصلة عملهم في بناء الوطن القومي تدريجيا . لبنة بعد أخرى ، « دونم آخر وعنزة أخرى » . وتم ذلك ، الى حد كبير ، بفضل قيادة صهيونية ديناميكية وبراغماتية ، برزت خلال هذه الفترة ، في ضوء التغييرات التي طرأت على اوضاع الحركة الصهيونية في العالم ، عموما ، نتيجة للحرب .

Palestine Diary (Beirut: The Palestine Research Center, 1970), Vol. I, P- 167

Great Britain. Parliamentary (٤) Papers, end. 1499: *An Interim Report on the Civil Administration of Palestine during the period 1st July, 1920 - 30th June, 1921* (London: H. M.S.O., 1921), P- 16.

(٥) ييرسف اوليتسكي ، « معزوراه - لديناه » (من تشتت - الى دولة) ، القدس : احياساف

(١) انظر ، للتفاصيل ، صبري جريس ، تاريخ الصهيونية ، بيروت : مركز الابحاث ، م.ت.ف.، ١٩٧٧ ، الجزء الاول ، ص ٢٧٤ و ٢٧٩ .

(٢) افياتسار فرايبزل ، « هامدينيسوت هاتسيونيت لاحار هتسهارات بلفور ، ١٩١٧ - ١٩٢٢ » (السياسة الصهيونية بعد وعد بلفور ، ١٩١٧ - ١٩٢٢) ، تل - ابيب : جامعة تل - ابيب وهاكيبوتس هادبهرهاد ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٠ و ١٢٤ (بالعبودية) .

(٣) انظر أيضا ، لمزيد من التفاصيل Robert John and Sami Hadawi, *The*

Mandate for Palestine, Together with a Note by the Secretary - General Relating to its Application to the Territory known as Trans - Jordan (London: H.M.S.O., 1922).

Lloyd George, *op. cit.*, p. 1144. (٢١)

. المصدر نفسه ، ص ١١٥٥ .

. المصدر نفسه ، ص ١١٧٧ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١١٧٧ و ١١٧٩ - ١١٨٠ .

Great Britain. Parliamentary Papers, End. 1915; *Franco - British Convention for Syria and The Lebanon, Palestine and Mesopotamia* (London: H.M.S.O., 1921), (Miscellaneous No. 4, 1921).

(٢٦) أوليتسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٦ .

Franco - British Convention ..., (٢٧) *op. cit.*, p. 3.

Great Britain. Parliamentary Papers, End. 1910; *Agreement Between His Majesty's Government and the French Government respecting the Boundary Line between Syria and Palestine from the Mediterranean to El Hanné* (London: H.M.S.O., 1923), (Treaty Series No. 13, 1923).

Ibid., p. 7; Palestine. Report of the High Commissioner ..., *op. cit.*, p. 55.

(٢٠) انظر ايضاً ، المزيد من التفاصيل ،

فرايزل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٦ - ٢٠٢ . وكذلك

Report of the Executive of the Zionist Organization to XII Zionist Congress (London, 1921), I. Political Report, pp. 33-39.

(٢١) أوليتسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٤ .

(٢٢) ملف وثائق فلسطين ، القاهرة : وزارة الارشاد القومي ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٦٩ ، الجزء الاول ، ص ٢٧٧ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) المصدر نفسه .

(٢٦) عبد الروماب الكبالي ، تاريخ فلسطين

١٩٥٩ ، الجزء الاول ، ص ٢٤٢ (بالعربية) .

An Interim Report..., *op. cit.*, p. 18. (١٨)

Great Britain. Colonial Office; (٧) *Palestine. Report of the High Commissioner on the Administration of Palestine, 1920 - 1925* (London: H.M.S.O., 1925), (Colonial No. 15), p. 38.

An Interim Report..., *op. cit.*, p. 10. (١٩)

Ibid., p. 9. (٢٠)

David Lloyd George, *The Truth About the Peace Treaties* (London: Victor Gollancz Ltd, 1939), Vol. 2, p. 1175.

A Survey of Palestine (Jerusalem: Government Printer, 1946), Vol. 1, p. 21.

Leonard Stein, *The Balfour Declaration* (London: Vallentine Mitchell, 1961), pp. 598-599.

(١٢) فرايزل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢١ .

Esco Foundation for Palestine, (١٤) Inc. *Palestine: A Study of Jewish, Arab and British Politics* (New Haven: Yale University Press, 1947), Vol. 1, P. P. 164 - 177; Chaim Weizmann, *Trial and Error* (London: East and West Library, 1950), pp. 347 - 348.

(١٥) فرايزل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٢ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

(١٧) انظر ، التفاصيل ، المصدر نفسه ، ص ١٢٥ - ١٨٦ و ١٩١ .

(١٨) انظر ، مثلاً ، المزيد من التفاصيل .

W. F. Boustany, *The Palestine Mandate: Invalid and Impracticable* (Beirut: American Press, 1946) pp. 168

Lloyd George, *op. cit.*, pp. 1163 (١٩) 1175, 1182 - 1190.

(٢٠) راجع النص الرسمي لمك الانتداب على فلسطين في

Great Britain. Parliamentary Papers, End. 1785; League of Nations.

(٤٩) انظر ، للتفاصيل ، المصدر نفسه ، ص ٢٢ - ٢٦ . وانظر ايضا « سينغر تولدوت هاهاغاناه » (كتاب تاريخ الهاغاناه) ، (رئيس التحرير : بن - تسيون تينور) ، تل - ابيب : معروض ، ١٩٥٦ ، الكتاب الثاني ، الجزء الاول ، ص ٧٧ - ٩١ .

Palestine. Disturbances in (٥٠)
May 1921..., *op. cit.*, pp. 5-16, 36-43.

(٥١) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

(٥٢) « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، مصدر سبق ذكره ، الكتاب الثاني ، الجزء الاول ، ص ٩١ - ٩٢ .

Palestine. Disturbances in (٥٣)
May 1921..., *op. cit.*, p. 59.

A Survey of Palesitinc, (٥٤)
op.cit Vol. 1, pp. 18-19.

وانظر ايضا ، ملف وثائق فلسطين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٢ - ٢٠٥ .

(٥٥) فرايزل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٦ .

(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ . وانظر ايضا اوليتسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٢ .

(٥٧) فرايزل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٤ .

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

(٥٩) انظر ايضا ، لمزيد من التفاصيل ، حول سياسة صموئيل في فلسطين وبواقعها ، مقالة

Elic Kedourie, «Sir Herbert Samuel...», *op. cit.*, pp. 44-68.

John and Hadaw i. *op. cit.*, (٦٠)
Vol. 1, p. 172.

(٦١) « ملف وثائق فلسطين » ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٧ .

(٦٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (١٩١٨ - ١٩٣٩) ، (جمع وتصنيف : عبد الوهاب الكيالي) ، بيروت ويقدا : مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجمعية صندوق فلسطين ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥ .

(٦٣) « قوانين فلسطين » (ترايتون) ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الرابع ، ص ٨٦١ - ٨٦٢ .

(٦٤) المصدر نفسه ،

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٨٦٤ .

(٦٦) المصدر نفسه ،

(٦٧) المصدر نفسه ،

(٦٨) المصدر نفسه ،

(٦٩) فرايزل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٠ .

الحديث ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٥ - ١٦٧ .

Elic Kedourie, «Sir Herbert Samuel and the Government of Palestine», *Middle Eastern Studies*, Vol. V, No. 1, January 1969, p. 51.

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

An Interim Report..., *op. cit.*, p. (٦٩)
21.

Palestine. Report of the High (٦٠)
Commissioner..., *op. cit.*, p. 53.

Mandate for Palestine..., *op.* (٤٦)
cit., pp. 10-11.

(٤٢) قوانين فلسطين (ترايتون) ، القدس : حكومة فلسطين ، ١٩٢٤ ، الجزء الرابع ، ص ٣٢٦٠ .

(٤٣) انظر ايضا مقالة ابراهام السبرغ ، « تعيين الحدود الشرقية لارض - اسرائيل » في « هانتسيونوت : عينا سيف لتولدوت هانتوعاه هانتسيونوت فيهايتشوف هايهودي بايرتس - اسرائيل » (الصهيونية : مجموعة لتاريخ الحركة الصهيونية والنشوف اليهسودي في ارض - اسرائيل) ، تل - ابيب : جامعة تل - ابيب وهاكيوتس هايتوحاد ، ١٩٧٢ ، الجزء الثالث ، ص ٢٢٩ - ٢٤٦ (بالعبرية) .

(٤٤) انظر ، للتفاصيل ، اوليتسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٧ - ٤٣٥ .

(٤٥) انظر ، مثلا ، للتفاصيل مقالة اتيشا شاپيرا ، « قضية حق الاولية على اراض الامير عبد الله في غور الكبد - بداية الاتصالات بين الادارة الصهيونية والامير عبد الله » في « الصهيونية » ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ص ٢٦٥ - ٢٤٥ . وكذلك مقالة « مقال باشا الفايز ومشروع شراء اراض في مواب » في « الياهو ايلات » ، « شيفات تسيون فيعراقب » (عودة صهيون والعرب) ، تل - ابيب : دفتر ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٥ - ١٢٧ .

John and Hadawi, *op. cit.*, p. (٤٦)
169.

(٤٧) المصدر نفسه .

Great Britain. Parliamentary (٤٨)
Papers, Bnd. 1540; *Palestine. Disturbances in May 1921. Reports of the Commission of Inquiry with Correspondence Relating Thereto* ((London: H.M.S.O., 1921), pp. 19-22.

(٨٨) المصدر نفسه ، ص ٦ .
 (٨٩) المصدر نفسه ، ص ١٦ .
 (٩٠) المصدر نفسه .
 Palestine. Report of the High Commissioner..., *op. cit.*, p. 27.
 (٩١) فرايزل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٢ .
 Palestine. Correspondence..., (٩٢) *op. cit.*, p. 17.
 (٩٣) انظر نص الرد في المصدر نفسه ، ص ٢١ - ٢٨ .
 (٩٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
 (٩٥) فرايزل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٥ .
 Palestine. Correspondence..., (٩٦) *op. cit.*, p. 29.
 Chaim Weizmann, Trial and Error (London: East and West Library, 1950), p. 361.
 (٩٧) المصدر نفسه .
 Joseph B. Schechtman, *Rebel and Statesman: The Vladimir Jobintsky Story* (New York: Thomas Yoseloff, 1956), p. 422.
 Palestine. Report of the High Commissioner..., *op. cit.*, p. 27.
 (٩٨) فرايزل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٢ .
 (٩٩) نقلا عن نص الكتاب الابيض ، كما اوردته دروزه ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ص ٢٥٨ - ٢٦٢ . وانظر ايضا Palestine. Correspondence..., *op. cit.*, pp. 17-21
 Palestine. Correspondence..., (١٠٠) *op. cit.*, pp. 17-18.
 (١٠١) المصدر نفسه .
 (١٠٢) المصدر نفسه ، ص ١٨ .
 (١٠٣) المصدر نفسه ، ص ١٩ .
 (١٠٤) المصدر نفسه .
 (١٠٥) المصدر نفسه .
 (١٠٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
 (١٠٧) المصدر نفسه .
 (١٠٨) المصدر نفسه ، ص ٢١ - ٢٢ .
 (١٠٩) مرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ .
 « قوانين فلسطين » (درايفورن) ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الرابع ، ص ٢٢٠٧ - ٢٢١٠ .
 (١١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠٩ .
 (١١١) المصدر نفسه .
 (١١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢١٠ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧١ .
 (٧١) « وثائق المقاومة الفلسطينية العربية .. » ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ - ٢٣ .
 (٧٢) المصدر نفسه .
 (٧٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .
 (٧٤) انظر ، للتفاصيل ، « كتاب تاريخ الهاغاناه » ، مصدر سبق ذكره ، الكتاب الثاني ، الجزء الاول ، ص ١٢٢ - ١٤٠ .
 (٧٥) « سيفر هاتعودوت مثل هاتغاعاه هليغومسي مثل كنيست اسرائيل بايرتس - اسرائيل » (كتاب الوثائق للجنة القومية لكتيست اسرائيل في ارض - اسرائيل) ، (رئيس التحرير : موشى اطياس) ، القدس : مطبعة رفائيل حاييم هاكوهين م.ض. ، ١٩٦٢ ، ص ٢٤ - ٢٥ .
 (٧٦) اوليتسكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٢ . وانظر ايضا .
 An Interim Report..., *op. cit.*, p. 12.
 Great Britain. Parliamentary Papers, End. 3686; Palestine. Report on Immigration, Land Settlement and Development, by Sir John Hope Simpson (London: H.M.S.O., 1930), p. 30.
 (٧٧) يعقوب شمعوني ، « عربي ايرتس - اسرائيل » (عرب ارض - اسرائيل) ، تل - ابيب : عام عوليد ، ١٩٤٦ ، ص ٩٠ (بالعبرية) .
 A Survey of Palestine, *op. cit.*, (٧٨) Vol. 2, pp. 901 - 902.
 (٨٠) محمد عزة دروزه ، حول الحركة العربية الحديثة ، صيدا - بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، ١٩٥٩ ، الجزء الثالث ، ص ٥٦ - ٥٣ .
 (٨١) المصدر نفسه .
 (٨٢) المصدر نفسه .
 Survey of Palestine, *op. cit.*, (٨٣) Vol. 2, pp. 902 - 903.
 (٨٤) المصدر نفسه .
 (٨٥) انظر التفاصيل في
 Great Britain. Parliamentary Papers, End. 1700; Palestine. Correspondence with the Palestine Arab Delegation and the Zionist Organization (London: H.M.S.O., 1922), pp. 2-17.
 (٨٦) المصدر نفسه ، ص ٤ .
 (٨٧) المصدر نفسه ، ص ٥ .

Papers, Bnd. 1889; *Palestine. Papers relating to the Elections for the Palestine Legislative Council, 1923* (London: H.M.S.O., 1923), pp. 7-8.

(١٢٢) المصدر نفسه .

(١٢٣) المصدر نفسه ، ص ١١ . وانظر ايضا
« قوانين فلسطين » (درايتون) . مصدر سبق
ذكرة ، الجزء الرابع ، ص ٢٢٢٢ - ٢٢٢٣ .

(١٢٤) المصدر نفسه .

Palestine. Papers relating..., (١٢٥)
op. cit., p. 12.

(١٢٦) « قوانين فلسطين » (درايتون) .
مصدر سبق ذكره ، الجزء الرابع ، ص ٢٢٦٠ -
٢٢٦١ .

(١٢٧) انظر ، للتفاصيل ، « وثائق المقاومة
الفلسطينية العربية ... » مصدر سبق ذكره ،
ص ٧٣ - ٧٥ .

(١٢٨) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

Great Britain. Parliamentary (١٢٩)
Papers, Cmd. 1989; *Palestine. Proposed
Formation of an Arab Agency.
Correspondence with the High
Commissioner for Palestine* (London:
H.M.S.O., 1923), p. 6.

(١١٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢١١ .
(١١٨) انظر نص الرسوم في المصدر نفسه ،
ص ٢٢٨٦ - ٢٢٩٤ .

(١١٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢١١ .

(١٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢٢١٢ .

(١٢١) المصدر نفسه .

(١٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٢٨ .

(١٢٣) منشور التنظيمات الادارية ، المصدر
نفسه ، ص ٢٢٢٧ .

Chaim Weizmann, *op. cit.*, p. 361.

(١٢٥) انظر التفاصيل في

Neil Caplan, *Palestine Jewry and the
Arab Question* (London: Frank Cass,
1978), pp. 151-157.

(١٢٦) « وثائق المقاومة الفلسطينية
العربية ... » مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧ .

(١٢٧) المصدر نفسه ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(١٢٨) المصدر نفسه ، ص ٥٣ و ٥٥ .

A Survey of Palestine..., *op. cit.*, Vol. 1, p. 142.

(١٢٠) انظر نصوص البيانات في « وثائق
المقاومة الفلسطينية العربية ... » مصدر سبق
ذكرة ، ص ٥٧ - ٦٥ .

Great Britain, Parliamentary (١٢١)

الصناعة اليهودية في فلسطين في عهد الانتداب

نصت المادة الحادية عشرة من صك الانتداب على فلسطين على ان تتخذ الادارة الاجراءات اللازمة فيما يتعلق بتنمية البلاد مع تخويلها السلطة التامة في اصدار ما يلزم من التشريعات لتملك اي من موارد البلاد الطبيعية والمنافع العمومية بها . ثم خولت نفس المادة سلطات الانتداب الحق في الاتفاق مع الوكالة اليهودية على قيام الوكالة بانشاء او تسيير الاشغال العامة ما دامت الادارة تتولى هذه الامور مباشرة بنفسها^(١) .

وينحصر التفسير الصهيوني لما جاء في هذه المادة في انها تستهدف تسخير موارد فلسطين الطبيعية للاستثمارات اليهودية التي تسيرها الوكالة اليهودية ، لتتمكن من السيطرة على اقتصاديات البلاد ، وفتح آفاق جديدة لاستيعاب اكبر عدد من المهاجرين اليهود .

توليد الطاقة واستخراج المعادن .

عمد هربرت صموئيل الى منح امتياز توليد الكهرباء في سبتمبر عام ١٩٢٦ لاجد كبار رجال المال اليهود ، وهو بنحاس روتبنرج . وكانت القوى اليهودية في مجلس العموم البريطاني وراء عقد هذا الامتياز في وقت مبكر رغم ان منح الامتيازات في فلسطين كان مرتبطا بالمصادقة على معاهدة سيفر^(٢) .

وكان تشرشل قد بحث مع هربرت صموئيل مسألة منح الامتيازات لتعمير فلسطين واقامة المشروعات الصناعية التي تقضي باستخدام العمال شريطة الاعتراض الامتيازات الجديدة مع الامتيازات القديمة تطبيقا للمادة ٢١٤ من معاهدة سيفر^(٣) .

وقد درست مسألة توليد الكهرباء من مياه بحيرة طبرية ونهر اليرموك في منطقة بالقرب من جسر الجامع لانتاج تيار كهربائي قوته ٩٨,٠٠٠ حصان وارتوي ان هذا التيار كفيل بالمساعدة على ادارة الصناعة في فلسطين كي تصبح بلدا ذا شأن كبير في الشرق . فضلا عن ري الاراضي

الخصبة الواقعة في الضفة الشرقية من نهر الشريعة (الأردن) عن طريق انشاء خزان مائي في تلك المنطقة^(٤٤) .

وقد جاب روتنبرج العديد من مراكز التجمع اليهودية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية سعياً وراء ضمان الاكتتاب بربع مليون جنيه فلسطيني لتنشيط أعمال شركته^(٤٥) . وقد تساءل أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني^(٤٦) عن رأس المال اللازم لمشروع روتنبرج وكيف يمكن توفيره ، وعماً إذا كانت الحكومة البريطانية قد قدمت قرصاً للمساهمة في المشروع . ورد وزير المستعمرات البريطاني بأن رأس مال الشركة بلغ مليوناً من الجنيهات الاسترلينية^(٤٧) بينما بدأت الشركة برأس مال قدره ٦٥٧,٩٥١ جنيه استرليني وأن الحكومة البريطانية اتخذت خطوات لتقديم قرض قيمته ربع مليون جنيه استرليني من خلال التسهيلات التجارية^(٤٨) .

وكانت حكومة فلسطين قد نشرت في الجريدة الرسمية قانون امتيازات الكهرباء لسنة ١٩٢٧ . وكان القسم الأول يشمل الامتياز الممنوح في ٥ مارس ١٩٢٦ للشركة الكهربية الفلسطينية (روتنبرج) لاجل استخدام مياه نهر الأردن واليرموك لتوليد الطاقة الكهربائية في فلسطين . وقد نصت المادة الثالثة منه على أن يمنح المندوب السامي للشركة امتيازاً مطلقاً باستعمال مياه الأردن وحياضه ، ويشمل ذلك مياه نهر اليرموك وجميع روافد نهر الأردن التي تقرر استخدامها لفلسطين أو شرق الأردن بموجب الاتفاق الانجليزي الفرنسي الموقود في ٢٢ ديسمبر عام ١٩٢٠ أو بموجب أي اتفاق آخر لتوليد الكهرباء من تلك المياه وتوزيعها في منطقة الامتياز . مع استخدام بحيرة طبرية حوضاً لفرن المياه لهذه الغاية . وكانت مدة العقد سبعين عاماً^(٤٩) .

وقد قامت شركة كهرباء فلسطين ببناء محطات توليد الطاقة في القدس وتل أبيب وحيفا وطبرية^(٥٠) . على أن شروط الامتياز نصت على الايجوز للشركة مباشرة أي حق يخل بأي من الامتيازات التالية :

(أ) الامتياز المورخ في سبتمبر ١٩٢١ الممنوح لبنحاس روتنبرج لاستعمال مياه نهر العوجا لتوليد الكهرباء والذي حول بعد ذلك لشركة يافا والمعروف بامتياز « العوجا » .

(ب) الامتياز الذي منحه بلدية القدس عام ١٩١٤ لتوليد الكهرباء .

(ج) الامتياز الذي منحه الحكومة العثمانية في يونيو عام ١٩١٤ لمحمد أفندي عمر وميشيل أفندي سرسق بشأن أراضي الحولة .

(د) أي امتيازات تمنح بدلاً من الامتيازين تحت بندي (ب) . (ج) تنفيذاً لاحكام البروتوكول الملحق بمعاهدة لوزان التي تقضي بأن تكون بعض الامتيازات الممنوحة من السلطة العثمانية موافقة للأحوال الاقتصادية الجديدة للمدة وللمدى الذي تكون فيه هذه الامتيازات سارية أو قابلة للتنفيذ .

ويحق للمندوب السامي نزع الاراضي والمباني اللازمة بناء على طلب الشركة او في حالات تعذر الشراء باتفاق متبادل لقاء دفع تعويض عادل .

وتنص بنود الامتياز على انه اذا انقطعت المياه عن صاحب أي أرض في منطقة الامتياز ،

يتعين على الشركة امداد الارض بالقدر الكافي من المياه ، كما ان الشركة مسؤولة عن دفع تعويضات لكل صاحب ارض لا يستطيع ان يزرع ارضه بسبب تقليل المياه في منطقة الامتياز ، او تعرض زراعته للآلاف .

وكان يحق للشركة - مراعاة لاحكام الامتياز - تحصيل مبالغ معينة لقاء ائسارة الشوارع ، واستهلاك الكهرباء في الصناعة^(١١) .

وقد هيأت التضاريس لمشروع روتنبرج موقعا طبيعيا بين نهريين كبيرين ، وجعلت بينهما شبه خندق محاط من جهاته الثلاث الشرقية والجنوبية والغربية بحدود طبيعية مرتفعة ارتفاعا كافيا عن مستوى سطح الارض ، مع تزويده بمدخل طبيعي متسع اتساعا كافيا من الجهة الشمالية لتدخل منه مياه نهر اليرموك حيث تحتزن في ذلك المستودع الطبيعي الذي تنحدر منه المياه لتشغيل مولدات الكهرباء .

وتبلغ مساحة هذا المستودع الطبيعي نحو الف ونوم ويتسع لتخزين مليوني متر مكعب من المياه ، وكان من المقدر ان تحفر قناة^(١٢) ، ويقام سد صناعي لحصر ماء اليرموك والاردن ، بحيث يكون في السد فتحات متحركة تعمل على تخفيف قوة ضغط الماء من المستودع اذا استدعت الضرورة ذلك^(١٣) . وكان من المتوقع ان ينتهي العمل في السد والقنوات والجسور الخاصة بمشروع روتنبرج في غضون الشهور الستة الاولى من عام ١٩٢٩ ، على اساس تكوين بحيرة صناعية الى جانب بحيرة طبيعية . وكانت الشركة قد عملت على انتهاء العمل في سد اليرموك في يناير ١٩٢٩ ، بحيث تصل الكهرباء الى حيفا خلال الشهور الثمانية الاولى من العام نفسه^(١٤) .

وقد حققت الشركة نجاحا كبيرا ، فقفز رأسمالها الى خمسة ملايين من الجنيهات الفلسطينية في عام ١٩٢٩ نتيجة زيادة ارباحها^(١٥) .

وفضلا عن مشروع روتنبرج ، كان هناك مشروع استغلال املاح البحر الميت ومعابنه . وكان المهندسان الفرنسيان كارش وغانديون قد قدما في ١٩ فبراير عام ١٩٢٥ طلب الى الحكومة البريطانية للمصادقة على منحهما امتياز في هذا الشأن ، فأجابتهما بالموافقة - في بادئ الامر - ويحفظ الحق لهما فيه . وكان هذا المشروع موضع اهتمام اكايمية العلوم في باريس ، على إثر الرسالة التي قدمها اليها عنه مسيواد وارد إمبرو الاستاذ بمدرسة الكبارى والسود الوطنية . ومما جاء في هذه الرسالة ان درجة ملوحة البحر الميت تصل الى ٢٤٠ جرام ملح في اللتر الواحد ، بينما كانت مياه بحيرة طبرية واعالي نهر الاردن مياهها عذبة يمكن استخدامها في الري ، ورؤى انه اذا اقتضى الامر ، تستعمل الطليات الكهربائية في رفع المياه ، وانه من المستحسن جعل بحيرة طبرية مستودعا للمندفق من نهر الاردن وتنظيم باقي المياه عن طريق بناء سدود على النهر جنوبي بيسان ، وإقامة سدود أخرى في مواضع مناسبة على جوانب النهر ، وبذلك يمكن ري مساحة من الارض تتراوح بين سبعين ألفا ومائة ألف هكتار^(١٦) .

غير ان الدوائر الرسمية البريطانية تراجعت عن موافقتها ، لتدرس منذ عام ١٩٢٧ مسألة منع الامتياز لشركة أخرى رأسمالها بريطاني أمريكي مشترك . ذلك ان اليهوديين نوفومسكي

وتلوح تقديماً بطلب كوكيلين لتلك الشركة ، للقيام بمشروع البحر الميت ، إلا أن بعض الاصوات نادت بتحريم منح امتيازات في فلسطين لليهود ، فتأخرت الموافقة البريطانية^(١٧) . فقد وجهت اللجنة العربية والمجلس الاسلامي الاعلى اعتراضات الى وزارة المستعمرات البريطانية على اتجاه حكومة فلسطين نحو منح هذا الامتياز لليهود^(١٨) ، منذ ان ترامت الى الاسماع نداءات يهودية تقول ان من واجب الوكالة اليهودية ان تجعل كل امتياز في فلسطين منسقا مع البرنامج الصهيوني ، تحقيقاً لرعاية الوطن القومي اليهودي^(١٩) .

وقد عبر رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بالقدس عن وجهة نظر عرب فلسطين في بروفته الى مجلس العموم البريطاني في ابريل عام ١٩٢٩ ، جاء فيها ان منح امتياز البحر الميت لنوفومسكي أو لغيره من الصهيونيين أمر من شأنه ان يستعمل سلاحاً سياسياً يناقض حقوق العرب ومصالحهم ، ويزيد في البغضاء والطائفية ، ويدعو للارتياح . وعلى ذلك فقد اقترح رئيس المجلس الاسلامي الاعلى منح الامتياز لشركات صناعية ليست لها اغراض سياسية ، كما طالب بضرورة الوقوف على رأي العرب في شروط الامتياز قبل توقيع عقده^(٢٠) .

ويدات القوى الصهيونية في التزديد بالمعارضة العربية ومما رست ضعفها^(٢١) حتى تم عقد الامتياز في ابريل عام ١٩٢٩ - استناداً الى قرار كان مجلس اللوردات قد اصدره في ٢٢ مايو ١٩٢٨ بمنح الامتياز الى مجموعة من الشركات البريطانية والامريكية التي ابدت استعدادها لامداد نوفومسكي وتلوح بالمال اللازم لتنفيذ المشروع ، ونشر في الجريدة العمومية لحكومة فلسطين . وأعلن مجلس العموم البريطاني ان لورد لتون سوف يتولى رئاسة الشركة التي ستؤلف لاستثمار الاموال كما ان مجلس ادارة تلك الشركة سيكون من مديري الشركات البريطانية والامريكية التي تمول المشروع^(٢٢) .

وقد نص العقد على ان تؤلف تلك الشركة خلال اثني عشر شهراً من التوقيع عليه برأس مال لا يقل عن مائة الف جنيه استرليني ، وأن تبدأ الشركة باستئجار أربعة كيلو مترات مربعة في المنطقة الشمالية الغربية من البحر وأن تكون مدة الامتياز خمسة وسبعين عاماً . وكان من المقدر ان تقوى الشركة انتاج كميات من كلوريد البوتاسيوم درجة نقائها ثمانين في المائة في حدود الف طن خلال السنة الثالثة من بدء عملها ، والف وخمسمائة طن خلال السنة الرابعة وثلاثة الاف وخمسمائة طن خلال السنة الخامسة (حيث يتم فتح الطريق بين البحر الميت والقدس) ، وعشرة الاف طن خلال العامين السادس والسابع ، وثلاثين الف طن خلال الاعوام الثلاث ثم خمسين الف طن خلال كل عام بعد ذلك^(٢٣) .

وكانت الدراسات اليهودية قد حددت الامكانيات المعدنية في البحر الميت عام ١٩٤٦ في الوجه التالي^(٢٤) -

الوزن الصافي	المعدن
٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠	كلوريد البوتاسيوم
١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠	برومييد الماغنسيوم
١١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠	كلوريد الصوديوم

كلوريد المانغنسيوم

٢٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

كلوريد الكالسيوم

٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

وقد انتهت تلك الدراسات الى ان حركة التعدين في البحر الميت كانت لا تزال حتى ذلك العام ترم بالمرحل الاحتمالية فقط ، وانها لم تكن قد بلغت مرحلة الانتاج الفعلي بعد ، اذ انه كان من الممكن تطويرها بحيث تفتح افاقا صناعية جديدة في الوطن القومي اليهودي تحقق استيعابا اوسع مجالا للمهاجرين اليهود إلى فلسطين خاصة لو تحقق طلب نوفومسكي وتولوغ في خط انابيب البترول من العراق الى حيفا . تلك ان الدراسات اليهودية انتهت الى ان الحصول على البترول سواء بشكل مباشر (من فلسطين) او بشكل غير مباشر ، من الممكن ان يشكل مصدرا رخيص التكاليف لتوليد الطاقة الكهربائية يفوق تلك الممكن توليدها عن طريق الفحم ، فضلا عن ان البترول يمكن ان يلعب نورا هاما في عدد من الصناعات الكيميائية . وقد اكدت تلك الدراسات انه باستثناء الثروة المعدنية للبحر الميت ، هناك مخزون من الفوسفات في التلال الواقعة الى الغرب من نفس البحر يمكن استغلالها في تسميد الارض فضلا عن وجود المنغنيز والباريتا Baryta^(٢٦) والفلسبار Felcspar^(٢٧) في جنوب فلسطين والكبريت في غزة . وهي في مجموعها املاح يمكن استخدامها في الصناعات الكيميائية الى جانب الاسمنت والجير (الجص) الذي نجحت الوكالة اليهودية في صناعتها محليا^(٢٨) .

وتبرز الوثائق البريطانية اهتمام حكومة لندن بالدراسة التي اعدتها المعهد الملكي بلندن عن انتاج البوتاس في فلسطين ومكانته من انتاج نفس المعدن في بلدان معينة حددته تلك الدراسة في عام ١٩٢٢ على الوجه التالي : -

البلد	المانيا	فرنسا	الولايات المتحدة	اسبانيا	بولندا	روسيا	فلسطين	الاجمالي
حجم الانتاج بالطن	١٠٠,٠٠٠	٣٢١,٠٠٠	١٢٨,٠٠٠	٩٠,٠٠٠	٧٦,٠٠٠	٤٤,٠٠٠	١٠,٠٠٠	١,٦٨٠,٠٠٠

وكانت الوثائق البريطانية تصع تاثيرات خاصة بميلولات الانخفاض المستمر في انتاج تلك الدول من البوتاس مما يشير الى ضرورة الاهتمام بانتاج فلسطين منه . ذلك ان حجم الانتاج بلغ في تلك الدول ٢,٢٨٠,٠٠٠ طن عام ١٩٢٩ ثم هبط الى ٢,٢١٠,٠٠٠ طن في العام التالي ثم الى ١,٥٥٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٣١ ثم استمر الهبوط في الانتاج حتى بلغ ١,٣٦٠,٠٠٠ في عام ١٩٣٢ وتعلق النواثر البريطانية اهمية على ارتفاع حجم الانتاج في عام ١٩٣٣ واحتمال وصوله الى ما يربو على مليوني طن في عام ١٩٣٤^(٢٩) وكان توزيع انتاج العالم من البوتاس خلال الفترة من ١٩٢١ الى ١٩٣٣ على النحو التالي^(٣٠) : -

الانتاج بالطن المتري (%٨٠)	السنة
٢,١٨٦,٠٠٠	١٩٢١
٢,٠٨٠,٠٠٠	١٩٢٢
٢,٢٧٨,٠٠٠	١٩٢٣
٢,٢٣٠,٠٠٠	١٩٢٤
٢,٨٩٨,٠٠٠	١٩٢٥
٢,٢٨٤,٠٠٠	١٩٢٦
٢,٩٦٤,٠٠٠	١٩٢٧
٤,٤٢٨,٠٠٠	١٩٢٨
٤,٩٤٠,٠٠٠	١٩٢٩
٤,٦٠٠,٠٠٠	١٩٣٠
٢,٢٠٨,٠٠٠	١٩٣١
٢,٧٠٤,٠٠٠	١٩٣٢
٢,٩٨٠,٠٠٠	١٩٣٣

وكانت الحكومة البريطانية تعلق آمالا على احتمالات زيادة انتاج البوتاس في فلسطين ، بينما كانت نواثر الوكالة اليهودية قد وضعت خططها على أساس استخدام تلك المعدن وغيره من المنتج في فلسطين في انشاء عديد من الصناعات الكيماوية في المستقبل .

وكانت شركة بوتاس فلسطين تعد من الشركات التي تعمل كلية للسوق العالمية ، وكانت صادراتها خلال الفترة ١٩٣٥/١٩٣٨ بالشكل الآتي الذي يوضح مدى المكاسب التي حققتها تلك الشركة (٣١) : -

البوتاس		البرومين		السنة
الوزن بالطن	الثمن بالجنيه الفلسطيني	الوزن بالطن	بالجنيه الفلسطيني	
١٨,١٢٤	٨٠,٢٣١	٤٠٣	١٨,٧٥١	١٩٣٥
١٩,٧٩٢	١٣٢,٨٥٧	٤٧٨	٢٥,٠٩٧	١٩٣٦
٢٩,١١٠	١٧٤,٦٧٢	٥٢٢	٤٢,٠٢٦	١٩٣٧
٤٧,٤٩٦	٢٨٤,٩٧٦	٤٨١	٢٧,٩٨٥	١٩٣٨

الصناعة اليهودية والاستيعاب

كانت مجالات الصناعة في فلسطين عامل إغراء للمستثمرين اليهود ، فتقدمت الصناعة

منذ بداية نشاط الوكالة اليهودية في عام ١٩٢٢، فبينما يوضح تقرير رسمي بريطاني أن عدد المعامل الصناعية اليهودية في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى بلغ ١٠٢ معملا رأسماليها ٢٧٦,٠٠٠ جنيه فلسطينيا^(٣٢)، يبين احصاء أجرته الوكالة اليهودية في عام ١٩٢٦ أن عدد المنشآت الصناعية اليهودية في فلسطين في نوفمبر ١٩٢٢ بلغ ٢٩٢ منشأة، وأن إجمالي الاموال المستثمرة فيها بلغ ٩٦٦,٥٤٨ جنيه فلسطينيا، استوعبت ٢,٢٢٦ من الايدي العاملة. وقد ارتفع عدد المنشآت الصناعية في عام ١٩٢٦ الى ٥٩٢ منشأة أي ما يربو على الضعف، كما ارتفع حجم الاستثمارات المستخدمة فيها الى ١,٨٤٩,٢٢٢ جنيه فلسطينيا استوعبت ٥,٧١١ عاملا يهوديا. وقد حدثت انتكاسة صناعية في أواخر عام ١٩٢٦ أغلقت بعض المنشآت الصناعية اليهودية في العام التالي، وتناقص عددها الى ٥١٢ منشأة كما هبط رأس المال إلى ١,٥٠١,٥٥٠ جنيه فلسطينيا، استوعبت ٤,٧٢٦ من العمال اليهود^(٣٣). ورغم أحداث هبة البراق عام ١٩٢٩، يوضح احصاء أجرته الوكالة اليهودية في العام التالي أن عدد المنشآت الصناعية اليهودية ارتفع الى ٦١٧ منشأة استوعبت ٦,٧٧٧ عاملا يهوديا وعملت برأس مال قدره ١,٦٥٢,٠٠٠ جنيه فلسطيني^(٣٤).

وتوضح مذكرة للوكالة اليهودية أن المراكز الرئيسية للتنمية الصناعية اليهودية كانت خلال تلك الفترة موجودة في تل ابيب وحيفا، وأن صناعة النسيج كانت تمثل مجالا صناعيا هاما حيث بلغ عدد مصانع النسيج اليهودية ٤٢ مصنعا في عام ١٩٢٥، وكانت الشركة التعاونية لصناعة النسيج تمتلك الجزء الأكبر منها^(٣٥). واستمر النمو الصناعي اليهودي في فلسطين وفقا للارقام التالية^(٣٦) :-

التوزيع	١٩٢٣	١٩٢٧
عدد المنشآت	٣,٢٨٨	٥,٦٠٦
عدد العاملين	١٩,٥٩٥	٣٠,٠٤٠
الانتاج السنوي	٥,٣٥٢,٠٠٠	٩,١٠٩,٠٠٠
رأس المال	٥,٢٧١,٠٠٠	١١,٦٢٧,٠٠٠

وكانت الشركات الكبيرة تمثل عنصرا هاما في الصناعة فقد تزايد عدد الشركات المسجلة كإتمام خلال الفترة ١٩٢٤/١٩٢١ من خمس وثلاثين شركة في عام ١٩٢١ إلى ثمان وسبعين شركة في العام التالي ثم إلى أربع وأربعين ومائة شركة في عام ١٩٢٢ ثم إلى مائتين وست شركات في عام ١٩٢٤. ومن ثم ارتفع عدد الشركات الصناعية العاملة اليهودية في فلسطين من ثمان وستين وثلاثمائة شركة في عام ١٩٢١ إلى احدى وثلاثين وثمانمائة شركة في عام ١٩٢٤^(٣٧). وقد أبان تقرير اللجنة الدائمة للانتداب المرفوع الى مجلس عصبة الأمم عام ١٩٢٦ أن الوضع الاقتصادي اليهودي في فلسطين تقدم كثيرا عام ١٩٢٥ إذ انشئت مصانع يهودية جديدة خلال العام متعددة المجالات الانتاجية^(٣٨). وتشهد الاحصائية التالية على تعدد مجالات الانتاج الصناعي اليهودي عام ١٩٢٧^(٣٩) :-

مجلات الانتاج	عدد المنشآت	عدد العمال	قيمة الإنتاج لعام كامل	رأس المال
الصناعات الغذائية	٢٨٣	٢,٩٢٩	٢,٣٠٥,٠٠٠	١,٦٥١,٠٠٠
صناعة النسيج	١١٦	١,٥٧٦	٢٧٧,٠٠٠	٤٨٤,٠٠٠
صناعة الملابس	١,٢٠٧	٢,٤٥٠	٥٤٦,٠٠٠	٢٨٦,٠٠٠
الصناعات المعدنية	٦٠٠	٢,٧٦٥	٧٨٨,٠٠٠	٧١٠,٠٠٠
الآلات	٤٤٣	١,٤٧٦	٢٠١,٠٠٠	٢٥٥,٠٠٠
صناعة الأخشاب	٦٥٧	٢,٠١١	٨٠٦,٠٠٠	٤٨٢,٠٠٠
الصناعات الجلدية	٦٨٢	١,٨٢٠	٤٢٠,٠٠٠	١٩٩,٠٠٠
الورق والطباعة	٤٢٥	٢,٨٢١	٥٩٧,٠٠٠	٥٨٢,٠٠٠
الكيمويات	٩١	٢,٠٥٤	٨٨٨,٠٠٠	١,٦٠٠,٠٠٠
الاحجار والاسمنت	٢٥١	٢,٢٨٦	١,٠٦٩,٠٠٠	١,٢٢٢,٠٠٠
صناعات متنوعة	١٢٢	٥٢٩	١٤٤,٠٠٠	١١٥,٠٠٠
ورش صناعية غير متخصصة	٦٣٤	١,٨٧٩	٢٨٥,٠٠٠	٢٤٩,٠٠٠
الجملة	٥,٦٠٦	٢٨,٦١٦	٨,٥٢٦,٠٠٠	٧,٩٣٦,٠٠٠
محطات توليد الكهرباء	٤	١,٥٧٠	٥٨٢,٠٠٠	٢,٧٠١,٠٠٠
الاجمالي	٥,٦١٠	٣٠,١٨٦	٩,١٠٩,٠٠٠	١١,٦٣٧,٠٠٠

ويؤكد تقرير للوكالة اليهودية أن عام ١٩٣١ شهد عدم استقرار في قطاع الاقتصاد في نشاط الوكالة اليهودية بسبب أحداث الثورة الفلسطينية الكبرى . فحدثت تحولات في البناء الاقتصادي الفلسطيني ككل . ورغم أن الوكالة اليهودية استغلت ذلك النزاع الانجليزي الايطالي الذي برز نتيجة للحرب الايطالية في الحبشة في وقت كانت الصناعة اليهودية الناشئة في فلسطين تحبو على ارضيه اقتصادية غير مخطط لها ، فإن كثيراً من أرباب الصناعة اليهودية في فلسطين لم يكونوا على علم بالظروف الداخلية بالبلاد ، ومتطلبات الاستهلاك المحلي ، ونوعيات الانتاج الصناعي المطلوبة . وعلى ذلك لم توضع تلك الاعتبارات الجوهرية في الحسبان عند بناء المنشآت الصناعية الجديدة . فواجه كثير من الصناعات قصوراً في رأس المال المستثمر فيها فضلاً عن أن الاجتياطي المالي والقروض كانت أقل من الحد الأدنى المطلوب ، كما جهل كثير من المستثمرين حقيقة أن فلسطين بلد مفتوح للاستيراد رغم ما لجأت اليه الحكومة البريطانية من إنشاء الحواجز الجمركية لحماية الانتاج المحلي (٤٠) .

وعلى الرغم من أنه كان على الصناعة اليهودية في فلسطين أن تشق طريقها وسط ظروف صعبة في تلك الفترة ، فقد نشطت إدارة الصناعة والتجارة وإدارة العمل التابعة للوكالة اليهودية ، وانشأت أجهزة جديدة لدفع الحركة الصناعية الى الامام في سبيل استيعاب مهاجرين جدد يضيفون نماء جديدة للوطن القومي اليهودي في فلسطين . فانشء مكتب التخطيط الاقتصادي ومؤسسة التجارة الخارجية للتغلب على العقبات التي كانت على الاقتصاد

اليهودي تخليها . وقد اجرت إدارة الاحصاء بالاشتراك مع ادارة التجارة والصناعة وهما من الادارات التابعة للوكالة اليهودية احصاء في صيف عام ١٩٣٧ يخدم كنقطة انطلاق لتخطيط اقتصادي مرحلي يسهم في تثبيت اركان الصناعة اليهودية في فلسطين ، وكانت نتائج ذلك الاحصاء كما يلي (٤١) :

التوزيع	عدد المصانع	حجم القوة العاملة	الانتاج بالجنيه الفلسطيني	حجم الاستثمارات بالجنيه الفلسطيني
المصناعات البتوية	٪٧٢ = ٤,٠٥٠	٪٢٨ = ٧,٩٩٠	٪١٤ = ١,٢١٧,٢٢٠	٪٨ = ٥٧٢,٢٢٠
المصناعات الصغيرة	٪١٨ = ١,٠١٦	٪٢٥ = ٧,١٤٠	٪٢١ = ١,٧٦٣,٥٣٠	٪١٥ = ١,٢١٩,٦٥٠
المصناعات الكبيرة	٪١٠ = ٥٣٦	٪٤٧ = ١٣,٥٤٠	٪٦٥ = ٥٤٥,٤١٠	٪٧٧ = ٦,١٤٢,٣٢٠
محطات توليد الطاقة الكهربائية	٤	١,٣٧٠	٥٨٣,٠٠٠	٣,٧٠١,٠٠٠
الاجمالي العام	٥,٦٠٦	٣٠,٠٤٠	٩,١٠٩,٢٢٠	١١,٦٢٧,٢٠٠

وتشير تلك الارقام الى ان عدد المنشآت الصناعية اليهودية في فلسطين ازداد في تلك الفترة بنسبة ستة وخمسين في المائة كما اتسع حجم القوة العاملة بها بنسبة ثلاثة وخمسين في المائة فزاد الانتاج بنسبة خمسة وسبعين في المائة وتأكدت الثقة في الاقتصاد اليهودي في فلسطين بلليل زيادة حجم رأس المال المستثمر في الصناعة بنسبة ١٠٨ في المائة .

وقد حدث هذا التقدم الصناعي على الرغم من ان الوكالة اليهودية تشير في تقريرها الى ان حالة التبدد الاقتصادي حلت بفلسطين في اعقاب مرحلة التوسع السريع التي بلغت الذروة في عام ١٩٣٥ لاسباب خارجية عن ارادة الوكالة شخصتها في تحديد الهجرة وانعدام الثقة من مستقبل فلسطين الاقتصادي . وكان لذلك اثر كبير على الصناعة اليهودية في فلسطين ، وخاصة على المنشآت الصناعية التي كانت قد انشئت حديثا ، وكان من المحتم ان تغلق ابوابها او تنقل ملكيتها للملاك اخرين (٤٢) . وقد تزايد الاهتمام بإنشاء مصانع جديدة بصفة خاصة منذ خريف عام ١٩٣٨ . ذلك ان الاحداث السياسية في تشيكوسلوفاكيا والنسما انذ اضطرت عددا من رجال الصناعة وخبرائها من اليهود هناك الى البحث عن مجال لنشاطهم الصناعي في فلسطين . ويشهد على ذلك ان ادارة الصناعة والتجارة التابعة للوكالة اليهودية تلقت في فترة تقل عن تسعة اشهر نحو من الف طلب والفتراج تتعلق بإنشاء مصانع جديدة في فلسطين . وقد تمكن عدد من مقدمي تلك الطلبات من استثمار قدراتهم في فلسطين وعاد مجال الانتاج الصناعي الى التوسع (٤٣) .

الصناعة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية

مرت الصناعة اليهودية في فلسطين خلال الفترة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ في مرحلة تطوير الانتاج من اجل ان يفي بمتطلبات الظروف الراهنة اثناء الحرب العالمية الثانية .

وكانت مجالات نشاط الوكالة اليهودية بعد المؤتمر العالمي الصهيوني المنعقد في جنيف في أغسطس آب ١٩٣٩ حتى نهاية الحرب توجه لتحقيق الاهداف الاتية : -

- أ - تحقيق الحد الاعلى من مشاركة فلسطين اليهودية في المجهود الحربي .
 ب - استغلال مشكلة اليهود الأوروبيين بدعوى « الانتقاد » .
 ج - تثبيت اركان الوجود اليهودي في فلسطين .
 د - استمرار التوسع في النشاط الاقتصادي اليهودي في فلسطين .
 هـ - تهيئة الجو الملائم « لحل المشكلة اليهودية » بعد الحرب على ارض فلسطين .

وقد تطلب تحقيق هذه الاهداف الخمسة التي شكلت جزءا من النشاط ذي العلاقات بالسياسة التي تحددت في مؤتمر بلتيمور عام ١٩٤٢ كسياسة نهائية للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، تطلب اجراء العديد من البحوث الاقتصادية^(٤٤) . وقد اتسع نطاق الصناعة في فلسطين للوفاء بمتطلبات الحرب . وكانت الصناعة اليهودية في فلسطين تشكل وقتئذ ما يعادل خمسة وثمانين في المائة من اجمالي حجم الصناعة في البلاد . وقد زاد الانتاج في القطاع الصناعي اليهودي اثناء الحرب بنسبة مائة في المائة . وكان المعدل الاكبر في التوسع الصناعي يتعلق بالصناعات الحربية او ما له صلة بالحرب . فقد تأسس ما يربو على ستمائة مشروع صناعي جديد خلال سنوات الحرب كما تم انخال وسائل جديدة في مجالات الانتاج الصناعي بمساعدة خبراء علميين تمخضت عن ظهور منتجات صناعية جديدة في فلسطين^(٤٥) .

ومع تزايد حجم الانتاج الصناعي اليهودي المحلي اثناء الحرب تزايد حجم الصادرات عام ١٩٤٢ بنسبة ٢٥٧ في المائة بالمقارنة بارقام عام ١٩٢٨ ، بينما زاد حجم الاستهلاك العام اثناء الحرب بنسبة خمسة وثمانية في المائة . فقد استهلك الجيش البريطاني في فلسطين سنويا ما تقرب قيمته من خمسة ملايين من الجنيهات الفلسطينية بأسعار فترة ما قبل الحرب كما ارتفع معدل الاستهلاك المحلي السنوي الى عشرة ملايين ونصف من الجنيهات الفلسطينية مقابل ثمانية ملايين ومائتي الف جنيه لعام ١٩٢٨ . وتزايد الصورة وضوحا لو وضع في الاعتبار أن هذا التوسع الطبيعي في الاستهلاك حدث في ظروف يحكمها الاكتفاء الذاتي مع ما يواكب ذلك من نمو حجم الاستيعاب الاقتصادي^(٤٦) .

وتوضح ارقام الاحصائية التالية العلاقة المتبادلة بين نمو حجم الصادرات الصناعية اليهودية من فلسطين ونمو عدد السكان اليهود بها واتساع قاعدة الاستيعاب الاقتصادي منذ بداية نشاط الوكالة اليهودية في عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٤٢^(٤٧) :

الانتاج الصناعي باستثناء البوتاس والبرومين			
نسبة زيادة عدد السكان اليهود	نسبة الزيادة	القيمة بالجنيه الفلسطيني	السنة
١٠٠	١٠٠	٢٥٠,٠٠٠	١٩٢٢
٢٠١	١٧٥	٤٢٨,٠٠٠	١٩٢٠
٥٢٠	٢٦٠	٦٥٠,٠٠٠	١٩٢٨
٦٣٢	٤٠٨	*١,٢٠,٠٠٠	١٩٢٤
٧٢٤	٦٨٠	**١,٧٠٠,٠٠٠	١٩٤٢

* باستثناء المنتج من الماس . ** بما في ذلك المنتج من الماس .

ويتضح من تلك الأرقام ، وجود علاقة تآثر بين ازدياد عدد السكان اليهود ونمو حجم الانتاج الصناعي ، وخلق فرص عمل ناجمة عن توسيع قدرة البلاد على استيعاب مهاجرين جدد .

وخلال تلك المرحلة الهامة في بناء الوطن القومي لليهودي ، واجهت الوكالة اليهودية مسؤوليات تمثلت في عدة مسائل أهمها الامداد والتموين والبطالة والمجهود الحربي في المجال الاقتصادي مع استمرار حركة الاستيعاب . وقد حدثت تغيرات في مجال الامداد والتموين كنتيجة لاثار الحرب على التجارة العالمية ، منها صعوبة استيراد المواد الخام . كما تمثلت الآثار المباشرة للحرب في احداث ازمة في صناعة الحمضيات التي اعتمدت بصفة رئيسية على التجارة الخارجية ، فزاد حجم البطالة . كما عانت صناعة البناء من عدم الاستقرار وقد تسبب نقصان فرص العمل في هذين المجالين الحيويين في الحياة الاقتصادية في فلسطين في ايجاد مشكلة اقتصادية خطيرة . والى جانب ذلك كان لا بد من وضع الاقتصاد اليهودي في مركز يتفق مع متطلبات الحرب حتى يتمكن من ان يلعب دورا في مواجهة مشاكل الامداد والتموين في القطاعين العسكري والمدني . فخططت اجهزة الوكالة اليهودية للتوسع في الانتاج الزراعي والصناعي للوفاء بمتطلبات الأغراض الحربية وقد وضعت اجهزة الوكالة في حسابها العمل على توسيع مجال الانتاج في سبيل استمرار حركة الاستيعاب . وحققت الوكالة اليهودية نتائج هامة من خلال نظام التسليف المتنوع فكونت ثلاث صنابير للتسليف بالتعاون مع البنك الانجليزي الفلسطيني ، حتى امكن استيراد مواد خام قيمتها اربعمائة الف جنيه فلسطيني في السنة الاولى للحرب .

وقد تمكنت الوكالة اليهودية من التغلب جزئيا على مشكلة البطالة في منتصف عام ١٩٤٠ تم أصبحت البلاد - بسبب تجنيد عدد كبير من اليهود للمجهود الحربي - تعاني عجزا في العمالة ويصفت خاصة في المجال الزراعي . وقد صرفت الوكالة مائة وخمسين الف جنيه فلسطيني كاعانات للتغلب على مشكلة البطالة فانفق نصف هذا المبلغ على انشاء مشروعات جديدة تستوعب الايدي العاملة العاطلة (٢٨) ..

وقد حققت الوكالة اليهودية نجاحا في التوسع في مجال الانتاج الصناعي بالمقارنة بالولايات المتحدة الامريكية وكندا كما يتضح من الأرقام* التالية (٢٩) : -

الولايات المتحدة الامريكية	فلسطين	كندا	السنة
١١٢	١١٥	١٢١	١٩٤٠
١٤٢	١٤٩	١٦٨	١٩٤١
١٨٥	١٨٢	٢١٦	١٩٤٢
٢٢٢	٢١٩	٢٥٩	١٩٤٣
٢١٣	٢١٦	٢٥٣	١٩٤٤
٢١٨	٢٠٩	٢٣١	النصف الاول من ١٩٤٥
٢١٠	٢٠٢	٢٢٤	يونيو ١٩٤٥
٢٠٦	١٥٧	٢١٢	سبتمبر ١٩٤٥
٢١٣	١٤٨	١٨٥	ديسمبر ١٩٤٥
٢٠٥	١٥٠	١٨٩	مارس ١٩٤٦
١٨٥	١٥٧	١٧٠	يونيو ١٩٤٦
٢٠٦	١٦٩	١٦٤	سبتمبر ١٩٤٦
٢٠٩	١٦٤	١٧١	ديسمبر ١٩٤٦

ويبدو واضحا امكان المقارنة بين حجم الانتاج الصناعي في فلسطين وقبرينه في بلاد اخرى . وتسوق الوكالة اليهودية علاقة اخرى برهاننا على التقدم في الانتاج الصناعي اليهودي في فلسطين ينعكس من المقارنة التي وضعتها حكومة الانتداب حول استيراد البضائع المصنعة واجمالي الواردات الى فلسطين فبينما تتناقص حجم البضائع المصنعة المستوردة من اربعة وستين في المائة عام ١٩٣٩ الى ثمانية واربعين عام ١٩٤٦ ، تزايد حجم المستورد من المواد الخام من عشرة الى ستة عشرة في المائة مما يوضح تزايد الاعتماد على المنتج محليا ، رغم الارتفاع الملحوظ في مستوى المعيشة في فلسطين بين السكان العرب واليهود (٥٠) .

وبعد انتهاء الحرب بدأت مرحلة اعادة الصناعة الى ما كانت عليه قبل نشوب الحرب . فاتسع نطاق الاستيراد بسرعة وبخاصة في مجال المواد الخام اللازمة للصناعة . وقد وصلت قيمة الواردات الى فلسطين في العام التالي لانتهاء الحرب (عام ١٩٤٦) الى الحد الاعلى : فبلغت قيمتها ٧٠,٤٣٢ جنيها فلسطينيا باستثناء منتجات البترول التي بلغت في ذلك العام ٥٧,٦٨٩ جنيها مقابل ١١,٣٥٧ جنيها في عام ١٩٣٨ . أما قيمة الواردات من الآلات الصناعية والزراعية فقد ارتفعت فجأة في العام التالي للحرب بالمقارنة باعوام الحرب نفسها كما يتضح من الارقام التالية (٥١) : -

السنة	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦
قيمة الواردات من الآلات	٢٨١٩٠٦,٢٨٢	٩٩٥٢٨٢,٩٩٥	٢٢٣٢٨٢,٢٢٣	٢٨١٢٨٠,٢٨١	٤١٩٣٣٥,٤١٩	١٢١٨١٧,١٢١	١٢١٨١٧,١٢١	٢,٩٠٨,٢٧٠

ومع وجوب تعديل هذه الأرقام بالنظر إلى ارتفاع الأسعار ، فإن تلك الإحصائية تشير إلى متوسط الاستيراد خلال سنوات الحرب كان يعادل خمسين في المائة من استيراد عام ١٩٢٩ . وقد استلزم الأمر إضافة استثمارات جديدة إلى قطاع الصناعة اليهودية في سبيل خلق فرص عمل جديدة لهؤلاء الذين كانوا يعملون في نطاق المجهود الحربي سواء في الصناعات القائمة أو في مجالات صناعية جديدة . وقد أجرت أجهزة الوكالة اليهودية مسحا شاملا للمشروعات الصناعية واحتمالات التمرد خلال الفترة اللاحقة لسنوات الحرب العالمية الثانية . انعكست نتائجه في الأرقام التالية : -

النوع	الاستثمارات في بناء المصانع والتجهيزات بالجنيه الفلسطيني	عدد العمال الإجماليين
النسيج	٢,٢٠٠,٠٠٠	٢,٧٠٠
المواد الغذائية	٢,٠٠٠,٠٠٠	٧٠٠
البناء	٢,٦٠٠,٠٠٠	١,١٠٠
الاستهلاك الكهربائي	٧٥٠,٠٠٠	٨٠٠
والمعدني		
الكيمائيات	٦٨٠,٠٠٠	١٢٠
الصناعات الخشبية	١٥٩,٠٠٠	٢٦٠
صناعات متنوعة	٦٧٠,٠٠٠	٦٦٠
الإجمالي	١٠,٠٩٥,٠٠٠	٧,٢٤٠

وقد حدد المسح الشامل أيضا إجمالي ثمن الأرض الممكن إضافتها للرقعة الزراعية اليهودية والاستثمار في الزراعة (الأرض والبناء والتجهيزات باستثناء رأس المال اللازم للتوسع) بعشرة ملايين وثلاثمائة ألف جنيه فلسطيني (٥٢) .

وهكذا كانت الوكالة اليهودية تعمل على تثبيت قاعدة نظرية اقتصادية مفادها أن الصناعة اليهودية في فلسطين لا يجب أن ينظر إليها باعتبارها كائنا نما مع نشوب الحرب ، يزول بزوالها ، وإنما بناء نشأ وتحققت له خاصية الاستمرار قبل الحرب وليس ثمة من سبيل إلى اقتراض توقفه بعد انتهائها . وعلى ذلك كان على الوكالة أن تحدث تحولا تقنيا في الصناعة اليهودية في فلسطين ينقلها من حالة الحرب إلى حالة السلام دون خلل . حقيقة أن متطلبات ظروف الحرب في قطاع الصناعة اليهودية تزايدت إلى ثمانية ملايين من الجنيهات الفلسطينية خلال الفترة ما بين يناير ١٩٤٤ - مايو ١٩٤٥ وهي زيادة كان حريا أن يحسب حسابها لو وضعت الحرب أو زارها وزالت ظروفها وحدثت ردة صناعية من جراء الانتقال من حالة الحرب إلى حالة السلام الدائم . غير أن الوكالة اجتازت الاختبار دون أن تحدث بظالة كان من الممكن أن تشكل خطورة على المجتمع اليهودي في فلسطين . بل إن عدد أيام العمل بالنسبة للعمال المذكور العاملين في الصناعة اليهودية والفترة الأخيرة من الحرب تناقصت تناقصا ضئيلا نسبيا

حسب ما توضحه الأرقام التالية^(٥٣) على اعتبار أن عدد تلك الأيام بالنسبة للفترة ١٩٣٨ - ١٩٤٩ = ١٠٠ :

السنة	يناير	أبريل	يوليو	أكتوبر
١٩٤٤	٢١٨	١٨٥	٢١٦	٢١٦
١٩٤٥	٢١٤	٢١٣	١٩٢	١٩٦

أي أن أخطار الحرب لم تمتد إلى الصناعة اليهودية في فلسطين ، كما أن انتهاء الحرب لم يكن ذا أثر في هذا المجال . ومن هنا لم يحدث ميل لميزان الاستيعاب في غير صالح البرنامج الصهيوني في فلسطين .

وتؤكد المصادر اليهودية ارتباط الاقتصاد اليهودي بفلسطين تماما بالجهود الحربية خلال الحرب العالمية الثانية . ذلك أن خمسة وثلاثين في المائة من الصناعة اليهودية وضعت في خدمة القوات العسكرية البريطانية ، وقد تراوح إجمالي قيمة الامدادات الصناعية اليهودية للمجهود الحربي بين خمسة وثلاثين ، وأربعين مليوناً من الجنيهات الفلسطينية . بل أن الصناعة اليهودية توسعت في ظل مقتضيات الحرب توسعاً امتد إلى صناعات عديدة ، وعلى سبيل المثال تزايد عدد المغازل في صناعة النسيج إلى خمسة أضعاف طوال فترة الحرب . ويلاحظ أن التوسع حدث في فلسطين في ظل اقتصاد ناشئ غير منظم . بعكس الحال في عديد من البلاد الأوروبية . وقد سادت تلك الظروف منطقة الشرق الأوسط ، غير أن الصناعة في أي من بلدان الشرق الأوسط الأخرى لم تمثل هذا المركز الاستراتيجي في الحياة الاقتصادية بمثل ما حدث في فلسطين حيث أصبحت الصناعة مسؤولة عن ثلاثة وعشرين في المائة من إجمالي الدخل ، وحيث تعرضت الصناعة بشكل مباشر للمنافسة الأجنبية وقت نشوئها ، قبل قيام الحرب . وقد وجدت الوكالة في ذلك مجبراً للقول بأن الصناعة اليهودية في فلسطين لا تحدد بالحفاظ على توازنها الدقيق مع الحفاظ على مستوى معيشة السكان . بل أنها ديناميكية اقتصاد توسعي مرتبط بالهدف الواضح وهو استيعاب مهاجرين جدد . فخلال الفترة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ تم استيعاب واحد وثلاثين ألفاً من المهاجرين اليهود إلى فلسطين ، وقد تم ذلك بنجاح جنباً إلى جنب مع إعادة تشغيل ست وعشرين الف عاملاً يهودياً سرحوا من القوات البريطانية في وقت أقل مما حدث في معظم البلاد الأخرى التي شاركت في الحرب . وقد تطلب ذلك تهيئة الاقتصاد الفلسطيني لتغطية هذا الحجم من الاستيعاب في ظروف سياسية صعبة ومضادة تتمثل في تحديد الهجرة ، والاحكام العسكرية والمقاطعة العربية^(٥٤) .

وهكذا ، تعرضت الحياة الاقتصادية اليهودية في فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية لثلاثة اختبارات رئيسية هي : -

أ - عادة التجهيز والاستثمار . ذلك أن آلة الإنتاج الصناعي أصبحت مرهقة من جراء المجهود الحربي ، كما حدث استيعاب اضطراري للتطورات التكنولوجية الحديثة في الإنتاج الصناعي التي كانت الوكالة اليهودية تنو إلى الاستعانة بها على توسيع قاعدة الاستيعاب

الاقتصادي ، كما تحددت حركة البناء ، وتحولت قوة الانسان الى العمل في المجالات الحربية ..
وبذلك اتجه ميزان الاهداف الديناميكية في الاقتصاد الفلسطيني الى الاستثمار في المشروعات
الجديدة ، في وقت بدأ فيه ان استيعاب المهاجرين بات ضرباً من المستحيل ما لم يحدث توسع في
قواعد استثمارية جديدة في اقتصاد فلسطين .

(ب) الانتاج ، فقد تضاعفت الاغراض العسكرية مع انتهاء الحرب ، ثم توقفت تماما
بعدها واصبحت المشكلة الملحة تكمن فيما اذا كان من الممكن تحويل الانتاج بحيث يلائم
الظروف الجديدة في نمو سريع .

(جـ) التوظيف والاستيعاب ، وكانت العلاقة بين توافر فرص العمل وحجم البطالة ترتبط
بدرجة التوسع في قاعدة الاستيعاب الاقتصادي بشكل يفوق النمو الطبيعي في عدد سكان
فلسطين ككل سواء اكانت زيادة سكانية طبيعية تتحدد عن طريق زيادة عدد المواليد على عدد
الوفيات ام عن طريق الهجرة اليهودية الى البلاد مع ملاحظة التغييرات الديمغرافية في حركة
السكان والنتوءات التي كانت تحدثها هجرة الشبان اليهود المستمرة في الهرم السكاني في
فلسطين (٥٥) .

وعلى ذلك فرضت عوامل معينة نفسها ، وقت ان وضع في الاعتبار وجوب التخطيط لمستقبل
الصناعة في فلسطين وكانت تتلخص فيما يأتي : —

أ — تحقيق اقتصاد ذي انتاج واسع النطاق عن طريق سوق ذات قوة شرائية اكبر مع دعم
مركز الصناعة المحلية ازاء المنافسة الاجنبية .

(ب) تحقيق استهلاك محلي موسع يجعل من الممكن قيام صناعات جديدة تستطيع بلوغ
المستوى التقني الأدنى .

ج — تغطية الانتاج للسوق المحلية ، وتحديها الى التزايد في حجم الصادرات وكان التصور
ان مستقبل الصناعة ، في فلسطين يجب ان يسير في خطوط ثلاثة هي : —

اولا : اعتماد الانتاج على المواد الخام المتوفرة ليس في فلسطين وحدها وانما في البلاد
المجاورة ايضا من ذلك منتجات البحر الميت والحضيات والقطن المصري .

ثانيا : دعم الصناعة المبني على المهارة العلمية ، حيث الاستيعاب اكثر احتمالا مع ضالة
تكاليف المواد الخام بالمقارنة بقيمة المنتج مثل الكيماويات والصناعات والملابس الجاهزة
وغيرها .

ثالثا : الاهتمام بالصناعات التي تعتمد على المواد الخام ذات الوزن الخفيف والحجم
المتضائل كالغراء والمناس وغيرها . ذلك ان مثل هذه الصناعات لا تتأثر بالمسافة بين مصدر
المواد الخام ومراكز التصنيع (٥٦) .

وكان التخطيط يرسي الى تخطي الفجوة بين الانتقال بالاقتصاد من مرحلة الارتباط بالحرب
الى افاق حياة السلام بعد ان استوعبت متطلبات الحرب ثلث الانتاج الصناعي ، ولتحقيق هذا
الهدف ، حيث توسع في المصانع القائمة وانشئت صناعات جديدة تلائم الاتجاهات الاقتصادية

المشار إليها آنفاً . من ذلك انشاء مصنع للمنتجات الكيماوية ، استثمر فيه نصف مليون جنيه فلسطيني ، ومصنع للطباعة ، واحداث تطورات في بعض الصناعات القائمة مثل صناعة الغزل و انتاج حامض الكبريتيك وغيرها تحقيقا للاكتفاء الذاتي المعتمد على المنتج محليا، وأبرز مثل على النجاح في تحقيق هذا الهدف يتمثل في صناعة الغزل التي انتقلت الى مرحلة الانتاج الموسع فزاد عدد المغازل من ستة الالف مغزل عام ١٩٢٩ الى ثلاثين الف مغزل عام ١٩٤٦ وكان المستهدف زيادة هذا العدد الى خمسة وسبعين الف مغزل في عام ١٩٤٨ .

وكانت صناعة النسيج تحقق تقدما مشابها اذ ارتفع عدد انوال النسيج من ستمائة نول في عام ١٩٢٩ الى ثلاثة الالف نول في عام ١٩٤٦ كما حققت صناعة البناء تقدما ملحوظا حيث توضح الارقام نشوء حركة بناء سريعة تمتعت بنصيب كبير من اجمالي الاستثمار . فقد استثمرت عشرة ملايين جنيه في البناء عام ١٩٤٦ حققت انجازا تمثل في بناء ثمانية عشرة الف حجرة في القطاع اليهودي^(٥٧) .

وبعد النجاح في الانتقال من حالة الحرب الى حالة السلم بدأ الاقتصاد اليهودي في فلسطين يمهّد عمليا لبناء القاعدة الاقتصادية الطموحة للدولة الاسرائيلية التي اعلن عن قيامها في منتصف مايو عام ١٩٤٨ .

(14) *Jewish Chronicle*, London, 1-3-1929. p. 14.

(15) *The Palestine Post*, Jerusalem; 1-12-1939. p. 5.

(١٦) المقطع في ١٩/٢/١٩٢٦ : ص ٢ .

(17) *Jewish Chronicle*; 8-3-1929. p. 29.

(18) *Jewish Chronicle*; 29-3-1929. p. 26.

(19) *Jewish Chronicle*; 5-4-1929. p. 30.

(٢٠) المقطع في ١٩٢٦/٤/٥ : ص ٥ .

(21) *Jewish Chronicle*; 15-3-1929. p. 32.

(٢٢) حكومة فلسطين : الجريدة الرسمية ، العدد

٣٥ ، القدس ، ١٩٢٩/٥/١٦ . ص ٤٧٢ .

(23) *Parliamentary Debates Commons*; Vol. 227. pp. 1407-1408.

(24) *Jewish Chronicle*; 10-5-1929. p. 14.

(25) The Jewish Agency for Palestine; Jewish Economic Development: facts and prospects. Memorandum submitted in March, 1946 to the Anglo - American Committee of Inquiry in Jerusalem. Jerusalem, 1947. p. 30.

(٢٦) طينة من مكسيد الباريوم .

(٢٧) نوع من العائن المتبلورة .

(28) *Jewish Agency; Op. Cit.*, p. 31.

(29) C.O. 733-273 (Reg. 15).

(1) *U. N. Document A-70. Terms of League of Nations Mandates - Mandate for Palestine*, p. 3.

(2) *Parliamentary Debates Official Reports, House of Commons, Fifth Series - Session of July, 1, 1922. Vol. 148. p. 925.*

(٣) المقطع في ١٩٢١/٤/٦ . ص ٤ .

(٤) المقطع في ١٩٢٧/٢/٢٤ . ص ٧ .

(٥) المقطع في ١٩٢٨/٦/١٤ . ص ٢ .

(6) Colonel Howard - Burry.

(٧) في عام ١٩٢٨ .

(8) *Parliamentary Debates Commons*; Vol. 218. pp. 607-608.

(٩) المقطع في ١٩٢٧/١٠/٢٥ . ص ٨ .

(10) The National Council (Va'ad Leumi) of the Jews of Palestine; Memorandum submitted to the Permanent Mandates Commission of the League of Nations, June, 1930. The Jewish Agency for Palestine, London, July, 1930. p. 15.

(١١) المقطع في ١٩٢٧/١٠/٢٥ . ص ٨ .

(١٢) طولها ٢٨٠ مترا وعرضها ٢٠ مترا .

(١٣) المقطع في ١٩٢٩/١/٢ . ص ٥ .

ment Mandates Commission, Minutes of the Twenty - Ninth Session, Held at Geneva from May 27th to June 12th 1936, including the Commission Report to the Council P. 156.

(39) *The Jewish Agency; Establishment in Palestine of the Jewish National Home.* P. 24.

(40) Zionist Organization; *Reports of the Executives of the Zionist Organization and the Jewish Agency for Palestine.* Submitted to XX Zionist Congress, 1937. Jerusalem, 1938. P. 318.

(41) Zionist Organisation, *Report to XXII Congress.* P. 400.

(42) *Ibid.* P. 402.

(43) *Ibid.* P. 412.

(44) Jewish Agency for Palestine, *Information Department; Activities in Palestine during the War.* London, 1943. P. 1.

(45) Zionist Organisation, *Report to XXII Congress.* P. 219.

(46) *Jewish Agency, Jewish Economic Development.* PP. 32-33.

(47) *Ibid.* P. 34.

(48) Jewish Agency, Information Department; *Op. Cit.,* PP. 4-5.

(4) *The Jewish Agency for Palestine; Memorandum on Reconversion in Palestine,* Submitted to the United Nations Special Committee on Palestine. Jerusalem, 1947. P. 11.

(50) *Ibid.* PP. 2-3.

(51) *Ibid.* P. 12.

(52) *Ibid.* PP. 6-7.

(53) *Jewish Agency; Jewish Economic.*

(30) C.O. 733/273 - O / Palestine (12a), 19-2-1935.

(31) Zionist Organization, Reports of the Executives of the Zionist Organization and the Jewish Agency for Palestine. Submitted to the XXI Zionist Congress and the VI Session of the Council of the Jewish Agency for Palestine at Geneva, August, 1939. P. 410.

(32) *Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Administration of Palestine and Transjordan for the Year 1930.* London, 1931. P. 34.

(33) The National Council; *Op. Cit.,* P. 15.

(34) Report by His Majesty's Government; *Op. Cit.,* P. 34.

(34) F. O. 317/115/2573. Memorandum by the Jewish Agency for Palestine, 2-7-1925.

(36) *The Jewish Agency for Palestine; Op. Cit.,* P. 34.

(35)

(36) *The Jewish Agency for Palestine; The Establishment in Palestine of the Jewish National Home: Memorandum of the Development of the Jewish National Home* (432). Submitted by the Jewish Agency for Palestine to the Secretary General of the League of Nations for the Information of the Permanent Mandates Commission, June, 1933. P. 25.

(37) C.O. 733/270- 75044, 1935. No. OF/ 304/ 34. *Report by High Commissioner,* 16-2-1935. P. 7.

(38) League of Nations, Perma-

(56) *Jewish Agency; Jewish Economic Development. PP. 33-34.*

(57) *Jewish Agency; Memorandum on Reconversion. P. 7.*

Development. jP. 28.

(54) *Jewish Agency; Memorandum on Reconversion, P. 10.*

(55) *Ibid. P. 2.*

ملاحظات حول استراتيجية الجيش الإسرائيلي

إذا كان الجيش الإسرائيلي قد حقق كسبا في معارك عسكرية في الحروب الاسرائيلية العربية ، كما حدث في الأعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، و ١٩٧٣ ، فإن هذا الكسب وهذه الانتصارات تعود الى اتباعه استراتيجية عسكرية واضحة ، تنبع من أهداف واضحة ، للحروب التي يخططها ، ويبادر الى شنها ، في الزمان والمكان اللذين يحددهما هو ، بحسب ظروفه ، وامكاناته السياسية ، والعسكرية الملائمة .

وتحقن ، في هذه الدراسة ، لسنا في صدد تقييم هذه المكاسب والانتصارات التي تجسدت في توسع العدو الصهيوني ، واحتلاله لأراض عربية أخرى ، إضافة الى استكمال احتلال جميع الأراضي الفلسطينية بحدودها الطبيعية ، بل نسعى الى القاء الضوء على ابرز الخطوط الاستراتيجية ، وأبرز الأهداف التي يضعها الجيش الإسرائيلي نصب عينيه لتحقيقها ، من خلال حروبه .

المبادئ الاستراتيجية

أبرز الخطوط التي شكلت استراتيجية الجيش الإسرائيلي هي :

- ١ - الهجرة ، فالهجرة احتياج أممي من الدرجة الأولى ، وبغيرها لا يمكن ان تكون هناك قوى بشرية ترفد القوة العسكرية التي تضمن في النهاية بقاء واستمرار إسرائيل .
- ٢ - الاستيطان . لقد علق واضعو الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية أهمية كبرى على الاستيطان ، وتوزيع هذه القوى البشرية الى مجموعات في مستوطنات موزعة على طول الحدود ، كي تشكل خط دفاع أول ، وعائقا لفترة زمنية قصيرة أمام أي هجوم عربي . وقد تجسد هذا في المقولة المشهورة لدافيد بن - غوريون : « اذا لم نذهب الى الحدود ، فالحدود ستأتي الينا » (١) .
- ٣ - الروح المعنوية التي تؤمن بالجيش ويقترنه على حماية الفرد والمجتمع والدولة .

وهي بالتالي عنصر أساسي لتدعيم قدرة الجيش من جهة ، وتدعيم ثقة الشعب بالجيش من جهة أخرى .

إن أكثر الأمور التي تآثر بها واضعو الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ، بخطوطها العريضة ، منذ تأسيس الدولة ، هي الفكرة التي روج لها بن - غوريون ، والفائلة : « ان بلادنا ليست سوى قطعة صغيرة ضمن مساحة شاسعة متصلة ، مليئة كلها بالشعوب الناطقة بالعربية ، واننا قلة وحتى ان تضاعف عددا عدة مرات ، فسنبقى اقلية صغيرة ضمن هذا البحر العربي ، لذا هناك عدة أمور من شأنها تدعيم وتحصين أمن اسرائيل ، اضافة الى الجيش ، هناك الهجرة الجماعية ، والاستيطان وتوزيع السكان حسب نظرية خط الدفاع الاول ، ثم الاكتفاء الذاتي من حيث انتاج المواد الغذائية أو السلاح ، وتطوير خطوط المواصلات البرية والبحرية ، والعمل على تحسين الصحة العامة ، وبشكل خاص لدى الشباب ، كما ان هناك عنصرا هاما في مجال الاستراتيجية ، وهو ادارة سياسية خارجية نشطة هدفها التوصل الى السلام . » (٢) .

لقد انطلق واضعو الاستراتيجية العسكرية ، من فكرة الاقلية في وسط بحر عربي ممتد الاطراف . وليس من باب الصدفة ان توجهات بن - غوريون نحو الحرب قد سبقت التوجه نحو السلام ، الذي ورد في اشارة صغيرة جدا ، فهو يتحدث عن الهجرة كاحتياج امني ، وعن الاستيطان كمواقع عسكرية تغطي الحدود ، وعن انتاج الأسلحة ، ثم بعد ذلك عن سياسة نشطة هدفها التوصل الى السلام مع البلدان العربية .

ربما كانت هذه العبارة مؤشرا واضحا ذا مدلولات كبيرة ، وهي تشير الى جوهر الاستراتيجية ، التي تركز على أساس خلق قوة وحقائق ثابتة في نظر المخططين ، يمكن من خلالها فرض السلام على الطرف الآخر ، وجعله يعترف بشرعية اسرائيل .

استراتيجية الاستيطان والكثافة السكانية

ان مبدا تكثيف السكان ، ونشر المستوطنات ، وبشكل خاص على الحدود ، كهدف استراتيجي ، نابع من كون هذه التجمعات البشرية الكثيفة والموزعة ، ذات مهام مختلفة ، فهي الى جانب كونها تشكل مستوطنات زراعية لاستغلال الأرض ، عنصر اقتصادي مهم ، إلا انها تشكل أيضا عنصرا استراتيجيا ، وعاملا رئيسيا في هذا الاتجاه ومن أبرز مهامها :

١ - الاستيطان الحدودي يفرض سيطرة الدولة على كل الأراضي التي يتم استيطانها .

٢ - تشكل العين الساهرة والمراقبة للمناطق العربية المجاورة ، سواء كانت داخل الحدود أو خارجها .

٣ - أما النقطة الأهم ، فهي أنها تشكل موقعا عسكريا ، يمكنه اعطاء الانذار المبكر ، ومقاومة العديد من أنواع العمليات العسكرية ، سواء كانت من قبل جيش نظامي، أو قوات غير نظامية عبر الحدود ، ومقاومة أية عمليات عدائية تقوم بها مجموعات عربية داخل الحدود .

لقد وجد هذا الموضوع المتصل بالاستيطان الحدودي مصداقية له في المبادئ الاستراتيجية التي وضعها عدد من المخططين ، وعلى رأسهم بن - غوريون ، « الجيش بحاجة

الى قوة ضاربة ، ونظرا للقوى البشرية المحدودة لدى اسرائيل ، فان هناك ضرورة ملحة لاستغلال الاطار الطبيعي للمستوطنات ، والاعتماد عليها في عمليات العرفلة والتنشيط ، على الاقل ، الى أن يتمكن الجيش من العمل نون مضايقات وبفاعلية ضد الجيوش العربية النظامية ، داخل وخارج الحدود (٣) . كما أن هذه المستوطنات تشكل الاطار العملي لاستغلال الحد الأقصى من الطاقة البشرية لدى الفرد ، وبشكل خاص ، لأولئك الذين لا يمكن استغلالهم في المواقع الامامية في العمليات العسكرية الهجومية أي، استغلال الشيوخ والنساء والشباب من نوي الليالة التي لا تؤهلهم لأن يكونوا في صفوف القوات المهاجمة ، بل في صفوف القوات المدافعة .

النقاط الاستراتيجية

أما الاعتبار الاستراتيجي الذي وضعه جيل المؤسسين ، فقد كان مرتبطا ، بشكل جوهرى ، بالفهم الاساسي لهوية الدولة الاسرائيلية . كان هذا الاعتبار طاغيا ، وقد أثر على تفكيرهم وتحليلهم بالنسبة لكل ما يتعلق بنظرية الأمن ، وبناء القوات .

أما الاعتبار الثاني الذي حدد مسار الخط الاستراتيجي فهو ، « جملة المشاكل المتعلقة بفكرة الاقلية ضد الاغلبية » (٤) .

كان لهذا الاعتبار تأثير حاسم في وضع النظرية الأمنية والاستراتيجية العسكرية . فقد انصب تفكير جيل المؤسسين على كيفية استغلال القوى البشرية الضئيلة ، والموارد الضحلة لمواجهة الدول العربية . لهذا السبب ، تركز جهد رجال الاستراتيجية في مجال واحد ، وهو اقامة جيش يعتمد على القوى البشرية المتاحة ، وتأطيرها في جيشين، نظامي واحتياطي، وتجهيز هذا الجيش بأسلحة ذات قوة نيران غزيرة جدا تعوض النقص في القوى البشرية .

الاعتبار الثالث ، الذي اثر على الاستراتيجية العسكرية ، وعلى بناء القوة العسكرية الاسرائيلية بشكل خاص ، « هو تلك الافتراض ، بعدم وجود امكانية للوصول الى حسم قومي شامل ونهائي عن طريق الحسم العسكري ، في حين يستطيع العرب حسم المعركة ضد اسرائيل ، ولديهم امكانية تحقيق النصر الكامل ، على الرغم من أن اسرائيل يمكنها الانتصار في بعض الحروب ، لكنها لا تستطيع حسم مصدر النزاع عن طريق الحرب وفرض ارادتها على العالم العربي الممتد من المحيط الى الخليج » (٥) .

الى جانب هذه الاعتبارات، وضعت فرضيتان اساسيتان متعلقتان باهداف الحرب : الاولى ، تدمير القوات المعادية ، والثانية احتلال الأرض . وقد انعكس هذا التأثير ، لهاتين الفرضيتين ، بشكل واضح جدا في عنوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، وحرب السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ . ففي الحرب الأولى ضربت الجيوش العربية ، وتم احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، وسيناء والجولان . أما في الحرب الثانية فقد توسعت اسرائيل أكثر، كي يكون هذا التوسع موازيا لتقدم القوات المصرية على الضفة قناة السويس ، ولهذا السبب ركز الجيش الاسرائيلي على احتلال ثغرة النفوسوار غرب القناة .

لقد عالج هذا الموضوع عدد من رجال الاستراتيجية ، ومنهم العميد (احتياط) اسرائيل

تال ، حين قال : « واضح أن تدمير القوى المعادية يعطينا تفوقاً مؤقتاً ، لأن موارد العالم العربي بالقوى البشرية ، وبالإمكانات ، بالمقارنة مع مواردنا : غير محدودة لهذا فإن احتلال بعض المناطق يشكل بالنسبة لنا موقع تفوق استراتيجي ، وورقة مساومة في إطار المفاوضات حول الحدود واتفاقات السلام » (٧) .

ليست هذه العناصر والاعتبارات هي الوحيدة التي أثرت على وضع الخطوط العريضة للاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية ، فالمعطيات الجغرافية ، ونظرية بناء القوات ، لعبت هي الأخرى دوراً بارزاً في بلورة هذه الاستراتيجية .

إن انعدام العمق الاستراتيجي ألزم إسرائيل بتبني الدفاع الصلب، وعدم التوجه نحو الدفاع المرن ، وقد ثبت هذا الرأي في العديد من الدراسات والمقالات لكبار الاستراتيجيين الإسرائيليين الذين خرجوا بهذه النتيجة ، « ففي عهد السلاح الشخصي ، وعندما كانت فرق المشاة هي التي تتحمل مسؤولية الهجوم البري ، كان واضحاً أنه ليس لدينا عمق استراتيجي ، لذا ليس لدينا خيار بين تبني الدفاع الصلب وتفضيله عن الدفاع المرن » (٧) .

إن انعدام العمق الاستراتيجي يهدد إسرائيل، ذلك لأن النجاحات الأولية، وتحقيق الأهداف العملياتية الفورية ، في حالة أي هجوم عربي ، معناه ، من وجهة نظر إسرائيل ، فقدان أهداف استراتيجية حيوية ، مثل مراكز التجمعات السكانية الاقتصادية والصناعية .

بناء القوات

إن أسس بناء الجيش الإسرائيلي ، كانت نتيجة للاستراتيجية التي وضعتها القيادة العسكرية والسياسية الإسرائيلية ومتأثرة بها . هذا إضافة إلى أن ظروف إقامة الدولة الصهيونية وطرد الشعب الفلسطيني ، أجبر هذه القيادة على وضع أسس وأهداف لبناء القوة العسكرية ، بحيث تتلائم واحتياجات الدولة .

فمنذ الإعلان عن قيام إسرائيل ، انكب بن - غوريون ، وعدد من كبار الضباط على العمل لإقامة جيش يكون الأداة لخدمة الأهداف السياسية .

ففي العام ١٩٥٢ استطاع تنظيم الجيش من التبعية للتنظيمات العسكرية ، مثل الهاغاناه ، أيتسيل وليحي ، وحل جميع الوحدات الخاصة وأقر التجنيد الإلزامي .

« الجيش نواة مهنية صغيرة غير مسبقة ، تتحلق حول هذه النواة أسلحة الاحتياط ، على أن تشكل الأخيرة بفعل التجنيد العام للرجال والنساء ، الذين أتموا خدمتهم الإلزامية ، وتلقوا تدريبهم العسكري في سن ١٨ سنة » (٨) .

نظرية بناء القوات

واضح أن إسرائيل بقيادتها السياسية والعسكرية كانت تهدف إلى تحقيق تفوق عسكري على الجيوش العربية . وهي بالتالي تبرك أن هذا التفوق لن يتحقق إلا إذا استند إلى التفوق النوعي للمجتمع في جميع المجالات ، الأخلاقية ، الثقافية ، العلمية والتكنولوجية ، بحيث يكون هذا التفوق جوهرياً ، وليس بشكل سطحي ومظهري .

كذلك أدركت القيادة أن هذا التفوق يجب أن يتجسد في الروح المعنوية ، وفي الدوافع وفي اللياقة العلمية والعملية والتكنولوجية المهنية ، إلى جانب تفكير عسكري أساسي بالنسبة لبناء القوة .

الامر الذي طرح بدوره المبادئ التالية :

« استغلال جميع الموارد القومية في فترة الحرب ، واستغلال جميع الطاقات والكفاءات لاقامة جيش شعبي ، أي كل الشعب جيش » (٩) .

في حالات الهدوء يتحول هذا الجيش ، وخاصة الاحتياط ، إلى العمل في مجالات التطوير : التعليم ، والبناء ، والصناعة ، وإلى جميع مجالات الإنتاج وبناء المجتمع . أما في حالات الحرب فيتم استدعاء الجميع للعمل العسكري . وبهذا تكون إسرائيل قد خلقت أكبر جيش في العالم بالنسبة لعدد سكانها ، حيث تصل نسبة التجنيد إلى ١٨٪ .

وفقاً لهذا البدء ، فإن جميع القوى والمركبات ، بما في ذلك الخيول ، وجميع وسائل النقل ، لها هدف مزيج ، فهي في حالة الهدوء تشكل القاعدة المادية لقطاع الاقتصاد ، وفي حالة الحرب تشكل القاعدة العسكرية .

على هذا النحو تبلور مبدأ بناء الجيش ومبدأ بناء وتشكيل قوات الاحتياط ، التي تعتبر العمود الفقري للجيش الإسرائيلي ، وهي التجسيد الفعلي للقوة الإسرائيلية الحاسمة في المعارك .

ومع أن قوات الاحتياط تشكل العمود الفقري للجيش ، وهي القوة الأكبر عدداً وعدة ، إلى جانب كونها القوة المضاربة فيه ، إلا أن قيادة هذه القوات تعود بشكل مباشر إلى قيادة الأركان العامة ، التي تتبع بدورها الجيش النظامي.

أما الجيش النظامي فيشرف بدوره على تدريب وتوزيع وتحديد فترة الخدمة الدورية لقوات الاحتياط ، إضافة إلى عمله طوال العام في أعداد مستلزمات قوات الاحتياط من الأسلحة وملابس ومخازن للطوارئ ، وأعداد مشاريع المناورات والخطط الحربية . هذا ، إضافة إلى عمله اليومي في معالجة الأمن .

لكن المهمة الأولى للقوات النظامية هي : صد أي هجوم معاد وعرقلة تقدمه ، إلى أن يصار إلى تجنيد قوات الاحتياط والزرع بها في المعركة ، في فترة أقصاها ٧٢ ساعة .

تحدث عن هذا الموضوع اللواء (احتياط) حاييم بارليف ، رئيس الأركان العامة للجيش ، بعد حرب ١٩٦٧ ، وقائد الجبهة الجنوبية في تلك الحرب ، قائلاً : « حجم القوات العاملة في الجيش النظامي » في كل الظروف ، يجب أن يمكنه من الصمود أمام أي هجوم فترة زمنية معينة ، إلى أن يتم استدعاء قوات الاحتياط وإشراكها في المعركة . هذا أولاً ، ثانياً ، عملية انتشار وتوزيع هذه القوات النظامية يجب أن تكون متوازنة ومتلائمة مع المعلومات الواردة عن قوات العدو ، ودرجة الطوارئ لديه . ثالثاً ، توزيع وانتشار وحدات ومخازن الطوارئ ، يجب أن يأخذ بالاعتبار ، إمكانية حدوث مفاجأة ، وعليه فإن هذه الوحدات ملزمة بتلبية احتياجات المجندين من قوات الاحتياط ، وإعادة ترتيب أوضاع هذه الوحدات لمواجهة العمليات الميدانية » (١٠) .

إذا كان الهدف إقامة جيش شعبي ، أو بكلمات أكثر نقة ، جيش يستغل كل عناصر القوة لدى الشعب ، لمواجهة الجيوش العربية الكبيرة والنظامية ، فمن الضروري ان تكون اسلحة المخابرات والطيران والبحرية ، اسلحة نظامية وثابتة (١١) .

سلاح المخابرات يجب أن يعطي الانذار المبكر الذي يتيح الفرصة لتجنيد قوات الاحتياط وتوزيعها على الجبهات الملائمة ، حسب أولويات المعركة . أما سلاح الطيران ، فإن مهمته التغطية بالطيران على عملية تجنيد قوات الاحتياط وانتشارها ، كذلك مساعدة القوات النظامية في إيقاف تقدم العدو ، الى أن يتم حشد قوات الاحتياط كاملة . ثم أن هناك سببا آخر يقضي بأن يكون سلاح الطيران سلاحا نظاميا ومتواجدا في جميع الحالات والظروف ، وهو كونه سلاحا مرنا وسريعا جدا ، يمكنه التدخل خلال دقائق معدودة على أية جبهة .

وعلى سلاح البحرية ، ان يتواجد بشكل دائم في ميدانه ، لان تحقيق السيادة في البحر موضوع دائم وغير مرتبط بحالات الحرب فقط . فهو موجود في الأساس لحماية الاسطول التجاري خاصة . ويحكم الظروف الموضوعية ، فاسرائيل لا تملك خطوط مواصلات دولية برية ، وهي تعتمد في موضوع التصدير والاستيراد والتجارة على الاسطول التجاري بشكل عام .

بالنسبة لحجم القوات الاسرائيلية ، بما في ذلك القوات الاحتياطية والنظامية ، ومن حيث العتاد والأسلحة ، فالجيش الاسرائيلي يتكون من ٢٠ لواء مدعيا ، وتسعة ألوية ميكانيكية ، وتسعة ألوية من المشاة ، وخمسة ألوية من المظليين . أما الأسلحة فتتكون أساسا من ثلاثة آلاف دبابة متوسطة ، بما في ذلك ٤٠ دبابة من طراز « مركباج » ، وهي اسرائيلية الصنع ، وتستعمل لأول مرة في الجيش . ويملك سلاح البحرية ثلاث غواصات ، و١٨ زورقا مزودا بصواريخ غيريئيل ، ومن المنتظر ان يتسلم في المستقبل القريب أربع زوارق أخرى ، وسفينتين حربيين كبيرتين . أما سلاح الطيران فله الآن ٥٤٣ طائرة مقاتلة ، ومن المتوقع ان يحصل على ١٥ طائرة من طراز « اف - ١٥ » ، و ٧٥ طائرة من طراز « اف - ١٦ » ، و ٢٠ طائرة عمودية مسلحة ، من الولايات المتحدة (١٢) .

سياسة الحرب الوقائية والضربة الأولى

منذ العام ١٩٤٩ ، وحتى حزيران ١٩٦٧ ، كان الوضع العسكري الاسرائيلي في حالة صعبة ، لمخطوط الهدنة كانت تحمل في طياتها مخاطر أمنية كبيرة ، وكانت المجموعات الفدائية ، وبشكل خاص في الأعوام ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، تجوب فلسطين بطولها وعرضها ، وكانت تشكل تهديدا مباشرا للمناطق ذات الكثافة السكانية ، وكان قطاع غزة بمثابة سيف مشرع على تجمعات السكان في الجنوب ، وعلى الساحل . أما الكنيست فقد كان في مرعى الهندية من مواقع الجيش الاردني . وفي حالة تقدم هذا الجيش مسافة ٥٠٠ متر فقط ، بإمكانه ان يقطع عروق الحياة عن البرلمان الاسرائيلي . ووجود الجيش الاردني في منطقتي قلقيلية وطولكرم في الضفة الغربية جعل باستطاعته لسيطرة على منافذ تل أبيب ، وفصل اسرائيل الى شطرين شمالي وجنوبي ، في اتجاه مدينة نتانيا الساحلية التي تبعد عن الحدود ١٦ كيلو مترا فقط .

أما الجبهة السورية فقد كانت مصدر قلق دائم لمستوطنات الغور الشمالي .

وكانت الجبهة المصرية تتحكم بمضائق تيران على البحر الأحمر ، الذي يشكل عصباً للتجارة الاسرائيلية الى افريقيا ، اضافة الى ان النقب كان ايضا يخضع بكل ما يجري فيه لمراقبة المواقع العسكرية المصرية .

هذا الوضع أدى بالقيادة العسكرية والسياسية الاسرائيلية ، للخروج بالنتائج التالية ، والتي طبقت بعد ذلك على أرض الواقع ، وهي « في كل مرة تشعر فيها اسرائيل بخطر نشوب معارك عسكرية ، فانها لا تستطيع ترك زمام المبادرة في يد القوات العربية ، لأن معنى هذه المبادرة نمار أجزاء حيوية من اسرائيل ... اذن فان كل حالة تدهور قد تؤدي الى الحرب ، اجبرت القيادة الاسرائيلية ، وبشكل اتوماتيكي على التخطيط لشن حرب وقائية ، ذلك لان اسرائيل تفتقر الى العمق الاستراتيجي الذي يمكنها من الاستعداد في اطاره ، من هنا فان أي انتشار يهدف الحرب يجب ان يتم على أرض العدو » (١٣) .

لقد طرحت هذه النظرية بشكل ملح ، من قبل عدد من قادة اسرائيل ، لدى وضعهم لنظرية السياسة الدفاعية لاسرائيل .

لهالحرب الوقائية ، والضرية الأولى المؤثرة ، تخرج الخصم من حالة التوازن في ميدان المعركة . والتوازن «اصطلاح استراتيجي فني ، يعني بان اي هدف للاستراتيجية في ادارة الحرب ، هو ، أولا وقبل كل شيء ، اخراج الخصم من حالة التوازن ، ومثال ذلك ما يقوله العميد (احتياط) اسرائيل تال :

« لقد دخلنا حرب يوم الغفران عام ١٩٧٣ ، ونحن في حالة تدن من منظور التوازن العملي ، وفي مثل هذه الحالة لا يمكن لنا الوصول الى حسم عسكري وتحقيق الانتصار الكامل » (١٤) .

لقد طالب معظم قادة اسرائيل بتبني سياسة الضرية الأولى والحرب الوقائية ، ومن ابرزهم اسرائيل تال الذي شرح المعاني لهذه الحرب ، وقال : « معنى الحرب الوقائية هي ، ان شعبا يبادر بحرب من أجل احباط حرب معدة ومخططة سلفا ، ولا يمكنه تجنبها ، او من أجل احباط تحركات ومشاريع عدوانية ... أما بالنسبة للضرية الأولى ، فالامر يتعلق بإدارة الحرب ، وليس بأن تبدأ الحرب . واذا كانت الحرب واردة ولا يمكن تجنبها ، فمن الأفضل دائما ان نستيق العدو ونكون الطرف الأول الذي ينزل به الضرية الأولى ، على غرار حرب الأيام الستة » (١٥) .

علينا ، نظريا ، ان نتمسك بنظرية الضرية الأولى كاستراتيجية - يقول تال - لانها تعطينا امكانية حسم المعركة بسرعة ، كما توفر من الضمان المادية والبشرية ، وه انني اطالب بتبني سياسة الضرية الأولى والحرب الوقائية كاستراتيجية ثابتة لاسرائيل ، لان القوات العربية لا تتمثل فقط في قوات دول المواجهة ، فهناك الجيوش المرسله من دول شمال افريقيا ، من السعودية ، الامارات ، والعراق ، وعليه فالحرب الدفاعية لا تمكننا من الحسم السريع ، وحتى ان لم يتمكن العدو من اقتحام مواقفنا ، فان استمرار الحرب - في حالة اتباعنا حربا دفاعية - ستتحول الى منافسة لتدمير الموارد ، الامر الذي لا يستطيع اسرائيل ان تصعد امامه

لفترة طويلة ، وليس أمامنا خيار سوى تبني الحرب الهجومية وتفضيلها على الحرب الدفاعية» (١٦٦) .

معنى هذا ان اسرائيل اذا اضطرت الى حرب دفاعية ، فانها ستتبنى الهجوم ، ففي تبني الهجوم من أجل الدفاع تفوق على الخصم .

ليس هذا فقط ، بل أن بعض الاستراتيجيين مثل البرفسور سعادية عاميئيل ، حمل بشدة على استراتيجية الدفاع وقال : « في غياب الخيارات الهجومية المحددة ، فان استراتيجية دفاعية سلبية أو ناجمة عن ردة فعل Reactive Defence « لا تستطيع الصمود أمام استراتيجية هجومية يمارسها خصم يملك قوة عسكرية هجومية كبيرة ومنظمة جدا » (١٦٧) .

اذا كان هذا الخصم مقتنعا بأنه محصن من الضربات والهجمات ضده ، وعلى أرضه ، فانه يستطيع ان يحشد كل موارده للهجوم . أما اذا كان مقتنعا بأنه مكشوف أمام هجوم وقائي داخل عمقه ، فانه لن يتريد في تحويل جزء كبير من موارده وقواته من أرض المعركة الى الخطوط الخلفية ، والى المناطق البعيدة عن الجبهة ، الى حيث يتركز تهديد العدو .

على هذا النحو ، ولدى اتباع سياسة الضربة الأولى والحرب الوقائية ، يمكن اجبار الخصم على تشتيت موارده وقواته .

لقد اتبعت اسرائيل هذه السياسة فعليا خلال العامين ٦٩ - ١٩٧٠ ، اثناء حرب الاستنزاف التي شنها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر على القوات الاسرائيلية في سيناء ، فالغارة على نجع حمادي ، وغارات الطيران الاسرائيلي في العمق المصري ، على القاهرة ودهشور وحلوان والمنصورة ، كانت كلها تهدف الى عدم تمكين مصر من حشد قواتها العسكرية على الجبهة بهدف الهجوم ، هذا الى جانب استنزاف الاقتصاد المصري ، والضغط على مصر لايقاف حرب الاستنزاف .

وقد لوحظ هذا ايضا ، في حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، حيث فرزت مصر ٢٠ الفا من قواتها الجوية لصماية الاجواء والعمق المصريين . بهذا تكون اسرائيل بسياستها في الحرب الوقائية والضربة الأولى حالت دون ان يعمل الطيران المصري بكل قوته ويتركز ضد الجبهة ، ومنعته من الحشد بشكل كامل ، ضد الاهداف العسكرية الاسرائيلية في سيناء .

في الوقت نفسه كانت اسرائيل على قناعة بانها غير مهددة في عمقها ، وبأن سماءها ستبقى نظيفة تماما خلال الحرب ، الأمر الذي مكنها من حشد كل قواتها على الجبهتين المصرية والسورية .

هذا الموضوع نفسه - عالجه دافيد بن - غوريون ، الذي كان يشغل منصب رئيس الحكومة ووزير الدفاع في آن واحد ، قائلا : « حتى في حالات الدفاع لا يمكن دائما اتباع استراتيجية دفاعية بحتة ... فالطريقة الأفضل والأكثرفاعلية ، هي القيام بعمليات هجومية ، وإذا كان علينا أن ندافع فإلى بيوتنا وندافع ، بل علينا أن ننقل الحرب الى الجانب الآخر . وإن ندافع بقوات ضاربة مهاجمة ، خاصة أن هناك دفاعا بوسائل هجومية بحتة » (١٦٨) .

اذا كان بن - غوريون لم يشر بشكل مباشر الى الحرب الوقائية والضربة الأولى في

حديثه ، فانه ركز عمليا ، على أن نظرية الدفاع يجب أن تتمثل في الهجوم ، ونقل المعركة الى أرض الطرف الآخر .

وهو موضوع عالجه إسرائيل تال فقال : « في بعض الحالات يمكن ان تكون الحرب الوقائية ، صمام امان لعدم حدوث مفاجأة ، كما يمكن ان تكون الرد الحاسم عن الحرب العربية المخططة سلفا ، أي الرد على المفاجأة بمفاجأة ، شريطة ان تكون هناك قوات معدة ومجندة للقيام بمشروع الحرب الوقائية ، والى جانب هذا لا يجب الاعتماد بدرجة مبالغ فيها على استراتيجية الحرب الوقائية كرد على المفاجأة ، لانه ليس في جميع الحالات والأوضاع السياسية والعسكرية يمكن اللجوء الى خيار الحرب الوقائية » (١٩) .

وأبرز صور هذه الحرب وقع في الخامس من حزيران ١٩٦٧ . فكثافة الهجوم الإسرائيلي وضخامة المفاجأة ، حسمت مصير الحرب في الساعات الثلاث الأولى منها ، وذلك بعد تدمير الجزء الأكبر من أسلحة الطيران العربية . أما استمرار الحرب الى اليوم السادس ، فقد فرضته المسافة التي يتوجب على القوات الإسرائيلية قطعها ، وتطهير المواقع خلال سيرها السريع . بعد حرب ١٩٦٧ ، والنتائج التي تمخضت عن هذه الحرب ، اختلف الوضع الاستراتيجي الإسرائيلي في عدة نقاط :

- أ - حطمت القوة العسكرية لدى الجيشين المصري والسوري معنويا وماديا .
- ب - افقدت العرب التفوق الاستراتيجي التكتيكي الذي كان لديهم بفضل خطوط الهدنة ، أي حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ .
- ج - خلقت الحدود الجديدة التي تشكلت نتيجة لحرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، العمق الاستراتيجي الذي يتطلع اليه الاستراتيجيون الإسرائيليون لحماية إسرائيل ، وهذه الخطوط استندت الى موانع طبيعية ، تقيد العمل العسكري لقوات سلاح المشاة والبياتيات لدى الجيوش العربية ، هذا اضافة الى كونها أبعدت الة الحرب العربية عن الأهداف الحيوية في إسرائيل .
- د - جعلت المساحة الواقعة بين هذه الخطوط الجديدة ، وبين أول مستوطنة إسرائيلية على خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ ، تشكل منطقة دفاع سهلة للقوات الإسرائيلية .
- هـ - رفعت الروح المعنوية لدى الجيش والشعب في إسرائيل ، وعززت الثقة المتبادلة بين الطرفين (٢٠) .

واضح تماما ، وبدون أي لبس ، ان أهم الاختلافات في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية وقعت نتيجة لحصول إسرائيل - بعد حرب ١٩٦٧ - على العمق الاستراتيجي الطبيعي ، فإسرائيل « الحزام » التي كانت مراكزها الحيوية وتجمعاتها السكانية في مرمى المدفعية المتوسطة والخفيفة المدى ، اختلف وضعها تماما . فباحتمال سيناء أصبحت هذه المراكز الحيوية بعيدة جدا ، وبياتت المعارك لا تهدد المستوطنات والمدن الإسرائيلية . بل القرى والمدن المصرية في سيناء .

أما الجبهة الشرقية ، التي كانت محايدة تماما لأهم التجمعات السكانية والمنشآت الاقتصادية والعسكرية الإسرائيلية ، فصارت بعيدة هي الأخرى ، بفضل احتلال الضفة الغربية كاملة . وقد أصبح لزاما على أية قوات عربية تخطط لمهاجمة إسرائيل ، أن تعد أولا مشروعا عسكريا شاملا لعبور نهر الأردن ، ثم لخوض معركة بين مدن وقرى الضفة الغربية ، والانتصار فيها كي تشكل بعد ذلك خطرا مباشرا على المراكز الحيوية والهامة لإسرائيل .

وبالنسبة للجبهة الشمالية ، فقد ابعدت فوهات المدفعية السورية عن التجمعات السكانية في الغور الشمالي والأوسط ، وغابت خلف موانع جغرافية تقف عقبة أمام تحرك المشاة والدبابات .

ربما تكون هذه الأسباب مجتمعة ، هي التي أحدثت التغيير ، وبشكل خاص في سياسة الضربة الأولى والحرب الوقائية . إن هذا العمق الاستراتيجي الكبير نسبيا ، واطمئنان إسرائيل بأن القوات العربية تحتاج إلى عشر ساعات على الأقل كي تخترق خطوط دفاعها الأولى والتقدم في اتجاه الأهداف الحيوية الهامة ، كل هذا أحدث قضا وامتدح في نظرية الحرب الوقائية والضربة الأولى ، وهذان القضم والامتدح ، هما بعض الأسباب ، وربما كانا أهمها ، في حدوث المفاجأة في ٦ تشرين الأول عام ١٩٧٣ .

فإسرائيل لم تكن لتسمح بأن يأخذ العرب زمام المبادرة في الحرب ، ولم تكن لتسمح في أية حرب بأن يكون العرب فيها هم أصحاب الضربة الأولى ، لو أنها بقيت داخل حزامها الضيق ، أي داخل حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ .

يثبت هذا القول تصريحات موشي دايان وعدد من كبار قادة الجيش الإسرائيلي ، التي كانت ترحب بدخول الجيش المصري إلى سيناء ، لدفنه أثناء عملية عبور قناة السويس .
مكانة الحرب الوقائية في الاستراتيجية الإسرائيلية

لا شك أن الحرب الوقائية التي اعتمدها إسرائيل في كل حروبها مع العرب ، باستثناء حرب ١٩٧٣ ، تحتل مكانة مرموقة في الاستراتيجية العسكرية . بل تشكل العنصر الأساسي في التخطيط الاستراتيجي العسكري لدى إسرائيل . فالحرب الوقائية ، تشكل حجر الأساس في التفكير والتخطيط الاستراتيجي (للجيش الإسرائيلي) منذ حرب الاستقلال (٢١) .

لقد تطورت نظرية الحرب الوقائية نتيجة للقيود الأساسية في الوضع الاستراتيجي والجغرافي لإسرائيل ، وهي :

– انعدام العمق الاستراتيجي ، وقرب المراكز الحيوية ومراكز التجمعات السكانية للحدود .

– الهوة في ميزان القوى من حيث الكم ، والشعور بأن إسرائيل تخوض حرب الأقلية ضد الأغلبية .

– الإدراك بأن دولا كبيرين وقوات خارجة قد تتدخل ضد إسرائيل ، إذا حققت الأخيرة مكاسب عسكرية ، لذا يتوجب تحقيق هذه المكاسب بسرعة ، وتثبيت الأمر الواقع خلال المراحل الأولى للحرب (٢٢) .

القوة الرادعة

بالرغم من أن نقاط الضعف كثيرة ومتعددة في الجيش الإسرائيلي ، وتشكل اغراء للجيش العربية لاستعمال قوتها ، وضرب نقاط ومواطن الضعف في اسرائيل ، الا ان هذا الاغراء ، وبمجرد دخوله الى دائرة اصحاب السيطرة والتخطيط في الجيوش العربية النظامية ، يسقط وكأنه غير موجود ، وكان نقاط الضعف هي نقاط قوة يستحيل ضربها .

ان هذا يعود لكون اصحاب القرار يعتقدون بأن اسرائيل تملك قوة رادعة تستطيع الرد بسرعة وفعالية . ولتعريف قوة الردع يمكن القول ، « أن قوة الردع هي السلاح غير المستخدم لكنه مستوعب لدى الجيش الذي يدافع عن نفسه الى منع نشوب حرب ضده ... قوة الردع هي القنرة الكامنة والحبيسة في الجيش وقد لا تستعمل الا في التدرجات ، والمناورات ، والمشاريع العسكرية الواسعة التي يجري الاعلان عنها ، هذا اضافة الى التفوق في العمليات العسكرية المحدودة التي تبرز طابع قوة الجيش ، الامر الذي يجعل نون نشوب حرب ... أي أن قوة الردع هي القوة الموجودة وغير المستعملة ويسببها يلغي أو يواصل الطرف الآخر مشاريعه » (٢٣) . ويتوجب ، من أجل الوصول الى تشكيل قوة ردع فعالة ، وجود جيش قوي ، يمكن من خلاله اقتناع الطرف الآخر بأنه اذا حاول تحقيق بعض الاهداف بالقوة العسكرية ، فسوف يسحق ويدمر .

ففي اسرائيل احتلت استراتيجية الردع ، أو القوة الرادعة مساحة كبيرة من سياسة الأمن ، وخالصة هذه القوة ، ان تنقل للطرف الآخر ، بأن أي هجوم أو أية مشاريع عدائية من جانبه ، هي بمثابة انتحار له .

لقد رجحت اسرائيل ، عن طريق وسائل الاعلام في الداخل والخارج انها تملك ، اضافة الى ترسانتها العسكرية ، قنبلة نوية ، وذلك لخلق قوة ردع حاسمة ، حتى وان كانت وهمية ، وحاولت ان تقنع النول العربية بهذا الامر الذي يوفر عليها تكاليف باهظة لتشكيل قوة ردع بالاسلحة التقليدية . وحتى ان قوة الردع التي تستند الى ترسانة اسلحة حديثة جدا ، وبكميات وافرة ، بقيت غير مقنعة تماما ، واثبتت فشلها في بعض المجالات « يكفي ان نستعرض ما حدث قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ . فقد كانت الحكومة الاسرائيلية مستعدة للمجازفة والتورط بوليا ، في سبيل اجراء العرض العسكري في القدس ، تمشيا مع مبدأ الردع ... وخلال العرض العسكري تلقى رئيس الأركان اللواء ابيتن حاق رابين ، معلومات مفادها ان قوات الجيش المصري بدأت بالتحرك نحو سيناء » (٢٤) .

الامر الذي يدل على أن جمال عبد الناصر لم يخش ولم يأخذ بعين الاعتبار القوة الرادعة التي تحاول اسرائيل التلويح بها .

اما الضربة الأشد والأقسى لاستراتيجية الردع الاسرائيلية فقد جاءت ، بشكل مفاجيء ، في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ ، « حين كانت اسرائيل وفقا لكل الآراء ، في قمة سياستها الرادعة ، ومستندة الى حنود أمنية سهلة ومحصنة » (٢٥) .

ليس معنى هذا ان اسرائيل فشلت تماما في سياسة الردع التي اتبعتها بشكل منظم

ومدرس منذ العام ١٩٥٧ ، أي بعد انسحابها من سيناء وقطاع غزة ، فقد لقيت هذه السياسة بعض النجاح في العمليات العسكرية المصوبه . فالقصف الاسرائيلي للطيران والمدفعية ، والاغارات على بعض الاهداف المنية والعسكرية في بعض الدول العربية ، لم تعقبه أية ردود فعل عسكرية على المستوى القيادي العربي ، بل تمثل الرد - ان وجد - في مبادرات بعض الجنود والضباط الذين تحملوا مسؤولية الرد بشكل شخصي .

سياسة الردع والمقاومة الفلسطينية

منذ ان انطلقت المقاومة الفلسطينية في الفاتح من كانون الثاني عام ١٩٦٥ ، وبدأت بتنفيذ عملياتها العسكرية داخل فلسطين ، انكبت القيادة العسكرية والسياسة الاسرائيلية على وضع مشروعات لوأدها في المهد .

وانركت هذه القيادة أن حجم المقاومة ، اذا ما قورن بالقوات النظامية ، وبشكل خاص في بداية الانطلاق المسلحة ، لا توازي كتيبة عسكرية ضمن جيش نظامي . وبالمقابل ، كانت تعرف تماماً أن فاعلية قوى المقاومة أو أن كانت من حيث الكم لا تدخل في حسابات الجيش ، سوف تفرض نفسها على سياستها الأمنية .

وعلى الرغم من كل الاجراءات العسكرية ، وأهمها تكثيف عمليات المطاردة ، وزيادة النوريات ، واستعمال الطيران على نطاق واسع ، واعتماد الاغارة المصوبه على بعض الاهداف العسكرية للمقاومة ، على الرغم من هذا انركت اسرائيل ، أن كل هذه الاجراءات عقيمة ، والقصى ما يمكن أن يحققه من نتائج هي عرقلة بعض العمليات ، أو عدم تمكينها من تحقيق أهدافها .

لهذا اعتمدت اسرائيل اسلوباً جديداً في سياستها الأمنية ، توخدت منه تحقيق عدة اهداف أهمها :

- ١ - الابادة الجسدية للعنصر الفلسطيني المقاتل .
- ب - إلحاق الضرر بالمدينين ، بالأرواح والممتلكات كي يكفر هؤلاء بالمقاومة .
- ج - ردع قيادة المقاومة عن تخليط وتنفيذ عمليات عسكرية ضد اسرائيل ، تحت شعار أن الضرر والخسائر المادية والبشرية التي تلحق بالفلسطينيين ، أكبر من تلك التي تلحق باسرائيل .
- هـ - انتهاك سيادة الدول التي تعمل المقاومة عبر أراضيها ، بحجة أن هذا الانتهاك لم يكن ليحدث لولا وجود المقاومة .

وقال لكل هذه الأسباب مجتمعة ، قامت اسرائيل بالاغارة المشهورة والأولى من نوعها على الكرامة في ١٩٦٨/٣/٢١ .

الكرامة أول اختبار لسياسة الردع

تلق عملية الكرامة ، من وجهة النظر الاسرائيلية - أول عملية بهذا المستوى - ضمن استراتيجية الحرب الوقائية : الضربة الأولى ، وسياسة الردع ، فهي حرب وقائية لاحباط

مخططات المقاومة الفلسطينية ، وافشال مشاريعها العسكرية . أما فيما يتعلق بسياسة الضربة الأولى ، فهي بمثابة سحب المبادرة من المقاومة ، وانزال الضربة الأولى على أهم وأكبر قاعدة لها ، تشمل القيادة الرئيسية ، وأكبر عدد من العناصر والعتاد العسكري .

النقطة الثالثة ، وهي أن إسرائيل أرادت تحقيق عملية ردع كاملة للمقاومة . وعلى الرغم من أنها حشدت قوات ضخمة لهذه العملية ، تمثلت في « ثلاث سرايا مدرعة من اللواء السابع ، مهمتها السيطرة على جسر اللنبي وبعض المواقع المجاورة ، وأربع سرايا من المظليين مع قوة استطلاع ، مهمتها السيطرة على جسر دامية والمواقع المجاورة له ، إضافة إلى أكثر من كتيبتين من المظليين ، مدعمة بسرية وفصيل مدرع ، كانت مهمتها السيطرة على بلدة الكرامة ، وأسر (الفدائيين) . إلى جانب ذلك تقدر بسرية محمولة في عشر طائرات عمودية ، مهمتها اغلاق طرق الانسحاب من الجانب الشرقي للكرامة . إضافة إلى كل هذه القوات ، كلف سلاح الطيران بالقيام بعمليات الحماية والتفطية على نطاق واسع ، (٢٦) .

بالرغم من هذا الحشد العسكري والأهداف المعدة سلفاً لتحقيقها ، فقد منيت إسرائيل بهزيمة كبيرة ، ليس بالخسائر البشرية التي بلغت ٢٦ قتيلًا و٨٠ جريحًا وثلاثة مفقودين باعتراف إسرائيل ، ويعد من البيانات وناقلات الجنود والمجنزرات والشاحنات العسكرية ، بل تمثلت في فشل استراتيجية الردع ، والحرب الوقائية والضربة الأولى عندما طبقت ضد المقاومة . لأن عمليات المقاومة لم تتوقف حتى من الكرامة نفسها ، هذا أولاً . وثانياً ، لأن القواعد الفدائية لم تسحب من الكرامة ، بل وتمشيا مع مقتضيات الأمن وسرية العمل ، نقلت القيادة الرئيسية فيها . وثالثاً ، لأن سياسة الضربة الأولى والتي كان من المفترض أن تقلل عدد الخسائر الاسرائيلية ، وتزيد من عدد الخسائر البشرية والمادية لدى المقاومة ، وتخلق حالة أرباك في صفوف المقاتلين ، فقدت قيمتها ، نتيجة لعدد القتلى في صفوف الجيش الاسرائيلي . هذا العسدد أثار داخل إسرائيل موجة من النقد الشديد ضد العملية والمخططين لها ، على الصعيدين العسكري والسياسي .

أما الدليل الأقوى على فشل سياسة الردع الاسرائيلية في هذه العملية ، فقد تجسد في الاقبال الشديد من قبل الشعب الفلسطيني ، بشكل خاص ، والشعب العربي بشكل عام ، على التطوع في صفوف المقاومة الفلسطينية بعد عملية الكرامة بالذات .

خلاصة ذلك ، أن سياسة الردع التي بلورتها إسرائيل ، ومارستها ضد الجيوش العربية النظامية ، فشلت فشلاً ذريعاً لدى تطبيقها ضد المقاومة الفلسطينية . وإن كانت قد أثرت في الضغط على الأردن ، الذي صار لديه سبب آخر للعمل من أجل وقف العمليات الفدائية من شرق الأردن وقد حاولت إسرائيل تعويض هذا الفشل في ظروف أخرى . وانعكس هذا في عدة عمليات واسعة نسبياً ، شنتها إسرائيل على جنوب لبنان ، وعلى مخيمات الفلسطينيين في بيروت وطرابلس . وحرب الجنوب التي بدأتها إسرائيل في ١٥/٣/١٩٧٨ ، وامتدت فترة ثمانية أيام . استخدمت فيها إسرائيل ٤٥ ألف جندي ، بما في ذلك سلاح المدرعات والطيران والبحرية ، لم تردع المقاومة الفلسطينية عند الاستمرار في توجيه ضرباتها لاسرائيل ، سواء كانت على الحدود أو في قلب المدن الفلسطينية أثناء وبعد احتلال الجنوب ، وبعد الانسحاب منه . إضافة إلى ذلك ، فالشريط الأمني الذي خلقته إسرائيل في الجنوب لم يحل دون ضرب المستوطنات في الشمال .

مثل كريات شمونة ، والاغارة على مدينة نهاريا الواقعة على الساحل الشمالي لفلسطين . فالسياسة الردعية الاسرائيلية اصبحت بمثابة قفاز القوي في وجه المقاومة الفلسطينية التي قبلت التحدي .

اما تأثير هذه السياسة في الضغط على لبنان ذاته ودفعه لمعاداة الفدائيين الفلسطينيين فقد كان تأثيراً متفاوتاً ، ومختلفاً عن ما وقع في الاردن ، بالنظر لاختلاف الظروف ، واساساً بالنظر للتحالف القائم بين المقاومة الفلسطينية وفرقاء عديدين ونافذين في لبنان .

اهداف الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية

وضعت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ، في الاساس ، لتخدم الاهداف السياسية لاسرائيل ، لالتحكم فيها ، فهي اداة تنفيذية طيبة ، ترمي الى تحقيق الغاية القومية . وتميزت هذه الاستراتيجية بارتباطها بتطور مسار المشروع الصهيوني في فلسطين ، المتمثل في الهجرة والاستيطان ، الامر الذي اثر الى حد كبير على الاهداف الاساسية التي تسعى هذه الاستراتيجية لتحقيقها . فقد كان ظهور الاهداف خاضعا الى حد كبير لحالة المد والجزر التي رافقت مسار هذا المشروع ، وهذا يعني ان خاصية هامة وهي « انها لا تظهر من اهدافها ونواياها ، الا ما يحدده الهدف القريب وحده ، بحيث لا تبرز الاهداف والنوايا الاخرى التي تليه » (٢٧) .

فاسرائيل تحاول بهذه الطريقة ان نخدع الرأي العام العالمي . كما تحاول ان توجي لخصومها بان سطاتها محددة ، واهدافها محدودة ايضا ، الى جانب انها تحافظ على سرية الاهداف المستقبلية .

فالغاية القومية التي تسعى اسرائيل لتحقيقها عبر هذه الاستراتيجية ، تتلخص في التالي :

- ١ - ضمان أمن اسرائيل والعمل على تأكيد وجودها في المنطقة .
 - ٢ - اعادة تكوين مملكة اسرائيل القديمة بأوضاعها التاريخية ، ثقافتها وجذارتها القديمة . بحيث تكون مقر جميع يهود العالم .
 - ٣ - حماية القاعدة الاقتصادية وانماؤها لتمكن من استقطاب المهاجرين اليهود ، لترغد بهم آلتها العسكرية .
 - ٤ - خلق مجتمع اسرائيلي مترابط ومتماسك ومغلق .
 - ٥ - توسيع رقعة الأرض على حساب الدول العربية المجاورة ، لأن فلسطين بحودها الطبيعية ، لا تستطيع استيعاب قرابة ١٤ مليون يهودي موزعين في دول العالم ، اضافة الى التزايد الطبيعي للسكان .
 - ٦ - اقامة أكبر ترسانة سلاح وأكبر قوة في المنطقة ، حتى تبقى في خدمة تحالفات الدول الامبريالية ، التي تسعى لتأمين مصالحها في الوطن العربي .
- هذه هي الاهداف الاستراتيجية الاسرائيلية التي تطلق على السطح في الظروف المواتية

لها ، أي في فترة التنفيذ وما بعده . وأن كل من يدرس تاريخ الحركة الصهيونية ، يجد عمليا أن دولة إسرائيل بدأت تتأسس منذ عام ١٨٧٠ ، أي منذ أن بدأ الاستيطان الصهيوني للفلسطين ، متمثلا في اقامة المدرسة الزراعية الأولى في مكفي إسرائيل ، على أراضي بلدة بازور ، بين تل أبيب واللد .

- (١) ابراهيم انيماي ، دافيد بين - غوريون ، ميعاتسيف ها مديناه (دافيد - بين غوريون مهندس النولة) ، القدس ، كيتز ، ١٩٧٤ ، ص ١٠١ .
- (٢) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .
- (٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .
- (٤) إسرائيل تال ، معرخوت ، كانون الاول ١٩٧٦ ، عدد ٢٥٢ .
- (٥) المصدر نفسه .
- (٦) المصدر نفسه .
- (٧) المصدر نفسه .
- (٨) انيماي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦ .
- (٩) معرخوت ، العدد ٢٥٢ .
- (١٠) ידיעות احرنوت ، ١٩٧٧/٩/٢١ .
- (١١) حايبم بارليف ، معرخوت ، تشرين الاول ، الثاني ١٩٧٨ .
- (١٢) التقرير السنوي ، ١٩٧٨ ، معهد الدراسات الاستراتيجية ، لندن .
- (١٣) حايبم هرتسوغ ، ملصحت يوم هدين ، (حرب يوم الحساب) ، القدس ، عيدانيم ، ١٩٧٥ ، ص ١٢ .
- (١٤) ידיעות احرنوت ، ١٩٧٧/٩/٢١ .
- (١٥) المصدر نفسه .
- (١٦) المصدر نفسه .
- (١٧) معرخوت ، أيلول ١٩٧٨ ، عدد ٢٦٥ .
- (١٨) انيماي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٧ .
- (١٩) ידיעות احرنوت ، ١٩٧٧/٩/٢١ .
- (٢٠) دافيد دايمان ، بطحون للشوشالوم ، (امن بدون سلام) ، رمات جان ، مسادة ١٩٦٨ ، ص ٢٠٥ .
- (٢١) ايتان هاجر ، زئيف شيف ، ليكسيكون لبطحون بيسرائيل ، (قاموس امن اسرائيل) ، تل أبيب ، دارالغار ١٩٧٦ ، ص ٣٢٤ .
- (٢٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢٥ .
- (٢٣) دايمان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٠ - ٦١ .
- (٢٤) ي . نورثيل ، هيطحون هلتومي شتل بيسرائيل ، (الامن القومي لاسرائيل) ، تل أبيب - شنافيم ، ١٩٧٤ ، ص ٦٩ .
- (٢٥) المصدر نفسه ، ص ٧٠ .
- (٢٦) هاجر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٧ .
- (٢٧) هيثم الكيلاني ، المذهب العسكري الاسرائيلي ، بيروت م - ت - ف ، مركز الأبحاث ، ١٩٦٩ ، ص ٣٩٦ .

مقابلة مع الدكتور إقبال أحمد

الاستراتيجية السياسية والعسكرية للولايات المتحدة

الدكتور إقبال أحمد باحث ومفكر باكستاني معروف في الولايات المتحدة ، ويعمل الآن كباحث في مؤسسة الدراسات السياسية في واشنطن ، كما يعمل في مؤسسة أخرى مختصة بالدراسات الدولية تدعى « The Transnational Institute » ، ويشارك في تحرير مجلة « Race and Class » بمجلة « Afrique Asie » وهي من المجالات المختصة بشؤون العالم الثالث . كما نشرت له عدة مقالات في جريدة « النيويورك تايمز » . ويعتبر خبيراً في دراسة استراتيجيات الدول الكبرى ، خاصة استراتيجية الولايات المتحدة تجاه العالم الثالث. يدمج في دراساته بين معرفته للتطورات في السياسة الأميركية وبين معرفته للمشاكل التي تواجه دول وثورات العالم الثالث .

والدكتور أحمد مؤلفان باللغة الانجليزية :

١ - « الرجعية والثورة في العالم الثالث »

٢ - « فنابل موقوتة : لنيل المواطنين الى سياسة الولايات المتحدة الخارجية في السبعينات .

وقد سبق ان نشرت « شؤون فلسطينية » مقتطفات من هذا الكتاب الاخير بعنوان « عودة الى العالم الذي تريده واشنطن » ، في عدد اذار ١٩٧٥ .

وفي هذا العدد تنشر المقالة التي اجريت معه عندما زار لبنان مؤخراً برفقة وفد من الاميركيين الذين لعبوا دوراً في مناهضة العدوان الاميركي على فيتنام .

س - بصفتك خبيراً في السياسة الأميركية تجاه العالم الثالث ، هناك عدة اسئلة نود ان نطرحها عليك حول طبيعة السياسة الأميركية في الشرق الاوسط وتجاه القضية الفلسطينية . وتتناول هذه الاسئلة ثلاثة مواضيع متشابكة : اولاً : المخطط الاستراتيجي الأميركي العام والمبادئ التي تسيره ثانياً : الاستراتيجية العسكرية الأميركية في الشرق الاوسط ، وعلاقتها بالاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية . ثالثاً : اهمية استقالة اندرو يونغ من منصبه وامكانيات حصول القضية الفلسطينية على دعم فعال في المجتمع الأميركي . باي من هذه الاسئلة تفضل ان تبدأ .

ج - إن استقالة اندرو يونغ هي حدث مثير للاهتمام ، لأنه يعكس انفساً وتوتراً معيناً داخل المؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة ، حول بعض المسائل التكتيكية .

ويبدو لي إن استقالة أندرو يونغ اعتبرت في الشرق الأوسط ، وفي الصحف العربية ، كانهكاس إما لمواجهة بين فرد ذي ضمير حي (هو أندرو يونغ ولوبي منظم هو اللوبي اليهودي) ، او كواجهة فعلية او محتملة بين الأميركيين السود واللوبي اليهودي . وفي اعتقادي ليس هناك من شك ، بأن الأسلوب والاعتبارات الفردية والشخصية لأندرو يونغ اثرت في هذا الحدث ، يضاف الى ذلك ان هناك توترا معينا بين اللوبي الاسرائيلي (اي عدد كبير من اليهود والصهاينة في الولايات المتحدة) وحركة السود .

ولكنني اعتقد ان استقالة يونغ تعكس ايضا وجود خلاف داخل المؤسسة المخططة للسياسة الأميركية ، حول كيفية التعامل مع دولة اسرائيل ، اي حول مكانة دولة اسرائيل في الاستراتيجية الأميركية ، وماذا يجب ان يكون دور اسرائيل ، في تلك الاستراتيجية .

اعتقد انها ستكون نقطة انطلاق جيدة لو بدانا بالاشارة الى ان احدى العوامل الرئيسية التي ادت الى نجاح الحركة الصهيونية منذ بدايتها ، كانت قدرتها على ربط السياسات الامبريالية باهدافها الخاصة .

ومن هذا المنطلق قام هرتسل بمحاولة ناجحة ، الى حد ما ، في ربط اهداف السياسة البريطانية باهداف الاستيطان اليهودي (في الواقع لم تكن محاولته ناجحة في اول الامر ولكنها نجحت فيما بعد) . ثم استمر حايم وايزمان في السياسة نفسها ، وحافظ على الصلة الخاصة بين الحركة الصهيونية والسياسة البريطانية .

ولكن الجدير بالاهتمام هو انه في حين نجحت الحركة الصهيونية بربط اهدافها بالاهداف الامبريالية فانها لم تنجح دائما في تحديد طبيعة الصلة بينهما . إن الأولويات الاستراتيجية للقوى الامبريالية هي التي حددت طبيعة تلك الصلة ، وليس الأولويات الاستراتيجية للحركة الصهيونية .

وشهدت هذه العلاقة المستمرة بين الحركة الصهيونية والقوى الامبريالية عدة توترات (لاحظ انني استعمل كلمة توتر وليس كلمة نزاع) وكانت تبدو أكثر حدة في بعض الفترات خاصة عندما كانت تعجز الحركة الصهيونية عن الاستفادة القصوى من صلتها مع القوة الامبريالية ، فمثلا بين عامين ١٩٤٥ و ١٩٤٧ نشب نزاع بين المنظمة الصهيونية والانتداب البريطاني ، اذ كانت المنظمة الصهيونية تريد ان يفتح لها نظام الانتداب ابواب الهجرة اليهودية كليا ، ويدون اية شروط ، وان يستخدم الانتداب جيشه وقواته لزيادة السكان العرب ، ولكن البريطانيين كانوا حريصين على تطبيق سياستهم و اظهار دعمهم للحركة الصهيونية بشكل تدريجي ، وضمن حدود معينة . وهذا التفاوت في الاهداف ادنى الى اشتباكات مسلحة بين الطرفين لبعض الوقت .

وهناك عدة امثلة اخرى تظهر وجود بعض التناقضات بين الاهداف الصهيونية والاهداف الامبريالية فلم يكن هناك دائما المستوى نفسه من العرض والطلب ، فما كان يطلبه الاسرائيليون لم يستجب له دائما ، والعكس صحيح .

واستمرت دولة اسرائيل منذ تأسيسها باستعمال اساليب الحركة الصهيونية نفسها وتظهر الابحاث التاريخية ان علاقة الولايات المتحدة بدولة اسرائيل قد مرت بثلاث مراحل :

أولا : من العام ١٩٤٥ الى العام ١٩٤٨ . دعمت الحكومة الاميركية قيام دولة اسرائيل دعما كاملا ، واثار ذلك بعض النقاش داخل الادارة الاميركية .

ثانيا : من العام ١٩٤٨ الى العام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ (على وجه التقريب) ابدت الولايات المتحدة اهتماما ضئيلا بدولة اسرائيل . واعتبرت ان دورها محدود في منطقة الشرق الاوسط . في حين ان الفرنسيين والبريطانيين - (خاصة الفرنسيين) كانوا يريدون توسيع دور اسرائيل في المنطقة . وازداد اهتمام الفرنسيين باسرائيل بعد انطلاق الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ ، ولقد عبر الغزو الانكلو - فرنسي - الاسرائيلي للسويس عن ارادة فرنسا وبريطانيا واسرائيل بفرض اسرائيل « كقوة ضاربة » في المنطقة .

ولكن اصرار حكومة ايزنهاور على انسحاب اسرائيل تحت اشراف الأمم المتحدة ، كان معبرا عن رفض اميركي للخضوع امام المحاولة الانكلو - فرنسية لفرض اسرائيل « كقوة ضاربة » في المنطقة .

وفي الفترة نفسها (١٩٤٨ - ١٩٥٧) اهتمت الولايات المتحدة بتقوية علاقاتها مع بلدان اخرى مثل الأردن ، العراق ، ايران ، باكستان ، وريشحتها كأعضاء لأول مشروع حلف في المنطقة ، اي في « منظمة معاهدة الشرق الأوسط » (Meo) التي فشلت من أساسها ، والتي كان مخططا لها ان تكون مساوية للحلف الأطلسي ثم لحلف بغداد . وفي كل من المشروعين (ميتو الفاشل وحلف بغداد) تم استبعاد اسرائيل .

ويطول العام ١٩٥٦ ، عندما اصبح فشل حلف بغداد واضحا ، بدأ الهجوم الثلاثي على السويس اكثر فكاثر كمحاولة اوروبية - اسرائيلية اكيدة لاعطاء اسرائيل دورا اكبر في المخططات الاستراتيجية الاميركية .

ثالثا : من العام ١٩٥٦ - ١٩٥٧ الى العام ١٩٦٧ . كانت ابحاثي تبين وجود خطين في السياسة الاميركية تجاه اسرائيل في تلك الفترة . الاول يعبر عنه البنفتاحون والمخابرات المركزية الاميركية ، وهي من المؤسسات التي أعجبت اعجابا شديدا بالعرض العسكري الاسرائيلي في حرب السويس . وبسبب توجهات هذه المؤسسات العسكرية شجعت توسيع دور اسرائيل وجعلها « القوة الضاربة » في المنطقة .

اما الخط الثاني فكانت تعبر عنه المؤسسات ذات الوجه « المدني » مثل وزارة الخارجية الاميركية ولوبي شركات النفط ، التي كانت تعتقد بان اعطاء اسرائيل دورا اكبر في المنطقة سيدفع بالعرب المعتدلين ال التعطرف ، وسوف تقوى مصر ويقوى عبد الناصر (الذي كان عدوهم الاكبر في تلك الفترة) بدلا من اضعافهما .

ونلاحظ ان البلدان الأوروبية هي التي كانت المصدر الاساسي للأسلحة العسكرية الى اسرائيل ، وكان الجيش الاسرائيلي يؤله الميراج الفرنسية . وليس الفانتوم الاميركية في حرب ١٩٦٧ .

وازدادت المعونة الأميركية لاسرائيل ، كما ازداد الارتباط الأميركي بها ، ولكن بشكل تدريجي في تلك الفترة . ثم جاءت حرب ١٩٦٧ .

ان ابحاثي تقدر ان حرب ١٩٦٧ كانت الى حد كبير مبادرة اسرائيلية ، او اذا لجأنا الى تقديرات احصائية لوجدنا انها كانت ٦٠٪ مبادرة اسرائيلية و ٤٠٪ تشجيعا من الولايات المتحدة . توصلت الى هذه النسبة من خلال دراستي لهذه المسألة في ذلك الحين . وكان من الواضح ان الاسرائيليين قد ادركوا ان اهتمام الولايات المتحدة بهم قد ازداد منذ العام ١٩٦٥ ، بسبب اختلال المعادلة الاستراتيجية بعد حرب الفيتنام . وكان من الواضح ايضا ان المصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة في تطوير القاعدة الاسرائيلية الى « قوة اقليمية » قد نمت في تلك الفترة .

وعندما ادرك الاسرائيليون ، وجود تحول في السياسة الأميركية ، عملوا على تشجيع هذا التحول لصالحهم (من العام ١٩٦٥ الى العام ١٩٦٧) وعندما توفرت لهم الفرصة لابراز كفاءتهم وفعاليتهم كقوة ضارية (مثلما كان عليه الحال في العام ١٩٦٥) قرروا القيام بهجوم عام ١٩٦٧ ، وتم هذا بتشجيع من عناصر معينة في الادارة الأميركية .

س - عناصر معينة مثل من ؟

ج - اظن ان اهم العناصر كانت البنتاغون ، وتشمل في هذه الحالة سلاح البحرية وسلاح الجو والجيش . فكل هذه الأجهزة كانت مهتمة باستعمال القاعدة الاسرائيلية . ثم هناك المفكرون الاستراتيجيون التابعون للمؤسسة الحاكمة الأميركية . البعض منهم داخل ادارة جونسون ، والبعض الآخر من خارجها . وكان من الداخل اشخاص مثل كلارك كليغورد ، ومن الخارج اشخاص مثل هنري كيسنجر ، اللذين كانوا يفكرون منذ ذلك الحين بالاسلوب الذي ادى فيما بعد الى تطوير « مبدأ نيكسون » الذي كان يستند على انشاء مراكز قوة جديدة في كل منطقة .

ونلاحظ ان الاستراتيجية الأميركية لم تبدأ بتحويل اسرائيل من حليف محمي له دور محدود الى « المارشال » الرئيسي للسلام الأميركي في منطقتي البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي ، الا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . [وقد كتب الدكتور اقبال احمد سلسلة من المقالات حول هذا الموضوع ونشرت في مجلة « فلسطين الحرة » Free Palestine في الولايات المتحدة عام ١٩٦٨ .]

ومنذ العام ١٩٦٨ التزمت الولايات المتحدة التزاما كلياً بتحويل اسرائيل الى « القوة الاقليمية » الرئيسية في المنطقة المحاطة بالبحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي .

وتبلورت هذه السياسة في اطار « استراتيجية جنوبية » شاملة ، تهدف الى انشاء « تجمع قوى » جديد في هذه المناطق . ويركز الولايات المتحدة بشكل خاص على ايران في الجانب الشرقي ، واسرائيل في الجانب الغربي من منطقة الشرق الاوسط .

وامتد « تجمع القوى » من الشرق الاوسط الى جنوب أفريقيا ، بحيث شمل مناطق شرقي البحر الابيض المتوسط ، وغربي المحيط الهندي . وضم التجمع اعضاء آخرين اقل اهمية مثل

أثيوبيا والبرتغال (التي عقدت معها ادارة كيسنجر اكبر اتفاقية عسكرية اميركية عرفت باتفاقية الأزور العسكرية) ، واليونان (في ظل المجلس العسكري الحاكم) وتركيا . وحسب الخطة الواردة في مذكرة دراسات الأمن الوطني الرقم ٢٩ ، التي اشرف كيسنجر على صياغتها ، كان على « تجمع القوى » الجديد ان يضم زائير وجنوب افريقيا . وعند نهاية العام ١٩٧٢ كان « تجمع القوى » الذي انشاه كيسنجر (علما بان ادارة جونسون خططت له من وقت سابق) قد بدا ينهار لعدة اسباب ، منها : أولا : ظهور نزاع بين تركيا واليونان ، ثم سقوط المجلس العسكري الحاكم في اليونان ، ثانيا : انهيار النظام الفاشي في البرتغال ، وبروز حركات التحرر الثلاث ، ثم استيلائها على السلطة في انغولا وغينيا بيساو وموزامبيق . ثالثا : انهيار نظام هيلاسيلاسي في اثيوبيا في اواخر العام ١٩٧٢ . ثم جاءت حرب تشرين الاول (اكتوبر) لتلقي ظللا من الشك حول فعالية اسرائيل كقوة ضاربة . فعندما واجه الجيش الاسرائيلي مقاومة مصرية وسورية « شبه جدية » ، تطلب امدادات ضخمة من الولايات المتحدة ليستمر في الحرب ضدها . وفي اليوم الثالث من حرب اكتوبر كانت الاسلحة الاسرائيلية مستنفدة الى حد خطير ، ولولا احدى اكبر عمليات الامداد العسكري التي تمت في التاريخ الحديث لما استطاع الجيش الاسرائيلي ان يصمد امام المواجهة العربية .

ادرك الامريكيون (بعد حرب اكتوبر) ان اسرائيل ، بدلا من ان تلعب دور « القوة الضاربة » ، قد تتحول الى عبء لوجيستي على الولايات المتحدة . كان هذا الدرس الاول الذي تلقته الولايات المتحدة . اما الدرس الثاني فكان إدراك المؤسسة المخططة للسياسة الاميركية ان استثناء بعض الدول العربية من « تجمع القوى » الذي انشيء كان خطأ سياسيا واستراتيجيا . فهناك دول مثل المملكة العربية السعودية والكويت وابو ظبي استثنيت ، كاعضاء من التجمع ، مع انها كانت تحت حمايته . كما ادركت الولايات المتحدة ان توسيع الدور الاسرائيلي اثر على ابعاد العرب المعتدلين عن المبادئ الاستراتيجية الاميركية ، الامر الذي ادى الى المقاطعة النفطية . وكان هذا الاستثناء يجرح بعض الحلفاء الحميين مثل المملكة العربية السعودية . ولذلك ، بعد حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٢ ، بدأ نقاش في المؤسسة الاميركية للبحث عن كيفية انخال بعض الدول العربية كشركاء بدلا من حلفاء محصين في التحالفات والمخططات الاستراتيجية الاميركية . وكانت دبلوماسية كيسنجر المكوكة التي ادت الى اتفاقية فك الارتباط الاولى والثانية في سيناء ، انعكاسا لتلك الرغبة بانخال الدول العربية في المخططات الاميركية (لذي ملاحظة هنا : فالعرب بدخولهم هذه المفاوضات خسروا احدى اوراقهم الرابعة . وكان بإمكانهم الحصول على تسوية افضل لو انهم صمدوا . وهذا التقييم يرتكز على اساس التوازنات العسكرية والدبلوماسية في هذه الفترة . ولكنهم لم يصمدوا . هذه هي المشكلة وقد بحثت هذه النقطة بالتفصيل في دراسات اخرى) :

لقد ورثت ادارة كارتر سياسة هنري كيسنجر ، ولم تختلف عنها في القضايا الجوهرية . وفي الوقت الحاضر تنسم السياسة الاميركية بالمحافظة على اسرائيل كحليف رئيسي ، وقوة اقليمية في الوقت نفسه ، الذي تحاول فيه كسب تأييد الحكومات العربية ، وهذه هي دالة كامب ديفيد . وهناك بعض النقاش في ادارة كارتر ، كما سيستمر النقاش في اي ادارة اخرى حول المواقف الاميركية تجاه اسرائيل .

ومن الخطأ ان نميز بين سياسات الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي . فالامبريالية الاميركية كالامبريالية في اي مكان آخر تركز على اجماع بين الحزبين او بين ثلاثة او اربعة احزاب في النظام المتعدد الاحزاب . ولذا فانني اتوقع ان توجد الخلافات نفسها في الادارة التالية مهما كانت طبيعتها . اما كيفية انعكاس هذه الخلافات ، فمن المحتمل ان تكون محدودة وصغيرة جدا .

النقطة التي اريد ان اظهرها بسيطة جدا . لقد تعود البعض النظر الى الامبريالية ككيان راكد ، مستقر وثابت ، ولكن الامبريالية ليست راكدة ولا مستقرة ولا ثابتة ، بل تستمر في الوجود عن طريق التكيف مع التغيرات الموضوعية . وهي ان لم تفعل ذلك انهارت ببساطة : فالامبريالية قوة « ديناميكية » وترتبط بخصومها بطريقة « ديناميكية » . ولقد نجحت الصهيونية بالحفاظ على صلتها الخاصة مع الامبريالية في حين ان متطلبات الامبريالية هي التي حددت شكل وطبيعة الصلة .

س - الا تعتقد ان خروج ايران عن الخطة الاميركية في المنطقة زاد من الاهتمام الاستراتيجي الأمريكي باسرائيل ؟ خاصة بسبب الطبيعة المختلفة لكل من المجتمعين . ففي ايران ادى التسليح الثقيل لنظام الشاه الى عزله عن الشعب ، وذلك لان ايران بلد مختلف تكنولوجيا (مثل معظم بلدان العالم الثالث) ، ولا يستطيع تحمل البنية العسكرية المتطورة ، في حين ان اسرائيل حالة مختلفة تماما ، فتسليحها وتقويتها وتعزيز وجهها الصهيوني يزيد من متانة العلاقة بين القيادة والشعب ، لانها مجتمع عسكري مما يعني ان معظم مواطنيها يساهمون في العمل العسكري . وهي تستخدم تكنولوجيا متطورة ، غربية في قيمها . الا يعطيهما ذلك دورا مميزا في الاستراتيجية ، الاميركية ؟

ج - اجل . اعتقد انه يمكن ان نطرح هذه الفرضية : مثلما وضعت حرب أكتوبر (١٩٧٢) الفائدة المستمرة في موضع شك ، ومهدت لظهور نقاش داخل الادارة الاميركية حول كيفية الحد من دور اسرائيل بشكل تدريجي . فان الاحداث في ايران قد اثرت على هذا النقاش لصالح الفئة التي تريد استمرار اسرائيل كقوة اقليمية . وكاداة رئيسية للامبريالية ، وذلك للأسباب المذكورة ، فهذه الفئة تعتقد انه لا يمكن ان تبني جيشا قويا وقوات مهياة للتدخل والحفاظ على امن المنطقة في مجتمعات مختلفة تكنولوجيا ، لانها مجتمعات غير مستقرة ، ومن الصعب الاعتماد عليها .

س - الا يجعل ذلك إمكانية اعتبار مصر كقاعدة مساوية لاسرائيل في المخطط الاستراتيجي الأمريكي امرا مستحيلا ؟

ج - بالضبط . ان مصر لا يمكن ان تتوقع الحصول على المكانة الاسرائيلية نفسها في المخططات الاستراتيجية الاميركية . واعتقد ان ثورة ايران قد عززت في بعض النواحي مركز اسرائيل في المنطقة .

س - كيف اثر النقاش الذي دار بين فئات مختلفة في الادارة الاميركية ، بعد حرب ١٩٧٣ ، على العلاقة الفعلية بين اسرائيل والولايات المتحدة ؟

ج - لقد ازداد حجم المعونة الأميركية لاسرائيل ، ولا اريد تفسير ما قلته على انه يعني انه كان هناك اعادة تقييم لدور اسرائيل . ثمة بعض التساؤل فقط حول ضرورة او عدم ضرورة اعادة تقييم دور اسرائيل في المنطقة . كما كانت هناك ضغوط من اجل اعادة التقييم ، الا انه لم يحدث شيء من هذا القبيل . والقرار الجديد الوحيد الذي يبدو انه اتخذ في هذه الفترة ، هو القرار بضرورة التعامل المباشر مع البلدان العربية .

وكان مخطط روجرز يعكس أيضا هذا الاهتمام بالتعامل مع الدول العربية ، الا ان الخطة اجهضت من قبل راسمي السياسة الاميركية ، مع ان الحكومة المصرية وافقت عليها .

ولم تكن خطة روجرز مختلفة جوهريا عن المبادرات الاميركية التالية المبنية على اساس الاقتراحات الغامضة الناتجة عن دبلوماسية كيسنجر الكوكبية .

س - ما هو اعتقادك في احتمال عودة الولايات المتحدة الى مبدأ التدخل العسكري المباشر ، كما كان الحال في الستينيات ؟

ج - انني اتوقع ان تكون السياسة الاميركية في الاعوام العشرة القادمة على هذا النحو : مشوشة ، عدوانية ومتقلبة . وبسبب الارتباك والتقلب والعدوانية هو ان الولايات المتحدة ، او على الاقل مؤسساتها الحاكمة ، تشعر بعسق انها تواجه أزمة قوة اساسية .

ان الولايات المتحدة مصرة على البقاء كدولة متفوقة في المرتبة الاولى ، بموارد اقتصادية وعسكرية منخفضة ، ومن دون توفر اجماع وطني داخلي . فالولايات المتحدة بلد كبير جدا ، ومعقد جدا ، ويجب بذل جهود سعقدة لدراسته .

هناك عدة عوامل كانت تحدد تفوق الولايات المتحدة . وتجعلها اقوى دولة في العالم ، في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . فمنذ العام ١٩٤٦ الى العام ١٩٦٦ حددت العوامل التالية التفوق الاميركي . اولاً : تمتعت الولايات المتحدة في هذه الفترة بتفوق استراتيجي على اي دولة او مجموعة دول في العالم ، اعني بالتفوق الاستراتيجي تفوقا في المجال التكنولوجي (اسلحة نووية - طيران - فضاء) . .

وهذا التفوق الاستراتيجي اعطى الولايات المتحدة القدرة على تأمين مظلة امنية لاوروپا الغربية واليابان ، ومن خلال هذه المظلة الامنية استطاعت الولايات المتحدة ، بالتالي ، القيام بدور الشرطي في العالم . وبحلول العالم ١٩٦٦ - ١٩٦٧ توصل الاتحاد السوفياتي الى تكافؤ استراتيجي مع الولايات المتحدة ، مما جعل الولايات المتحدة تفقد تفوقها في هذا المجال . ثانياً : كانت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية مهيمنة اقتصاديا واستراتيجيا على المراكز الامبريالية السابقة (اوروپا الغربية واليابان) ، وكانت هذه الهيمنة الاميركية واضحة من خلال تواجد القوات الاميركية في اوروپا (ولا تزال هذه القوات متواجدة هناك) ومن خلال استمرار تفوق الدولار كواسطة رئيسية للتبادل النقدي الدولي .

ونرى انه في منتصف الستينات استعاد الاقتصاد الاوروبي قدرته على التنافس مع

الراسمال الأمريكي . كما تطور الاقتصاد الياباني الى درجة تسمح له بالتنافس مع الراسمال الاميركي في عدة قطاعات .

وبدات البلدان الاوروبية تظهر استقلاليتها عن الولايات المتحدة ، وفضل مثال على ذلك هو تفجير فرنسا للقنبلة الذرية ، وخروجها عن القيادة العسكرية للحلف الاطلسي . وانخفضت اهمية المظلة الامنية الاميركية في اوروبا بسبب التكافؤ النووي مع الاتحاد السوفياتي . وكل هذه العوامل ادت بالولايات المتحدة الى البحث عن ادوات ضغط جديدة على حلفائها . فوجدت ان الاسلوب الافضل للحفاظ على سيطرتها على حلفائها سيكون من خلال سيطرتها على المناطق الواقعة بين البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي . ذلك لان اوروبا واليابان ، سوياً ، تستوردان حوالي ٨٠٪ الى ٩٠٪ من حاجتهما للطاقة من منطقة الشرق الاوسط ونحو ٦٠٪ الى ٧٠٪ (في حال اوروبا) من حاجاتها من المعادن من جنوب افريقيا والشرق الاوسط .

وفي الوقت نفسه رأت الولايات المتحدة ان سيطرتها على هذه المناطق ستحول دون توسع النفوذ السوفياتي في اهم مناطق العالم . ولهذين السببين شاهدنا في منتصف الستينات (وذلك اثناء الحرب الفيتنامية) انتقال مركزية الصراع من اجل القوة في العالم من منطقة المحيطين الاطلسي والهاديء الى منطقتي البحر الايض المتوسط والمحيط الهندي .

ثالثا : كانت قدرة الولايات المتحدة على القيام بدور الشرطي في العالم ، وبالتدخل العسكري في عدة مناطق ، من العوامل التي حددت تفوق الولايات المتحدة . وبين العام ١٩٤٨ والعام ١٩٧٠ (او الى العام ١٩٦٨ اذا استثنينا التدخل في كمبوديا ولاوس) تدخلت الولايات المتحدة بقوات عسكرية ، او شبه عسكرية ، بمعدل مرة كل ١٨ شهرا في بلد من بلدان العالم الثالث . وشملت هذه التدخلات غواتيمالا ونيكاراغوا ولبنان وجمهورية الدومينيكان والكونغو وايران والمخ ... ان معدل التدخل مرة كل ١٨ شهرا كان يعكس مدى اتساع الامبراطورية ، الاميركية . ولقد اقنعت هذه التدخلات حلفاء واعداً الولايات المتحدة معا بتفوق هذه الدولة ، التي كانت ترتكز في سياستها العسكرية على مبدأ مريح نوعا ما ، وهو مبدأ « الحروب المحدودة » وكانت هذه الحروب محدودة في نتائجها بالنسبة للدولة المتدخلة ، ولكنها لم تكن محدودة في نتائجها بالنسبة للذين وقع عليهم العدوان . وكانت هذه الحروب تعرف ايضا بالحروب « الخفية » فكانت « خفية » بالنسبة الى شعب الدولة المتدخلة . فمثلا عندما الفت الولايات المتحدة ما يوازي ما بقي في الحرب العالمية الثانية من اطنان القنابل على لاوس دون ان يعلم الشعب الاميركي بذلك ، كان اللاوسيون يشعرون جيدا بنتائج هذا القصف .

واخر الحروب « الخفية » تشن الآن في جنوب لبنان ، وشرقي تيمور .

من نتائج حرب فيتنام انها عبرت ووضعت موضع الشك التام قدرة امريكا على خوض حروب محدودة في بلدان العالم الثالث وابقائها « خفية » على الجمهور الاميركي . ان الحرب في فيتنام كلفت الولايات المتحدة حوالي ٥٠ الف قتيل و ٢٥٠ الف جريح و ٢٠٠ مليار دولار و ٢٠٠٠ طائرة محطمة . ولكن من اهم نتائجها انها مزقت المجتمع الاميركي ، وكان للحركة المناهضة لحرب فيتنام اثر هائل في ذلك . رابعا : هناك عامل اخر لعب دورا هاما في تحديد القوة الاميركية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، هو وجود اجماع وطني متين لسياسة خارجية عسكرية

نشطة ، وذلك الاجماع تحطم ايضا بعد الحرب الفيتنامية. ان المؤسسة الحاكمة الاميركية تدرك الان ان الشعب الاميركي لن يؤيد فيقتام اخرى ، اي انتشار الجنود الاميركيون في اراض غير اميركية .

والنقطة الاساسية التي اورد ان اركز عليها هي ان العوامل التي حددت القوة الاميركية ، في الاعوام العشرين الاول بعد الحرب العالمية الثانية ، بدأت تزول في منتصف الستينات ، وادى ذلك بالادارة الاميركية الى البحث عن اساليب جديدة للبقاء كقوة متفوقة ، ولكن بتكاليف مخفضة ، ويتواجد عسكري محدود في العالم .

وبدات الاستراتيجية الجديدة تنطور في ادارة جونسون ، واصبحت واضحة المعالم في ظل ادارة كيسنجر . وشملت الخطوط التالية :

اولا : من اجل التقلب على ضعفها الاستراتيجي غيرت الولايات المتحدة المبادئ الاساسية في استراتيجيتها النووية ، فبطلت مبدأ الردع النووي الشامل بمبدأ « خيارات الاهداف المرنة » الذي يعني انخفاض مستوى استعمال الاسلحة النووية ، واحتمال خوض حرب نووية محدودة مع الاتحاد السوفياتي .

ثانيا : انطوت الاستراتيجية الجديدة على تخفيض حجم القوات الاميركية ، ولكن مع زيادة قدرتها على الحركة ، بحيث أصبح الجيش الاميركي اصغر حجما واكثر حركة ، وازدادت قدرته على التدخل ، بينما انخفضت حاجاته لقواعد عسكرية . ولذا سمي « جيش الحركة الجديدة » فهو مدعوم من الجو ، وقادر على الهجوم السريع والانسحاب الفوري ، فاذا اضطرت الولايات المتحدة للتدخل سيكون ذلك لفترة قصيرة ، تهجم ثم تنسحب .

ثالثا : وجه آخر من الاستراتيجية الجديدة هو المبدأ المذكور سابقا ، اي مبدأ نيكسون الذي يهدف الى انشاء قوى اقليمية رئيسية مدعومة بقوى ثانوية ، مثلا البرازيل في اميركا اللاتينية كقوة رئيسية مدعومة بالثشيلي والارجنتين وبوليفيا ونيكاراغوا . وانونيسيا في جنوب شرق اسيا مدعومة بتايلاند والفلبين الخ ... ثم ايران على الجانب الشرقي واسرائيل على الجانب الغربي في منطقتي البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي ، اللتين احتوتا على اكبر تجمع من القواعد في العالم .

رابعا : قامت المؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة بمحاولات غير اعتيادية لخلق اجماع وطني جديد حول سياستها الخارجية . وكان السؤال المطروح عليها هو : كيف يمكنها ان تخلق اجماعا بين شعب يميل الى الاعتقاد بان له قيما اخلاقية وليبرالية .

ان الاجماع الامبريالي تطلب دائما « شبحا » و « رسالة » . فالبريطانيون كانت لهم رسالتهم في « عب الرجل الابيض » والفرنسيون في « رسالتهم التعدينية » والاميركيون بالطبع « وقفوا حراسا على اسوار الحرية في العالم » (قول ج . ف . كندي) ، وكان لكل منهم خطر « اسود » و « اصفر » وفي حال الاميركيين خطر « احمر » ، يهدد المثنية الغربية .

وجاءت الحرب الفيتنامية ، اضافة الى الانقسام الداخلي في الكتلة الاشتراكية ، فحطمت « الخطر » الاحمر ، وبنفت الاجماع واخفتي الشبح ، واصبحت الرسالة ايضا موضع شك .

واثبت الواقع انه لا يمكن ان تستمر الولايات المتحدة ببناء قواعد عسكرية متطورة (مثل اسرائيل وايران) ، ومجالس عسكرية حاكمة (كما كان الحال في اليونان) ، وانظمة فاشية (كما كان الحال في البرتغال) مع الاحتفاظ باسطورة « الحارس على اسوار الحرية في العالم » ، فبذلت المؤسسة الحاكمة جهودا واضحة لايجاد « رسالات » جديدة ، و « اشباحا » جديدة ، تسمح لها باكتساب الدعم الشعبي الاميركي .

وكان نيكسون وكيسنجر لامعين في استعمال اللهجة الخطابية وشعارات الحركة المناهضة للحرب الفيتنامية . وادى بهما البحث الاول عن رسالة ، الى تبني رسالة « السلام » فتحدثوا عن « جيل سلام » و « بنية سلام » و « سلام قريب » و « سلام على رأس القلم » و « سلام امام الاهرام » و « سلام على قناة السويس » ... سلام في كل مكان .

ثم جاء كارتر حاملا معه رسالة « حقوق الانسان » ، وكان ذلك اخر جهد مبذول للعثور على رسالة جديدة والمشكلة نفسها تنطبق على الاشباح : فالاتحاد السوفياتي هو الشبح الدائم ، وتتم تجرية بضعة اشباح اخرى من حين لآخر : شيوخ النفط وهميون يخفون المدنية الغربية ، و « اوبيك » هي شبح محتمل من وقت لآخر .

إن النقطة الرئيسية بسيطة جدا . وهي ان الولايات المتحدة بلد يعاني في الوقت الحاضر من ازمة قوة ، وعدم رغبة بالاعتراف بالتغير الطارىء على العالم منذ الحرب العالمية الثانية ، وينظر الى الشرق الاوسط وجنوب افريقيا كمناطق تقود رئيسية في محاولة لاستعادة قوته المتناقصة ، وتحدي الولايات المتحدة في هذه المحاولة القوى التالية .

اولا : الاتحاد السوفياتي : باعتباره القوة الرئيسية التي لها مصالح مختلفة عن مصالح الولايات المتحدة . وتحديه للولايات المتحدة ليس مغامرة ولكنه تحد ، وعلى حركات التحور ان تحلل باي طريقة يمكنها ان تستغل التحدي السوفياتي الاميركي لصالحها . ومن الجنون عدم استعمال هذا التناقض . وقد اسقط السادات ورقة هامة من بين يديه عندما اخرج الاتحاد السوفياتي .

ثانيا : تشكل بلدان اوروبا الغربية واليابان تحديا اخر للولايات المتحدة ، فلا تنسجم مصالحهم مع مصالح الولايات المتحدة . ويجب على الدول العربية وعلى منظمة التحرير الفلسطينية ان تحلل باستمرار التناقضات الثلاثية وتستغلها ، لان مصحتها تقتضي التنويع في العلاقات مع مراكز الامبريالية .

س - ماهي الاهمية التي تعطيتها لهذه الاختلافات في المصالح بين الولايات المتحدة والقوى الغربية الاخرى ؟ والى اي مدى تستطيع اوروبا الغربية ان تنحرف عن الاستراتيجية الاميركية في الشرق الاوسط ؟

ج - هناك حدود لامكانيات اوروبا في الخروج عن الاستراتيجية الاميركية ، ولا بد ان نعرف دائما ان هناك حدودا . ولكنني اعتقد ان الدول العربية ، التي تتعامل مع الدول الاوروبية ، لها القدرة في التأثير على هذه الحدود . وطالما استمرت الدول العربية باعتبار الولايات المتحدة كمركز للقوة في العالم ، سيؤدي ذلك الى تعزيز قوة الولايات المتحدة كمركز . واذا ارادت البلدان

العربية تغيير هذا الوضع فعليها ان تعامل العملة الاوروبية بمثل معاملتها للدولار الاميركي . سيكون ذلك مربحا للاقتصاد العربي من جهة ، وسيؤدي من جهة اخرى الى تغيير طبيعة العلاقات بين اوربوا والولايات المتحدة ، وسيعطي اوربوا واليابان وسيلة للضغط من شأنها ان تغير من ميزان القوى ، حتى لو استمرت الولايات المتحدة في تفوقها النسبي .

يملك العرب في الوقت الحاضر شيئين :

- ١ - اهم مواد تحتاجها اوربوا واليابان .
- ٢ - اكبر قدر من العملة الفائضة .

واستعمال هذين العاملين الاقتصاديين قد يغيران طبيعة ميزان القوى الحالي . ومن الخطأ الظن بأنه لا يمكن تغيير مركزية الهيمنة الاميركية ، بل يمكن تغييرها من خلال المقارمة الشعبية ومن خلال استخدام تناقضاتها الداخلية . ومن المهم النظر في ظروف الشعب الاميركي في الوقت الحاضر ، فلا يعلم الا الله اين سيذهب هذا الشعب في الاعوام العشرة القادمة . فقد يلج على حكومته القيام ببعض التغييرات ، ويتحدى بالتالي طبيعة الامبريالية . فانه شعب لم يمارس الا النجاح في تاريخه . والهزيمة الفيتنامية هي الصدمة الاولى التي واجهته . فكل الشعب الاميركي شعر بالهزيمة الفيتنامية وقد اثر ذلك على الوعي الاميركي وعلى نظرة الولايات المتحدة لنفسها .

ثانيا : انه شعب عاش عملية ارتقاء اقتصادي متواصل (مع فترة انقطاع قصيرة جدا من الكساد الاقتصادي) ولذلك تعتبر فترة الكساد الاقتصادي حدثا بارزا جدا في تاريخ الشعب الاميركي . وقد تحسنت اوضاع الشعب الاميركي بسرعة هائلة بعد الحرب العالمية الثانية وخلال عشرين عاما ارتفع دخل العائلة الاميركية ضعفين او ثلاثة اضعاف ، واصبح لكل فرد سيارة وللاكثرية منازل خاصة . وفي نفس الفترة اتسع نفوذ الولايات المتحدة على الصعيد العالمي .

واليوم ، انتهت عملية الارتقاء ويجد الشعب الاميركي صعوبة في الحفاظ على ما اكتسبه ، فهو يواجه ازمة اقتصادية خطيرة ، وقد بدأت الاحوال الاقتصادية تزداد سوءا في السنوات الستة او السبعة الأخيرة .

س - كيف تعتقد انهم سيواجهون تلك الازمة ؟

ج - كأي شعب يواجه ازمة اقتصادية في اي مكان آخر ، اي انهم قد يصبحون اكثر راديكالية .

س - او اكثر عدوانية ؟

ج - قد تصبح الحكومة اكثر عدوانية ، بينما يصبح الشعب اكثر راديكالية .

س - وهل يمكن ان تؤدي هذه الازمة الى نمو اتجاهات فاشية في الولايات المتحدة ؟

ج - قد تنمو هذه الاتجاهات ولكن قد تنمو اتجاهات ثورية واشتراكية في نفس الوقت . فمواجهة اي ازمة قد تؤدي بشعب الى اتجاهات اكثر عدوانية او اكثر مسالمة ، الى اتجاهات

توسعية أو انعزالية ، ولذلك فإن دراسة وضع الشعب الاميركي عامل مهم جدا . وعلى اي حركة او جماعة ثورية ان تقيم علاقات مع القوى الاكثر تقدمية في المجتمعات الاخرى .

س - ما هو مدى اهمية « ازمة الطاقة » ؟

ج - ان ازمة الطاقة امر واقع، وهي في الولايات المتحدة اقل الحاحا من اوربوا واليابان . ان الولايات المتحدة هي نفسها منتجة رئيسية للنفط . وهذه الازمة ليس لها اي صلة بامدادات النفط العربي ، التي تزداد بشكل مناسم (البلدان المنتجة زادت من امداداتها للنفط) . فالازمة متعلقة بتبذير المستهلكين الغربيين بشكل عام والاميركيين بشكل خاص ، ويمكنهم ، اذا ارادوا تخفيض نسبة استهلاكهم . ولكن الحكام لا يجروون على تطبيق الاجراءات المطلوبة .

س - يبدو لي ان هناك علاقة وطيدة بين تدفق الاسلحة من الغرب الى العالم العربي وتدفق النفط من العالم العربي الى الغرب . ان الازمة الوحيدة التي نسمع عنها هي « ازمة الطاقة » بينما تواجه الولايات المتحدة ازمة اخرى في الواقع يمكن تعريفها « بازمة الصادرات » وقد انخفضت صادراتها في عدة مجالات بينما تشكل الاسلحة نسبة كبيرة من الصادرات .

ج - النقطة الاولى التي يجب ان نذكرها هي ان نسبة مبيعات الاسلحة الاميركية الى العالم الثالث ارتفعت في الاعوام العشرة الاخيرة . (اي بين ١٩٦٩ و ١٩٧٩) . وبلغ معدل الزيادة قمته بين عام ١٩٧٤ وعام ١٩٧٩ ، وارتفع المعدل السنوي من حوالي ملياري دولار الى ١٢ مليار دولار . هذا بالنسبة للولايات المتحدة وحدها . واذا اضفنا بريطانيا وفرنسا لوجدنا انها تجارة رهيبة .

النقطة الثانية هي ان هذه التجارة تركز مبيعاتها على الشرق الاوسط . ايران كانت اكبر مستورد . والآن تزداد مبيعات الاسلحة لبلدان مثل المملكة العربية السعودية ، كما تصدر الدول الغربية حجما كبيرا من المواد الاستهلاكية الى الشرق الاوسط (الذي تحولت مجتمعاته الى مجتمعات استهلاكية بينما بقي النشاط الانتاجي منخفضا) .

وهذه التجارة (اسلحة ومواد استهلاكية) هي اسلوب ملائم لهم لاستعادة (البترول دولارات) وبالفعل يتم استرجاع ما يدفعونه لشراء النفط . (ويزعمون في الوقت نفسه انهم يدفعون اسعارا عالية) .

والنقطة الثالثة هي ان الاسلحة التي تستوردها بعض البلدان العربية والتي كانت تستوردها ايران ، تتميز بثلاث صفات :

اولا : انها تتطلب في معظم الاحيان وجود خبراء اجانب (تابعين للدولة المصدرة) لبناء البنية التحتية وصيانة الاسلحة المتطورة . ووجود الخبراء الاجانب هو اسلوب للتدخل العسكري المموه في تلك البلدان . ففي ايران مثلا كان يتواجد ٤٥ الف اميركي ، ١٥ الف من بينهم تابعون لوزارة الدفاع - ونجد نفس الظاهرة في المملكة العربية السعودية .

ثانيا : ان معظم هذه الاسلحة غير صالحة للدفاع ولا للهجوم ، وهي باهظة الثمن وصعبة الاستعمال ، ولا يمكن الحصول على قطع غيار لها الا من الدولة المصدرة . وللدولة المصدرة القدرة على منع الدولة المشترية من خوض اي حروب (هجومية او دفاعية) . فالاسلحة تبقى تحت اشراف الدولة المصدرة وخبرائها . وهذا الاسلوب يزيد من تبعية الدولة المشترية بدون ان يزيد من قدراتها العسكرية .

ثالثا : تبدو هذه الاسلحة وكأنها مصممة للربح ، ويبدو ان كثيرا من الحكومات العربية تستشير خبراء عسكريين غربيين فينصحونها بشراء اسلحة باهظة الثمن ، لان هؤلاء الخبراء مرتبطون بالشركات الغربية ، ويحصلون على حصص اكبر كلما ارتفع ثمن الاسلحة المباعة وازدادت كميتها . انن تتميز هذه الاسلحة بسرورها الباهظ اكثر مما تتميز بفعاليتها . لقد زرت لبنان ولا استطيع ان افهم عدة امور . فلا افهم كيف يشتري العالم العربي اسلحة بمليارات الدولارات بينما تستطيع السفن الاسرائيلية ان تعير المياه اللبنانية وتستطيع الطائرات الاسرائيلية التحليق في الاجواء العربية بدون اي عقاب . انني اتساءل اين هذه الاسلحة ؟

س - هل هناك احتمال حدوث تدخل عسكري اميركي مباشر في الشرق الاوسط في المستقبل القريب ؟

ج - تعلمون جميعا ان الاستعدادات للتدخل قد ازدادت . فالجيش الاميركي كما ذكرت سابقا هو جيش تدخل سريع وانسحاب سريع . ويعد ثورة ايران ادرك الاميركيون امكانية سقوط انظمة اخرى في المنطقة - في المملكة العربية السعودية او في الكويت . هذه احتمالات قد تدفع بهم الى التدخل . والاستعدادات العسكرية تشمل انشاء اسطول خامس وتوسيع القاعدة الاميركية في ديفغو غارسيا وتأسيس قواعد عسكرية وبحرية في اسرائيل ومصر (قواعد صغيرة ولكنها تصلح لخدمة سفنها البحرية) . ومن المرجح ان تشعل استعداداتهم محاولات تخريب في بعض البلدان العربية .

اعتقد انهم لن يتدخلوا مباشرة الا عند حدوث انقلاب عسكري او ثورة تهدد مصالح الولايات المتحدة وعلاقاتها في المنطقة .

وعلى الدول المنتجة للنفط (وهي المعرضة للتدخل) ان كان لها مصلحة في منع الاحتلال الاجنبي ، ان تتخذ بعض الاجراءات :

اولا : تخفيض نفقاتها العسكرية ، وشراء اسلحة قابلة للاستعمال . خاصة للدفاع تستطيع ان تعترض السفن البحرية وتعرقل اي انزال اجنبي .

ثانيا : يجب ان تكون هذه الدول على استعداد كامل لتفجير انابيبها ومنشأتها النفطية . ويجب ان تعلم الطرف المهاجم بهذا الاستعداد .

ثالثا : على الدول النفطية ان تنوع علاقاتها في التسويق والانتاج لان المعارضة الدولية للتدخل العسكري قد تزداد ، ان كان للدولة المنتجة علاقات مستقلة مع عدد مختلف من الدول . (اجرت الحوار : نهي تادرس)

حول المجموعة الشعرية الكاملة لمعين بسيسو شعر الحقيقة في عصر السقوط

هذا الديوان ، بالتأكيد ، لا يمثل التقليد المتوارث في الشعر العربي منذ زهير بن أبي سلمى (توفي حوالي ٥٥٥ م) الى أدونيس .

فالتقليد يفرض على الشاعر ان يحك شعره وينقي الفاظه ويصقل ديباجته ويكتف لمكرته ويتخير استعارته ، حتى تأتي القصيدة مفرغة ملساء لا وهي في مبانها ولا نقض في معانيها . كان الشاعر الجاهلي يمضي حولا كاملا في نحت قصيدته وتشذيبها ، وليس الشاعر العربي المعاصر باقل عناية من سلفه . فالعرب امة الشعر . ولا ريب في ان الشعراء العرب يحبون شعرهم الى حد العبادة لكي يبثوا كل هذا الجهد طواعية وعن طيب خاطر ، لمدة تزيد على الف وخمسمائة عام من الشعر العربي المعروف لدينا ، ولا ريب في ان البدايات الاولى لهذا التقليد تضرب في مجاهل تاريخ سحيق يرتبط بشعائر دينية غامضة ، من بينها ان القصائد الجياد كانت تعلق في الكعبة حيث تقوم اصنام العرب وعباداتهم الوثنية .

ولد هذا التقليد في مضارب القبيلة حيث كان الشاعر يقوم بدور المتنبي والمرشد والمربي في داخل القبيلة وبين ابناءها ، أما فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية بين القبيلة وغيرها من القبائل فكان دور الشاعر اشبه بدور أجهزة الاعلام الحديثة في فترة الحرب الباردة : كان الشاعر يشيد بمفاخر قبيلته ومآثرها ، فيعدد انتصاراتها وينوه بكثرة عدد افرادها وشجاعتهم وكرمهم ، ليثني الخصوم عن الاعتداء عليها اذا لمسوا منها غرة أو انسوا تهاونا في استعدادها للدفاع عن املاكها - وفي حالات اخرى تكون قبيلة الشاعر هي المعنوية فيصبح اقتضار الشاعر بقوتها وسيلة فعالة لخصوم عن اعمال انتقامية .

كان الشاعر العربي انفراديا ملتزما بالقبيلة ومتميزا عنها في الوقت ذاته . ولكن ، كما ان لكل حالة استثناء ، فاننا نجد في تضامن الافراد مع القبيلة حالات استثنائية يخرج فيها الشعراء عن قبائلهم . فالشاعر الشنفرى (٥٠٠ م) قرر ان يترك قبيلته لاسباب لا نعرفها تماما ، لكنه نظم في هذا الموضوع قصيدة عرفت فيما بعد باسم « لامية العرب » وفيها يسجل شرعة الشعراء الذين يغادرون قبائلهم الى الصحراء ، والذين عرفوا باسم « الصعاليك » .

ان الشاعر الفلسطيني - معين بسيسو - يمكن ان يندرج في زمرة الشعراء الصعاليك الذين خرجوا على تقاليد قبيلتهم في الحياتين الاجتماعية والثقافية على حد سواء ، وهو في ذلك يدع بين الشعراء الفلسطينيين والعرب الذين ظلوا ، بالرغم من نكبتهم بوطنهم ، أوفياء للتقاليد الشعرية الاصلية في الادب العربي .

اما معين بسيسو فقد انشق عن المؤسسة الشعرية وانضم الى زمرة قليلة من الشعراء الخارجين على القانون - الشعراء القراصنة الذين لا يتفقون مع مجتمعهم ، ولا يمثلون للاعراف الشعرية ، يفضلون على جدار الكعبة حيث كانت المعلقات ، جريدة حائط ، وكل ما لديهم نقمة على الواقع تمنحهم الشجاعة على مجابهة مجتمعهم بمثالبه ، وانتقاد عصرهم بمعاييه دون مهاندة .

عصر الكلاب

يقول شاعرنا عن بني قومه وحاله معهم :

نصبوا لي شمعة تحرسني

ومشوا في ضوءها ، وارتحلوا

فاذا دق بصدري نفس

قرعوا اجراسهم ، واعتزلوا ...

يعود تاريخ هذه الابيات الى عام ١٩٥٠ ، حين نشر ديوانه الاول ، فالشمعة التي اثارها اهله انما نصبوها لينيروا طريقهم حين يغادرونه . هذا المشهد بعناصره المؤلفة من الشاعر المخدول ، والاهل الفادرين ، والاجراس المجلجلة التي تعلن عن عمل لا يقوم به احد - يستمر في شعر معين بسيسو لثلاثين عاما قادمة . فنقرأ من ديوان « فلسطين في القلب » عام ١٩٦٢ :

صمتا ، صمتا ، يا جملة ابواق

الخفاش الخشبي ،

يا اكلة قريان العجل الذهبي

هؤلاء ينقلبون الى اجراء في عام ١٩٦٦ :

قد باع غزة قبل اسدود

الاجير الى الاجير

والنجس يد الاخير لهذه الحالة يأتي في معركة « تل الزعتر » . وهو محقل للفدائيين الفلسطينيين في بيروت قاوم هجمات اليعنيين عدة شهور ، ثم سقط نتيجة مساومة بين قوى تكاتفت ضد الفدائيين عام ١٩٧٦ :

ما الذي يكتبه الشاعر في الارض الخراب

اه يا عصر الكلاب

كلما تحبل كفي بمناديل التراب

الجواسيس الكبار

سلموني للجواسيس الصغار

يا دمي المفتوح كالشباك في كل جدار .

« عصر الكلاب » ابن . هو العصر الذي يتسلم فيه المسارمون زمام السلطة . فيقررون مصائر شعوبهم بعد أن يجمعوها بواسطة عملاء مأجورين :

لم تكن الاشجار في قاموسه .

ولا الزهور

ولم تكن هناك في قاموسه طيور

فكل ما يعرفه ، ما علموه

ان يقتل الطيور أولاً .

فقتل الطيور .

ان يكره القمر

فكره القمر .

وان يكون قلبه حجر

فكان قلبه حجر

وان يصيح :

« عاش أي شيء » .

« يسقط أي شيء » .

« يموت أي شيء » .

هذا الرجل المنزوع القلب والدماغ قادر على مطاردة النطفة في الرحم ويزرع آلة تسجيل مكان القلب ، بل ان الشاعر ، في قصيدة « المطاردة » عام ١٩٧٠ ، يرسم صورة رائعة بقدر ما هي مريجة لجواسيس يتعقبون جواسيس ، وللظل يتعقب صاحبه ، ثم تغدو جوارح الانسان واعضائه جواسيس عليه :

.... والاذنان هما العينان على العينين

والعينان هما الاذنان على الاذنين

والقلب هو الاذن هو العين .

بعد الجواسيس ، يأتي نور المرتين واليهلوانات من واضعي الاقنعة المزيفة :

اعترف ...

بان وجهي الجديد كان من خزف

وحينما سقطت فوق الارض

وجهي انكسر

عصر الكلاب هو عصر التعمير والتلوث . فأسيرة الاحلام . شهرزاد . قد اصبحت مومسا في

اسرة القواد والجنود :

تقول :

انها قد حملت على محفه

لخيمة الاسكندر المقدوني

وبعدها قد وهبت الى ملك

ثم الى أمير

ودارت دورة السرير

فحملت الى وزير

والقيت من بعده لامر الجنود

ضاجعها ... ضاجعها ... ضاجعها

ثم رمى بها العسس

ثم الى العسس

ثم الى العسس

وهو عصر التزييف

فالكلب يدخن غليوننا ...

هل هذا هو دور الكلب ؟

والذئب يؤلف موسيقى

هل هذا هو دور الذئب ؟

والفيل يهز البطن

هل هذا هو دور الفيل ؟

والثب بمخالبه يبصم

هل هذا هو دوره ؟

تلك هي ملاحظات « الدب مراد » الذي قتل صاحبه بناء على طلب الحيوانات في السيرك ، التي تقمت على صاحب السيرك لانه اساء توزيع الادوار . وهي ايضاً ملاحظات الاسد الذي تعرض لعملية تدجين ، حين خدروه وقطعوا حنجرته وبسوا في مكانها تسجيلاً لصهيل جواد .

لقد ذكر معين بسيسو الجرس في القصيدة الاولى التي افترضنا بها التعريف بعصر الكلاب . والجرس يقرع للانذار في العادة ، لكن قوم معين بسيسويكتفون بقرع الجرس ولا يتلون الانذار بأي استعداد للحرب . وشيئاً فشيئاً يتبلور الجرس والطبل والطاقون رمزا لجمعية بلا طحن . فتجد الشاعر يمجّد « الذين يقاتلون ولا يعلقون الاجراس في جراحهم » ، كما يدعو الى مغادرة « جزيرة الشعارات القبيحة » . ونرى الشاعر يقف امام الطواحين التي عاشت :

على قمحك اجيالا طويلة

اطعمت كل جراد الارض

لم تعطك مثقال فتيله

الطاقونة والجرس ، يقفعان بلا جدوى ، فيجدان تجسيدا في الطبل . يقول الاسد في قصيدة « دفاع الاسد عنتره » ١٩٧٠ :

اكره صوت الطبل ولا حرب

ويتساءل الشاعر في « طيور المنافي » ١٩٦٩ :

اكل بطون الحبالى طبول ؟

تدق فلا صيحة او نشيد

ليلاذ طفل جديد

ثم يصل رمز الطبل الى تكثيفه الاقصى في قصيدة « الطبل » ١٩٦٩ ليصبح رمزا للمرحلة بعد هزيمة حزيران . وهكذا القول ان المساومة والجعجة اهم ما يميز قوم الشاعر في هذه المرحلة . وهما ممثلتان في « الطبل » و« الى سائحه » ، بالاضافة الى فساد الضمير المجسد تمام التجسيد في قصيدتي « ا ، ب » ١٩٦٩ و« مقامه الى يدع الزمان الهمداني » ١٩٦٦ . وسوف نتوقف عند هذه القصائد واشباهها لابرار اهم الخصائص التي تميز اسلوب الشاعر .

الاسلوب الخشن في قول الحقيقة

الاسلوب الادبي نوعان : مصقول وغير مصقول . ومصطلح الاسلوب غير المصقول معنيان ، اولهما ما يتبادر الى الذهن من انه اسلوب غير محكم ولا منسق . المعنى الثاني هو

الاهم من الناحية النقدية ، فهو يحمل معنى « الاسلوب الخشن » أو الفج . فقد يكون جمال الرخام الصلد والبشرة الجذابة في ملامستهما ونعومة ملمسها . ولكن من قال ان السطوح الخشنة ، القاسية ، المتعرجة لا تحمل الينا احساسا بالجمال يعادل احساسنا بالملاسة والزلق ، وان كان يختلف عنه كليا ؟ ومن قال ان جهامة الجبل الشاهق المتكسر الصخور ، والبشرة المجعدة الملائى بالعضون ، والقصر الانيق المتهدم المتناثر الاجزاء ، لا يبيت في النفس من الروعة ما يعادل جمال القطة الاليفة بالنسبة لسبع الضاري . فاذا كان للاسلوب المسقول تأثير الدعة فان للاسلوب الخشن تأثير الروعة . وهذا انبه على سبيل الاحتياط - بانني لا اعني بالاسلوب الخشن « UNCOUTH - STYLE » مقولة لونغينوس ، ومن بعده « كانت » في « السامي » « SUBLIME » ، وان كان الاسلوب الخشن يتصل بمفهوم الروعة « SUBLEMITY » عند « كانت » من حيث المظهر وليس من حيث التأثير . كذلك يختلف الاسلوب الخشن عن مفهوم جمال القبح كما قدمته الواقعية الطبيعية وبعض الرومانتيين قبلهم ، وان كان يتصل به ايضا من حيث الحرص على تقديم الواقع بفجأته وبدون تزويق :

« لا فائدة الآن من الاحتجاج على اسنان الالة الكاتبة أيها الحوت . كل هذه النخلة من الماء المسنون - هذه القامة الطويلة من الشبانيك - هذا القطار الذي كان يحمل جرائد الصباح وفنجان القهوة الى السفن - ها انت الآن رسالة في زجاجة - ترفعها الصنارة من الماء الى اسنان المطبعة ... »

هذه هي السطور الاولى من المقدمة . كل شيء في هذا النص مديب حاد ، متحرك ، متنافر لكنه متواصل في النهاية . انه اسلوب يقاوم مواضعات الحياة المألوفة ، يقاوم الدعة والاستسلام ، يتمرد ، يتشدد ثم يتعدد فينجر الى الواقع فصبأ عنه . الاسلوب هنا جزء من الموقف : لا ينقله ولا يحاكيه ولا يوشيه ولا يتعالى عليه - الاسلوب موقف . فمثلما يتأبى الشاعر على الواقع ويستنكر ان يساق شعره الى المطبعة ، كذلك الاسلوب يقاوم ويصارع . لقد أحسن الشاعر صنعا في وضع هذه المقدمة النثرية ، فهي مدخل يهيء القارئء للاقاة الشعر . فهذا الشعر غريب عن الجو المألوف والعرف الادبي السائد الذي يندرج فيه الشعر العربي بأكمله . لا يشذ عنه الا هذا الديوان وقصائد أخرى لا تبلغ الى حجمة في الشعر العربي كله . ولعل الاسلوب الخشن في شعر معين بسيسو يقدم أفضل نموذج معروف في العربية لهذا الضرب من الكتابة . في شعره ونثره على السواء . وأبرز خصائصه ان الصورة الخشنة تواكب اللفظ الخشن على نحو غير متوقع ولا مألوف ولا - حتى - مرغوب لان الاسلوب تصادمي . فهو لا يصادم الواقع ، بل ينقله بخبث وفجاجة ، على نحو يصدم ذوقنا ، يخدش حياءنا ، يعرينا أمام أنفسنا . انه اسلوب مهيئ أكثر من الاسلوب الهجائي . لان شاعر الهجاء يضع نفسه موضع السارد ، المحايد ، المنتقد للأخرين ، فيما هو منزه عن عيوبهم . اما معين بسيسو فيقدم الشاعر والقارئء والعالم معا في نسق واحد وسياق واحد . فشعره صورة ابداعية مباشرة بشعة لحقيقة بشعة وواقع حقير ومعالجات فاشلة تافهة . انه شعر الحقيقة :

الارض ضاعت ،

لم يعد لنا في وتد لجام

والسيف ضاع لم تعد لنا طاحونة

ولا برج من الحمام

لم يبق غير هذا الطبل

أوصيكم بالطبل أولا ،

وثانيا بالطبل ...

وثالثا بالطبل ...

والف مرة أوصيكم بالطبل .

فالشاعر لا يكتفي بتقرير الحقيقة المرة بأن الأرض ضاعت والمعركة خاسرة بعد هزيمة
حزيران ، وإنما يصل بالواقع إلى أقصى حدوده .. فما دام الواقع على هذه الدرجة من الانهيار ،
دون أن يجرؤ أحد على الإقرار بذلك فلا يبقى سوى الاستمرار في الجعجة الفارغة ... وهنا
يتطوع الشاعر فيقدم للمجتمع المهزوم نصيحته باستخدام الطبل والمحافظة عليه .

أما التقنية في قصيدة « إلى سائحة » فأكثر تعقيدا . إن الشاعر لا يكتفي بتشجيع اللعبة
الفاصلة ، بل يذكر تاريخها وينغمس في تفصيلاتها أو يفمرنا بتلك التفصيلات وهي في حالة
الجريان :

معذرة سيدتي إن جئت اليئا في يوم

تقطع فيه أيدي الشعراء

ماذا في الشرق يباع

بعنا لعجوز سائحة قبلك فبُرِّ صلاح الدين

وحطين

وحدائق بابل بعناها في أسواق العالم

أزهارا وبراغم

فالبعبع هنا يشمل التاريخ ومفاخر الأجداد في انتصاراتهم وأبداعاتهم . والشاعر مولع في
الظهور بمظهر المغفل المندمج في اللعبة . لذلك يوردها بلا تعليق فيفسح المجال لتعليقات لا
تنتهي في نفس القارئ .

يقول في قصيدة « أ - ب » :

أنا ابنُ جلا وطلاع الثنايا

متى أضغ العمامة تعرلموني

زويعة هبت وطارت العمامة

وصاح لاعقرو حوافر الجواد

لم تكن سوى حمامه

طارت ، وصاح آخرون :

بل غمامه

أما الذي رأى فوق الذي رأوا ، فصاح :

لم تكن سوى علامة

ويبعدها القيامة

لكنها هناك كانت العمامة

في سلة القمامة .

أما قصيدة « مقامة الى بديع الزمان » فهي صارخة الى حد الجمال الصارخ . انها حكاية فتوى يقدمها الفقيه الرواء للسلطان الذي ضل طريقه الى مخدع جاريته ، وحين اتفق وجد نفسه الى جانب غلامه ، يقول الفقيه :

ليس على مولانا السلطان جناح

فالقسمه غلبت ، والعبرة في النية .

لا أين تسير القدمان ...

شعراء عصر الكلاب

إذا كان الاسلوب - في طريقة معين بسيسو - هو الموقف ، فإن الشعر هو الحقيقة . وبالتالي فإن مسؤولية الشاعر ، والفنان عموماً ، هي مسؤولية تجاه الحقيقة بالذات . فهو شاهد محايد تجاه العصر ، يروي ما حدث بأمانة ، ويأقل الالفاظ توشية أو تزويقاً أو تعمية . فلا يحق للشاهد ان يخفي مقاصده أو يبهرج مشاهداته ، أو ان يزيد أو ينقص أو يؤخر الا فيما يجلو غايته من ذكر الحقيقة وتقديمها ناصحة لا لئس فيها ولا التواء . لذلك كان افضل مجال لدراسة اسلوب معين بسيسو ، واستخراج مفهومه عن الاسلوب ، موجوداً في قصائده عن الشعر والشعراء ، وتظهر أهمية هذا الجانب في عقيدته الشعرية اذا لاحظنا ان ما يقرب من ثلث قصائد الديوان تتحدث عن احوال الشعراء ومواقفهم أو تحادثهم وتجادل طرائقهم الخاطئة في قول الحقيقة . وبذلك فإن معين بسيسو لا يكتفي بانتابع نهج شعري خاص يقصر الشعر على قول الحقيقة ، وإنما ينتقد الشعراء الذين يخالفونه انتقاداً مراراً قد يبلغ حد السخرية حيناً والهجاء في حين آخر . فهو داعية مجتهد ومقاتل منذ نعومة اظفاره الشعرية . فنراه في ديوانه الثاني (المعركة) عام ١٩٥٢ لا يكتفي بالحديث عن معركة غزة ضد القمع والاحتلال ؟ بل يتحدث مرات عديدة عن معركة الشعر في غزة :

اقرأت أم ما زلت بكاء على الوطن المضاع ؟

أشيد أناشيد الكفاح وسر بقافلة الجياع

وفي مرة أخرى يكتشف مبكرا انه يؤدي رسالته الشعرية في قوله للحقيقة . ولكن هذه مهمة بعيدة عن السهولة :

انني اكتب الحقيقة لكن
ثورة الحق في بلادي كفر
قلمي في الحديد وفي ظلمة السجن ، طريح مكبل لا يصر

في عام ١٩٦٢ نقرأ في ديوان « فلسطين في القلب » اول معاركة الدعائية مع الشعراء .
« فالشاعر الذي مضى كغيمة وغاب ثم عاد » ، يشبه ان يكون طائرا من رماذ يطعم الفراش
للجراد ، والدر للخنزير والورود للكلاب » . اما « القمر ذو الوجوه السبعة » فقصيدته تتحدث
عن قلب الشاعر بحسب مصالحه :

رايته في كريلاء ، تحت راية الحسين

صهيل سيفه قصيدة منقوشة

في مدح قاتل الحسين

هذه الصورة للشاعر المتذبذب تتكرر في « قصيدة من فصل واحد » :

كان يصلي دائما خلف علي

ويسأل الطعام من يدي معاويه

خلف علي ، الصلاة مجزيه

صلوا وراءه وبعدها

خذوا الطعام والشراب من يدي معاويه

طريقة ظريفة للجمع بين الدين والدنيا ... وبقية القصيدة تظهر كيف ان هذه المدحجة
اوصلتنا الى عصر الموافقة بالاجماع والهزائم المتتالية ، حيث « الرعب والكذب قد سكرنا من
الطرب » ، كما يقول الشاعر في « اربع قصائد على اوراق زهرة اصطناعية » وفي هذه القصيدة
العجيبة يواجهنا الشاعر بالموقف الغريب التالي :

كان يريد ان يقول

كل ما في صدره

لكنها طويلة طويلة انياب هذا الغول

فادعى الجنون

وقال كل ما يريد ان يقول

وحيثما أراد ان يعود عاقلا

اصيب بالجنون .

ان الجنون ذريعة لقول الحقيقة . مثلما هو وقاية من عواقبها . فالشاعر الذي جن وقال الحقيقة لا بد وان يظل مجنونا فعلا حتى يفلت من العقاب ... ولعله جن حين فكر بأحوال فعلته ، لان الكلمة الوحيدة التي تنجو من سوط الجراد ، هي الكلمة المومس التي تقف ، تحت المصاييح الزرقاء ، الكلمة ذات الثيين من المطاط . وما اكثر الشعراء الانتهازيين الذين يسخرون اقلامهم لخدمة السلطة :

الله ... ثلاثة شعراء

الاول مات يدافع عن « سيف » الدولة

والثاني مات يدافع عن « طبل » الدولة

والثالث عاش يدافع عن « احذية » الدولة

وبالتأكيد هناك صنف رابع ، حدده معين بسيسو في آخر قصائد مجموعته الكاملة ، انهم « الشعراء الذين يغسلون ويكويون الملابس العسكرية » . بل ان عداء شاعرنا يضرب في اعماق التاريخ الى ما قبل الف عام ونيف ليلاحق الشاعر البحرني الذي وصفه النقاد بانه « متقلب الولاء » فيقول عنه :

كان يدرب القصائد

كيف تبيع رأسها على الوسائد

وكيف تحلب الثيين في نعلي أمير

لا ريب في أن « عصر الكلاب » الذي نحيش فيه لا بد ان يفرز شعراء انتهازيين مستخنين ، يبيعون ضمائرهم وقوافيهم في حفلة البيع الشاملة التي يقوم بها المجتمع وحكامه ومفكروه وفقهاؤه . ثمة شيء توغل في كلمة هذه الامة فامتص ماءها واتى على لبها ونخر بذورها فلم يبق غير القشور الذابلة . هذه القشور يعيش الجميع - كل الطبقة الفوقية - بها وعليها . تتألف هذه القشور من الثقافة النافهة والشعر المنجن في زرائب السلطة ، والوعود الخلافة التي يبئنها الحكام للناس ثم ينكثون بها . فحين فقد المجتمع اي قوام يجعله يتماسك ، وقعت طليعته في دور فاسد من الكلام الفارغ على كل الاصعدة الايديولوجية والعملية والتنظيمية . لم تعد الكلمة تؤدي الى فعل او توجهه ، بل صارت الكلمة الفارغة تفضي الى كلمة جوفاء مثل سابقتها ، فكان المدافع الى الانجاز والاحساس به قد فقدوا عند امة بأسرها :

هو الكلام

بضاعة رتيئة يا سيدي

بضاعة الكلام

والورق الذي يضاجع الاقلام

والشاعر الذي رأيته

في كل مخدع بنام

في هذه القصيدة ، يوافق الشاعر السلطان على ان النصر كان قاب خطوتين لولا
خيانة القصائد ... لولا تجسس القصائد

وتجرى محاكمة القصائد بوصفها ، اسلحة فاسدة ، في المعركة ، بل كادت تكون
السلاح الفاسد الوحيد ، مثلما ان الشعراء هم الفئة الفاسدة الوحيدة :

لم يخطيء شرطي واحد

وسياسي واحد

ما غش ، وما قال عن اللحم الأخضر

لحما اشقر

قواد واحد

اما الشعراء

ما ارضى لحم الشعراء

فلقد غشوا الرمل

وقد غشوا الماء

هذا هو اتهام السلطان للشعراء ، متضمنا دفاعه عن اركان مملكته . ولا يسع الشاعر الا
ان يؤمن على ما قاله السلطان ويوافقه . ولكن مع تعديل طفيف - تعديل يقلب المشهد رأسا على
عقب .

يقول الشاعر :

هو الكلام

بضاعة ربيئة بضاعة الكلام

لكنه ، يا سيدي ، لولا بضاعة الكلام

ما كنت فينا اليوم صاحب الكلام

فاذا كان الجميع يتاجرون بكلام لا مضمون له ، فالشعراء اعذر الناس في هذه التجارة
لان الكلام مادة عملهم . ولكن ما عذر القيادات والحكام في اقتصارهم على استخدام الكلام
دون غيره ؟

هذه التقنية القائمة على قلب المشهد الشعري في البيت الاخير تشكل جزءا من السخرية بالاعراف السائدة في المخاطبة وقول الشعر . انها قلب للحوار بين الشاعر والسلطة لكي يقف هذا الحوار على قدميه فينتج الحقيقة . بعد ان كان يلهو في اطار من الكلمات المنمقة يوجهها الشاعر الى السلطان والسلطان الى الشعب ، في حلقة مفرغة من اللوم المتبادل او اللثاء الدوار - المهم ان « الكلام » هو وسيلة الجميع الى البقاء . وبالتالي فهو رمز واپس « الطاحونة » وه الطبل « وه المخبر » (و شاعر السلطة) ، هي الصور الوحيدة في هذا الزمن العربي الذي « عصر الكلاب » . بل ثمة رمز اشمل ، يتسع لكل ما مضى ذكره وما لم يذكر بعد ، هو « الدائرة » . فهي بلا بداية ولا نهاية ، مثلما انها تتلاشى حين ترثسم على صفحة الماء :

يحاولون رسم شيء ما ، فيسمون شيئا

غير قابل للرسم

ان الماء تكسر الاحجار وجهه

دوائرا دوائرا

وبعدها تسترجع المياه وجهها

تسترجع الاحجار وجهها ، مربعا ،

مكعبا ، او مستطيلا ، ليس ابي

وجه مستقيم مميزة ولا كتاب توصية

يصعب على المرء تخيل صورة لهلامية الانظمة العربية اصنق من تشبيهها بالدوائر التي تتشكل وتتلاشى على صفحة الماء دون ان تترك اثرا . كل شيء رخيص ومزيف :

في آخر انتخاب كان في بيروت ،

لا انتخاب ملكة الهزيمة

فوجيء السياح في الفنايق التي

تؤجر الوطن

لليلة او ساعة بابخس الثمن

بان تلك الوردة المسلوقة المقشرة

نحاجة مزورة

ان هذا النثر الصحافي الذي صيغ منه خير انتخاب « ملكة الهزيمة » لا يصلح لنظم الشعر . ولكن ماذا تحتاج مثل هذه المناسبة الهائسة اكثر من مجرد تقرير سردي بسيط ، خاصة وان هذه الملكة ليست اكثر من نحاجة ؟ وهل من العجيب بعد ذلك ان يفلت خيط السرود من يدي الشاعر ، فيقطع الخبر ليصبح متعجبا :

كيف استطعنا أن نعيش كل هذا العمر

نكتب الرسائل المزورة ؟

ساعي البريد لم يكن سوى مهرب

طوابع البريد كلها مزورة

اطفالنا مزورون ، كل نطفة مزورة

هذا هو الاسلوب حين يستحيل الى موقف ، او الموقف حين يستحيل الى اسلوب . هنا فقط ، كل شيء يجوز لان الحقيقة وحدة متجانسة ، فسواء استمر الشاعر في السرد او قطعة متدخلا ، فاننا لا نحس بتخلخل في بنية العمل الفني - ربما لان الحقيقة اكبر من تفصيلات الصنعة الفنية . فيكون شعر معين بسيسو مشمولا برعاية الحقيقة التي لا يحتاج فننا الى غير بصيرة ثاقبة ترى في ملكة الهزيمة وردة مسلوقة مقشرة ... بحاجة مزورة .

الحقيقة ... وشعراؤها

هو التزييف المعتد خلال العصور يجب ان ينتهي بشكل من الاشكال . لا يد من رجال يتجراون على قطع هذه الحلقة المرغمة بسيف الحقيقة وحدها ، الحقيقة الفجة ، العارية من اي مجاز هي اهم تقنيات الشعر الخشن :

أرخص من مياه تلك المستنقع النتن

أرخص من زجاجة العرق

دماؤنا

أرخص من منديل مومس ،

من قطعة الصابون

لحمنا

.... اذل من وئذ

بيرقنا

فهذه الوقائع اشد ايحاء . عند تقريرها ، عارية من أية بلاغة يقترحها مذهب ادبي . فهي بلاغة العد التنازلي التي يتكون تأثيرها من اصطدام الواقع المتدهور بالوعي المتفتح المسائل : الى أين ؟ لكنه لا ينتظر الجواب من الآخرين بل يسرع مبادرا الى تحديد الوضع نفسه ، كما يراه هو :

الى اليمين سر

الى اليسار سر

للشرق سر

للغرب سر

الى الشمال والجنوب سر

وخطوة الى الامام

عشرون خطوة الى الوراء سر

وبالشراع والمجداف في بحيرة اليمين ،

بالطبول والبيارق الحمراء

في شوارع اليسار سر

سر

سر

خلفا در

خلفا در

خلفا در .

هذه المقطوعة لا بد من ايرادها كاملة ، فلا يمكن الاقتباس منها . وكل من يعرف أوضاع الانظمة العربية يكتشف ان هذه القصيدة ترسم أفضل خريطة لساراتها . وبالتالي فان وحدة القصيدة - اي بناءها العضوي ، اي فنيها - لا تنبع من متانة البنية اللفظية ، ولا تنأتى عن حسن الحبكة البنائية . فنية القصيدة نتيجة عرضها الأمين والبصير للواقع العربي ، برشاقة وايجاز وايماءات بالغة التعبير . وليس امرا هينا ان تعرض مسار عشرات « الثورات » و الانظمة الثورية ، في حضارة متداعية ضائعة ، ضمن حيز ضيق كالذي تشغله القصيدة . خاصة وان هذه السارات تمتد منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية الى اليوم . على أن معون بسببوسوليس وحيد اتجاه الحقيقة في تاريخ الشعر . بكل تأكيد ، يجد على جانبه شاعرنا القومي أبا الطيب المتنبي ، فيناجيه الشاعر مستنجدا :

يا ابا الطيب ، قم صح الفواطير

وقم صح القيائر

دقت الاجراس للصيد :

شعابين المحابر

بشمت من لحمنا ، هذي الثعالب

صار درع الفارس المقتول بينا للعناكب

اه يا سيف المحارب

وأما بوشكين فله في قلب شاعرنا مكانة فريدة . ففي الديوان اشارات متعددة اليه ،
وقصيدتان يشتكي اليه شاعرنا في احدهما ان في عصرنا تركب الارانب العرجاء الأفيال :

وترتمي العنقاء في قفص

ويكتب الاسماك والحيات

أجمل الأشعار والقصص

أما القصيدة الثانية فتكاد تكون من أروع شعره وأكثره سموا . فلا يغني عرضها عن
قراءتها بتمعن . تتألف القصيدة من أربعة مقاطع . في الأول يتحدث شاعرنا عن استمرار القتل
في اصطلياد الشعراء :

فالقائل يرث القاتل

يهديه يا بوشكين الغفاز ويهديه رصاصه

والشاعر يرث الشاعر

يهديه الطلقة بين العيتين وخصلة شعر

في المقطع الثاني يروي شاعرنا ما رآه في دفتر بوشكين المحفوظ في المتحف وتأثير
بوشكين ضد الفكر القيصري :

قطرة حبر صداقة واحدة تكفي

لتسبم تمساحا

وجميع الرقباء السريين

والعنبيين

والمقطع الثالث هو ذروة القصيدة ، حيث يدافع الشاعر عن صوته فيصبح الموت هو الأمل
الرائع للإنسان :

موتك كان دفاعا عن أصوات جميع الشعراء

لكن موتك علمنا ان الشعراء

عائلتان

عائلة تكتب بالحبر

والعائلة الأخرى تكتب بالدم

في الختام تأتي النتيجة المحزنة : « ما زال هناك يا بوشكين الشاعر والقائل » . ولا

يضاهي هذه القصيدة في الروعة الا قصيدة اخرى عن شاعر هنغاري يدعى « جوزيف اتيلا »
 انتحرت تحت عجلات قطار عام ١٩٢٧ « مطارنا من البيروقراطية والبوليسية » . بطبيعة الحال
 ثمة قصائد لشعراء آخرين من بينهم رامبو وماياكوفسكي . لكن قصيدة « الخروج »
 الموجهة الى محمود درويش ذات اهمية خاصة لانها تكثف كل محاوراته مع الشعراء العرب
 الذين يحترمهم معين بسيسو ، ولكنه يعترض على اسلوبهم المزوق في قول الحقيقة . لذلك سوف
 نراجع هذه القصيدة من خلال عدد كبير من القصائد التي تنطلق من ذات المنطلق بنغمات
 متفاوتة ، املين الا يشغلنا استقصاء الموضوعات عن فنية الاداء ، ولو باختصار شديد
 للناحيتين .

تبدأ القصيدة بحض الشاعر على الصمود . فالموقع عند معين بسيسو يتماثل مع الموقف :

كان رحيلي عن غزة

ورحيلك عن حيفا ، غدرا ...

كان رحيل المتنبى عن حلب غدرا ...

ها نحن الآن هنا ،

نبحث في حوصلة العصفور الميت

عن قافلة حبلى ...

وهو لا يكره شيئاً قدر ما يكره الرحيل . فهو يحمل اليه كل مأساة تشرده عن غزة وضياع

فلسطين ، يقول الشاعر في « طيور المنافي » :

وخطت بنا الطائرة

وصاحت طيور المنافي هي القاهرة

طيور المنافي مناقيرها في العظام

طيور المنافي مناقيرها في فمي ...

مطار يسلمني لمطار

أبيع دمي

على جبهتي ألف تأشيرة

في بطن حوت جواز السفر

وأرض الوطن

فمن معاني مغادرة الوطن عند معين بسيسو التنقل من منفى الى منفى — وكل بقاع الارض
 عنده مناف بعد فلسطين — . أما المعنى الثاني ، فهو الفرار من مشاق الكفاح الى حياة الهون
 والدعة . فحين استحالتي بيروت الى جحيم ، ولم يبق فيها غير غير المقاتلين ، كان شاعرنا

يتعقب بالتهكم أولئك الغارين :

« الشاعر السعيد » في المطار
 « والقارئ السعيد » في المطار
 والطريق للمطار آمنة
 والطائرة
 لم تكن مواظنة
 على ارتفاع ألف مترا كتبوا
 بيروت تتعد
 على ارتفاع ألف مترا قرأوا
 بيروت تتعد
 كتابة سعيدة
 قراءة سعيدة
 بيروت أصبحت بعيدة
 بيروت أصبحت بعيدة

بطبيعة الحال ، بحق لنا ان نتساءل عن نموذج الشاعر المكافح الذي يراه معين بسيسو اهلا لاحترامه ؟ ولا بد ان يأتي الجواب : انه معين بسيسو نفسه .

في نهاية « قصيدة من فصل واحد » - وقد رجعنا اليها عدة مرات لاكتنازها - يخلق الشاعر منظرين في الاول :

وقع القمقم في الشبكة
 وفتحت القمقم
 اطلقت سراح المارد
 فوهبني خمسة عيدان ثقاب
 اشعلت العود الاول والثاني والثالث والرابع
 ها انذا اشعل آخر عود
 ظهري للحائط
 وجهي للحائط

وأنا أكتب بالعيدان المحترقة

فوق الحائط .

لكي نفهم هذا المقطع بكامل ما يعني ينبغي تأويله على صورة إيمائية - MIMETIC - وفي الواقع لا بد من تأويل المواقف التي يخلقها الشاعر في قصائده على صورة إيمائية لأن معين بسيسوكاتب مسرحي وليس شاعرا فقط ، وهو أحد الأعمدة الفائرة البارزة في المسرح الشعري الحديث . في التأويل الإيمائي تظهر عيدان الثقاب الخمس على أنها خمس أصابع يحرقها الشاعر كلها في لهيب الحياة . أما صورة « ظهري للحائط » فتعني أنه ظل يحارب حتى حوصر ، وبالتالي فإن صورة « وجهي للحائط » تعني أنه أسر وسوف يعدم - لكنه ظل يكتب بأصابعه المتأكلة المحترقة فوق الحائط . إن هذه الصور حين تفهم على هذا النحو تكشف موقف الشاعر من الحياة ، مثلما تكشف تقنيته الفنية الشبيهة بتقنية الحلم الذي يستخدم التكثيف والإزاحة للرمز بما يدل عليه الحلم . وبما أن المسرح والإيماء يرجعان إلى طقوس شعائر تضرب في أغوار الزمان ، فإن تمثيلهما اللفظي في الشعر يلتقي معهما في نفس النقطة من اللاشعور . وهذا ما يجعل السرد مؤثرا في القارئ ، لأنه سريع ويتم على مستويين :

ظاهري وباطني . والتفاوت بين المستويين يخلق منظورا هو البعد الثالث الذي يعمق القصيدة ويحول السرد من تصوير سطحي للواقع والمركبات الواقعية إلى حركات إيمائية سريعة ورمزية . وهذا المنظور بالذات هو الذي يقيم الفارق الهائل بين شعر الواقع وشعر الحقيقة . فكل شعر في هذا النوع وفي غيره يقتصر على تصوير الواقع أو إعطاء معناه هو شعر الواقع ، أي شعر ساقط فنيا . وكل شعر قادر على التكثيف الذي يخلق عدة مستويات للتبصر هو شعر الحقيقة ، أي هو الشعر ، ولو تأملنا كل الأمثلة التي أوردناها عما أسميناه « شعر الحقيقة » لوجدناه يحقق ذلك المقياسين : التكثيف والإزاحة ثم خلق المنظور بالتفاوت بين مستويات الرؤية . بهذا المنهج يمكن أن نفهم صورة شاعر الحقيقة عند معين بسيسو . إنه الشاعر الذي يستهلك كل طاقاته وهو يكتب فوق الجدار الذي أقامته سلطات القمع في وجهه . وبالتالي فقد أصبح الجواب واضحا عن السؤال الذي يطرحه الشاعر في المنظر الأخير :

لن يبتلعك . لن يلغظك

على الشاطئ حوت

« بونس » قد مات ومات الحوت

ووحيد أنت على سطح المركب

والمركب يفرق

بقيت فوق المائدة زجاجة خمر

وزجاجة حير

ماذا تفعل ؟

اني اسالك الآن

والمركب يفرق

ماذا تفعل ؟

هل تشرب ،

ام تكتب ؟

الحقيقة ان الخيار معدوم أمام الشاعر ، لان الشاعر يلد والقاتل يرث القاتل ، كما راينا في قصيدته عن بوشكين . وبالتالي « فالشاعر دمه مهدور في كل زمان » كما يقول في « قصيدة فوق الجدار » حيث يكتب الشاعر على الجدار قصيدة غضب « ضد لويس الاول ، ولويس الحادي والعشرين » ، فيقبض عليه العسس ويأمرونه :

« امسحها بيديك

آيات قصيدتك المعونة والمحفورة فوق الجدران » .

يمسح الشاعر الجدار فتذوب يده اليمنى ثم اليسرى ثم يذوب لسانه ووجنتاه :

راح الوجه يذوب

سقط الشاعر

سقط وبقيت فوق الجدران المفروشة

كالنطع الاسود كلمة « لا » .

مرة اخرى استنطاع الشاعر ان يبني موقفا مسرحيا مأساويا . هذا الموقف قد يفرج اي شاعر آخر بثقتى التهويمات الشعرية عن البطولة والقداء ، ما عدا معين بسيسو ، فهوينسى الشاعر وعذابه ويمضي في سبيله لابرار الرفض

« لا » للويس الاول ، ولويس الحادي والعشرين

« لا » للزنزانة ، لمقص رقيب السلطان ، وللسكين

فالشاعر الحق ، شاعر الحقيقة ، هو الذي يمضي مكافحا حتى اخر لحظة من حياته ،
فالسؤال :

هل تشرب ،

ام تكتب ؟

مجرد طرح صوري لخيارين بين الرفاهية والتعب . أما الحقيقة التي يؤمن بها معين بسيسو فنجدها في الكتابة فقط ، وإلى اليرمق الاخير .

على هذا النحو ، يمكن أن نتبين أن معين بسيسو منح صديقه محمود درويش أقصى صيغة
من الثناء حين قال له :

أنا أعرف أنك ترفض يا محمود

رباط العنق

لكنك تقبل يا محمود الحبل على عنقك

واقدرني شاعرنا فيما بعد صديقا شاعرا قتله الصهاينة ، هو الشهيد كمال ناصر بقصيدة
ايمائية ايضا عنوانها « كان يكتب ثم يشطب » :

حينما جاؤوا اليه كان يكتب

ثم يشطب

كان في دمه يلعب

كان ضد البطل المفلوف بالاوراق

والجرح المقلب

فالشاعر يرقى بفعل الكتابة في معارج الحقيقة حتى يصل الى سدة الشهادة ... وهو في
حالتي الكتابة والشهادة انما يلعب بدمه لانه يقول الحقيقة ولا يزوقها بالاوهام .

نظم معين بسيسو قصيدة « الخروج » بعد خروج الشاعر « محمود درويش » من فلسطين
المحتلة والاقامة في الاراضي العربية الحرة المستقلة . كان محمود درويش شاعرا مقاوما
للاحتلال الصهيوني . فاذا غادر فلسطين وانضم الى المقاومة الفلسطينية في الاراضي العربية
خارج الاحتلال ، فماذا سيفعل ؟ سوف يكتب ما يطلب منه . ان معين بسيسو يروي لصديقه
قصة الشعر مع القوانين والانظمة والاجهزة :

قالوا : القدس

وكتبنا يا محمود عن القدس

وزهرة عباد الشمس

قالوا : يافا

وكتبنا عن يافا ... يافا ... يافا

والآن يقولون لنا : غزة ...

ماذا بعد ؟

كسر زجاج نوافذنا الرعد

لننتبه ، ونقرا بحذر . فقد بلغنا منطقة ساخنة متفجرة جدا . نحن الآن في منطقة الصدام

بين معين بسيسو وبقية الشعراء العرب - او لنقل انهما منطلق الصدام بين شعر الحقيقة وشعر التزييق ، شعر التوشية التي تسكن الالم بالاوهم . وتفصيل الامر ان مدرسة الضل التي سادت الشعر العربي ما يقرب من ألفي عام قد تجاوزت باخلاص شديد مع نكبة فلسطين ووضعت كل امكاناتها الشعرية تحت تصرف هذه القضية القومية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية : شعب بأكمله طرد عن أرضه ، ولو حق في المنافي بكل أدوات القتل الحديثة لكي يحتل الضهاينة أرضه وبيوته ، فيشكلوا مخفرا متقدما وفعالا جدا في خدمة المصالح الامبريالية الامريكية ، ضد نضال شعوب الامة العربية في سبيل انشاء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد المصنع ، غير ان تقاليد مدرسة الضل فرضت على الشعر ان يغني المناسبة ، فأبدع الشعراء العرب أروع قصائد الحنين الى فلسطين ، وأعذب انغام الحب لتلك الأرض الطاهرة التي تنبت الانبياء والشعراء والزيتون واللبنون . وبعملية « انلجة - IDEOLOGYZATION - » عفوية ورسمية ، أصبحت خيمة اللاجئين رمزا للجؤس ، وثمار فلسطين رمزا لفردوس مفقود ، كما تحولت فلسطين ذاتها من وطن الى قضية - اي من أرض وماء وتراب وشعب الى رمز فكري مجرد ، يبتعد شيئا فشيئا نحو عالم المثل الافلاطونية في عالم يتعالى باستمرار عن كرتنا الارضية .

معين بسيسو هو الشاعر العربي الوحيد - فيما اعلم - الذي رفض عملية الترميز - SYMBOLIZATION - وشن على الشعراء العرب حربا شعواء . فقد رأى في هذا التجريد قتلا للوطن ، يشبه ما يحدث حين يقتل الفدائي فتطبع صورته بالالوان وتعلق على الحيطان ، وبالتالي فلم يعد للفدائي وجودا محسوسا بل أصبح صورة . اما معين بسيسو فيريد ان يظل الفدائي فدائيا ولا يندو صورة او ملاكا في السحاب :

أه اعطيني قطرة حبر وأتركيني

للسكاكين التي تعرف عنوان عيوني

....

انا ما خبأت كلي بين أوراق كتاب

وانا لم ادفن شهيدا في السحاب

وانا الشاعر ... ديواني التراب

ان رفض الترميز ، واعتبار التجريد تزييفا ، واستنكار ان تتحول المناسبة الى أغنية مطوية .. ثورة من أكبر الثورات في شعرنا العربي الحديث ، الذي يبتعد اكثر فأكثر عن المحسوس الواقعي والحقيقة المموسة نحو الرمز فالتجريد فالاسطورة . هذه الثورة لم يدع اليها منظر من هؤلاء المنظرين الذين يسوقون قطعان الشعراء بسياط الايديولوجيا الرسمية ، ولم يلتفت اليها ناقد من نقادنا البنيويين او دعاة الحداثة وما بعد التحديث ، ويدهي ان الباحثين الاكاديميين معفون من الالتفات اليها لان ايديهم الخبأة بين أوراق الكتب لن تمتد الى جثث القتلى ولن تخط سطورها على التراب - كما يفعل الشعراء في الابيات السابقة .

وحده معين بسيسو يأنس بلزوجة الواقع وكثافته . وحده ، دون كل الشعراء العرب ، ينفرد

من الصورة الملونة والرمز المجرد : « كل قرأني على الحيطان قد صاروا صور » . هذا ما يقرره شاعرنا بفرع . فهو يعرف الشبان الفدائيين معه خلف المتاريس ، أما إذا علفت صورتهم على الجدران فهم قتلى .

قد يحتاج المرء الى هذه التجربة بالذات لكي يكتشف الفرق بين الكائن الحي وصورته المطبوعة . وقصيدة « غزال صئير » فريدة في بابها من حيث تسجيلها المدهش للفارق الضارخ بين الانسان الحي والمقاتل والصورة الصامتة الملصقة على الجدار . دع عنك مطلعها النادر المثال :

استشهد الماء ولم يزل يقاتل الندى

استشهد الصوت ولم يزل يقاتل الصدى

وانت بين الماء والندى

وانت بين الصوت والصدى

فراشة تطير حتى آخر المدى

فهذا المطلع نادر ليس لانه جميل ، فهو لو وقع لشاعر آخر من مدرسة الصقل لانساق وراء الغنائية والتجريد والصورة الرمزية حتى وضعنا في السماء السابعة . اما معين بسيسوفاته يبدأ من الرمز ليجر القصيدة وراء الشهيد الى القبر . فالمطلع تمجيد حزين لمقاتل ظلت بطولته بعده مستمرة . مثلما يستمر الندى بعد جفاف الماء او يسترسل الصدى بعد زوال الصوت . على أعقاب المطلع تبدأ القصيدة :

يذهب للخندق

يترك دمه

ويعود الى الحائط ملصق

فالقصيدة تضفر حكايتين ، الاولى ذهاب المقاتل الى خندقه ومقارمته واستشهاده ثم نقله من الخندق الى المستشفى ووضع في النعش وحمله على اكتاف رفاقه .. والحكاية الثانية هي حكاية صوته المعلقة في نافذة بيته وكيف مشى الى الطبيعة وانتظرت عجيبة الألوان ثم سارت مع الموكب . فلما الحد الشهيد الصقت فوق الجدار ولكن سرعان ما غطتها صور اخرى لشهداء آخرين . انها قصيدة فريدة في باب الرثاء في الشعر العربي بأكمله . قوامها المغارقة بين المقاتل الحي وصورته ، وهي مغارقة لا يمكن استنباطها بالفكر ولا بالخيال بل لا بد لك من ان ترفض كلا الفكر والخيال لتبصر الامر على حقيقته . وحقيقة الامر ، كما يراه معين بسيسو في القصيدة ، ان المقاتل الحي حقيقة واقعة وان الصورة الملصقة حقيقة اخرى اشد واقعية وامعن ايلاسا في النفس . فهي تدل على القتل . والقتل سلب للحياة مثلما ان الصورة سلب للاصل .

في كل الحالات لا توجد رموز بل وقائع ، اشياء ، موجودات ... سمها ما شئت ولكن اياك والتجريد فالتجريد يقتل الوطن ويحوّله الى قضية :

والذي كان وطن ...

اصبح اليوم قضيه

لا تلوموا البندقية

حينما ماتت ولم تترك وصيه

فالبندقية لا تخلف غير بندقية مثلها ليست بحاجة الى وصية . تحول بها تركتها من وارث الى وريث . فلماذا يتحول الوطن من تراب الى قضية لفظية ؟ هذه اول عملية تزييف ، يليها عرض القضية بأسلوب جميل .. ان شاعرنا لا يفهم كيف يمكن تجميل المأساة ، ولا يرضى بأن تصبح اختصاصا للشعر فيعيش الشعراء على حسابها . وهو يحمل عليهم اعنف الحملات ان هم زوروا . فهو يسخر منهم حين يناشدهم ان يتركوا الاتجار بفلسطين :

جمجمة فلسطين المحبرة

لنفس اغصان الليمون

ولنكتب يا شعراء التين وشعراء الزيتون

وجمل اوراق الموز وفوق زجاج نوافذنا

اشعارا لفلسطين

وتبلغ السخرية حد الشتيمة حين يرفض شاعرنا كل الرموز الفلسطينية التي صنعها شعراء النكبة ، الخيمة ، الليمون ، الموز ، التين ، والزيتون ويجر الشعراء من ايديهم الى سوق الامتعة البالية لكي يشتغلوا ببيع الامتعة الفلسطينية الحقيقية :

العين احفالك يا جدي ...

واعمل كل جذورك وارجل يا شجر الزيتون

وتعالوا يا شعراء النكبة والخيمة والليمون

لما خرق قصائدكم

واقترشوها تحت السور

مدوا ايديكم للقمر وللعصفور

بيعوا في اسواق الاقزام العود

شبكة صياد من يافا ،

حجرا من عكا ،

دالية في الكرمل

بيعوا عبد القادر

فوق صخور القسطل

أما بقية القصيدة فأشد نكالا . إذ يرى شاعرنا في بقية الشعراء المزيفين للذكبة والمتغنين بالمساة مجرد سماسرة :

حملت جارية الشعر الشمعة

لتفقد لخدعها الذخاس

والضفدع قد قفزت في قبعة الشاعر

واتم الساحر

لعينه ...

هذه الابيات الاخيرة تصور افضل تصوير حذر الشاعر من الانسياق في لعبة الشعر المصقول . اذ ان صورة الجارية وهي تحمل الشمعة لخدعها ... صورة أنيقة كلاسيكية (ولو ان مضمونها مقلوب رأسا على عقب) لذلك عاجلها الشاعر بصورة أخرى من وضعه تحمل طريقته الايمائية الفجة في التعبير : الضفدع قد قفزت في قبعة الشاعر - فالشاعر المزخرف ليس فقط قوادا على الحقيقة وإنما هو أيضا بهلوان وحار ...

فصعين بسيسو ، مثل افلاطون ، يريد شعرا بلا اوهام ، فظلا كالكواقع القظ . وهو يرى بحق ان هذه الطريقة الصادمة هي وسيلة الشعر الوحيدة لنقل الحقيقة . ولكي نرى الى اي حد يتشابه ، بل يتماثل موقف معين بسيسو مع موقف افلاطون من الشعراء الذين يخلقون الاوهام فيبتعدون عن شعر الحقيقة . لا بأس من مقارنة اشعار معين بسيسو وتفسيرنا لها ، ببعض نصوص افلاطون في « الجمهورية » فقد تكون فكرة المقارنة غريبة بعض الشيء ، لكن النتائج التي سنحصل عليها مدهشة الى حد انها تسوغ محاولتنا .

يقول افلاطون :

« ولذلك ، فحين يأتي الينا أي من هؤلاء السادة الايمائيين ... ويقترح ان يعرض لنا نفسه وشعره فسوف نركع له ونسجد بوصفه كائنا حلوا مقدسا ولطيفا ، ولكن علينا أيضا ان نعلمه بأنه بوصفه كذلك فلن يؤذن له بالاقامة في دولتنا ، والقانون لا يجيز له . وبعد ان نطليه بالمر ونكثل رأسه بوشاح من الصوف نرسله بعيدا عنا الى مدينة أخرى . ذلك لاننا نقصد ان نستخدم لصحة ارواحنا شاعرا او قصاصا اكثر خشونة وقسوة ، لا يقلد الا الاسلوب الفاضل فقط ، ويتبع النماذج التي اوصينا بها في البداية حين شرعنا بتثقيف جنودنا » - (الجمهورية ٣ ، ٣٩٨) .

(بقية البحث في العدد القادم)

ندوة روما
٢٤-٢٦ أيلول ١٩٧٩

الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والسلام في الشرق الأوسط

انعقدت هذه الندوة بدعوة من الجمعية الإيطالية للتضامن والصداقة مع شعب فلسطين ، التي تشكلت في روما منذ حوالي عامين وضمت ممثلين عن القوى السياسية الرئيسية في إيطاليا من ديمقراطيين مسيحيين وشيوعيين واشتراكيين واشتراكيين ديمقراطيين . وقد دعت الجمعية الى هذه الندوة القوي السياسية في دول مؤتمر هلسنكي للأمن والتعاون الاوروبي ، وبعض القوى السياسية الديمقراطية في الولايات المتحدة . كما دعت منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في افتتاح الندوة بكلمة رئيسية ، وبعث ايضا الجبهة العربية المشاركة والسفارات العربية في إيطاليا وبعض رؤساء البلديات في الضفة الغربية وقطاع غزة وبعض الاسرائيليين الذين يعترفون بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . وتضمن برنامج الندوة بحث « الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والسلام في الشرق الأوسط » ، وبحث « كيفية احقاق هذه الحقوق » ، وبحث « ممارسات الاحتلال الاسرائيلي على شعب فلسطين وانتهاكاته لحقوق الانسان » .

جاءت هذه الندوة حلقة في سلسلة من الندوات التي تنظم في اوربا الغربية بهدف تأييد الحق الفلسطيني . وكانت مدينة بروكسل قد شهدت عام ١٩٧٦ واحدة منها ، كان لها اثرها في استقطاب قوى جديدة في بلجيكا ودعم منظمة التحرير الفلسطينية . وتميزت ندوة روما بانها انعقدت في ظروف تزايد فيها الفجاء الفلسطيني الى غرب اوربا ، بعد زيارتي رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لكل من فيينا ودرود . كما تميزت بان منظمتها ارادها ان تاتي في نطاق الحملة السياسية الاوروبية المؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني من اجل تأمين اكبر دعم لقضية فلسطين ، ومن اجل تحقيق اهداف محددة في هذا المجال في الساحة الإيطالية . وكانت فكرة الندوة قد تطورت خلال العام الماضي ، فبعد ان طرحت بداية تحت شعار « ندوة المطران كروجي » ، الذي كان معتقلا في السجون الاسرائيلية لبتير قضية المعتقلين الفلسطينيين ، اتسعت لتشمل فضلا عن هذه القضية الهامة موضوع الحقوق الوطنية الفلسطينية بصورة عامة وكيفية احقاق هذه الحقوق ومجابهة الممارسات الاسرائيلية ضد شعب فلسطين .

التصمت هذه الندوة من ثم باهمية خاصة بسبب لسمولتها وتوقيتها ومكان انعقادها والمشاركين فيها . وقد اتخذت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قرارا بقبول الدعوة الموجهة اليها للمشاركة في افتتاح الندوة وشكلت ولدها من عدد من الاعضاء تمكن من الحضور منهم الى روما في الموعد المحدد احمد صلبي النجاني عضو اللجنة التنفيذية المسؤول عن الحوار العربي الاوروبي ، وماجد أبو شرار عضو المجلس المركزي المسؤول عن الاعلام الموحد ، والاب عياد عضو مجلس التخطيط ، وازراهيم الخطيب مدير مكتب المنظمة ببيوغرسلافيا ، فضلا عن نمر حماد مدير مكتب المنظمة في إيطاليا .

انعقدت الندوة بحضور اكثر من مائة من ممثلي القوى السياسية الاوروبية ، جاءوا من مختلف بلدان اوربا

الغربية ودول المجموعة الاشتراكية ، وحضور وفد أمريكي يمثل حركتي السود والهنود ، وحضور السفراء العرب في ايطاليا ويمثل عن مؤتمر الشعب العربي ، وحضور بعض اليهود التقدميين من بينهم فيليب تسيلانجر ويوري انذيري ، وحضور الياس فريچ رئيس بلدية بيت لحم وثوفيق طويي نائب فلسطيني عام ١٩٤٨ وعضو قيادة حزب وكاج ، وأخيرا حضور عشرات من ممثلي القوى السياسية في ايطاليا .

افتتحت الندوة صباح يوم الاثنين ٢٤/٩/٧٩ بخطاب السيد كارلوا كانساني رئيس الجمعية الايطالية الداعية ونائب وزير التجارة الخارجية الايطالية . وقد اوضح فيه فكرة الندوة وهدف الجمعية ودعمها لحقوق شعب فلسطين ، وشرح اهمية مساهمة القوى الاوروبية في بلوغ حل عادل . كما رحب بمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية وأشار في ختام كلمته الى وجود اسرائيليين في الندوة يقرون بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين ويسعون الى السلام العادل . وتلا ذلك الفاء البراسة الاولى الخاصة بالحقوق الوطنية . وقد جاءت هذه الدراسة مفصلة لهذه الحقوق مبرزة حق تقرير المصير بحق اقامة الدولة وناقدة لاتفاقيات كامب دافيد . وبعد الفراغ منها عقدت الاحزاب الايطالية الثلاثة الشيوعي والاشتراكي والديمقراطي المسيحي على البراسة ، وناقش المتحدثون بأسسها الظروف الراهنة في المنطقة ودعوا جميعهم الى اعتراف اوروبا الغربية بمنظمة التحرير الفلسطينية .

جاءت كلمة منظمة التحرير الفلسطينية في ختام جلسة الافتتاح الصباحية لتوضح موقف المنظمة من موضوع الندوة والقضايا المطروحة عليها . وقد نقل رئيس وفد المنظمة في مستهل حديثه تحيات رئيس المنظمة واحضانها . وتضمنت كلمته اشادة بفكرة الندوة بالصدادة مع شعب فلسطين ، وشرحا للظروف الراهنة التي تشهد احتدام الصراع بعد مضي عام على توقيع اتفاقيات كامب دافيد التي ضاعفت التوتر في المنطقة وصعدت الحرب ، ومظاهر هذا الاحتدام في جنوب لبنان وفي فلسطين المحتلة وفي المنطقة عدوما . ثم لخصت الكلمة افكار المنظمة حول موضوعات الندوة في تسع نقاط فشرحت الحاجة الى السلام في عالمنا ، وترباط السلام العالمي بحركة التحرير العالمية وموقف المنظمة التي تحمل البندقية في يد وغصن الزيتون في اليد الأخرى . وأوضحت ان أمن وسلام العالم وأمن اوروبا مرتبط بأمن وسلام منطقتنا العربية وبفضية فلسطين خصوصا . ومن هنا لا بد من ايجاد حل عادل للفضية التي هي جوهر الصراع . وبين ان هذا الحل لا يمكن ان يتحقق الا بتحقيق الحقوق الوطنية لشعب فلسطين . حقه في تقرير المصير وفي العودة وفي اقامة الدولة المستقلة . وشرحت التضال الفلسطيني لبلوغ هذه الاهداف والعدوان الاسرائيلي الصهيوني . وعرضت الكلمة لواقع التجمع الاسرائيلي بالتحطيل وأبرزت تطرف غالبية احزابه ويروز قوى تعيد النظر في التطرف الصهيوني . وأوضحت موقف المنظمة من هذه القوى ومن اليهودية كدين . ثم ناقشت الكلمة تفصيلا للموقف الاوروبي والدور الاوروبي المنتظر . ودعت القوى السياسية في اوروبا للقيام بدورها . واختتمت الكلمة بدعوة للتضال وبالتعبير عن الثقة بالمستقبل .

لقت النظر في خطاب المنظمة الحديث عن اليثاق الوطني الفلسطيني بلغة الاعتران في مواجهة الحملة الاعلامية الصهيونية على الميثاق ، اننا نعتز بميثاقنا الوطني الذي يحدد عن تحرير وطن الشعب الفلسطيني وليس عن تدبير احد . كما لقت النظر ما جاء بشأن الموقف من الحوار مع الاسرائيليين ردا على بعض ما رددته وكالات الانباء بمناسبة الندوة ، ان المجلس الوطني قد اقر الحوار مع القوى التقدمية اليهودية التي تؤيد حقوق الشعب الفلسطيني ، اما الحوار مع الحكومة الصهيونية الغاشية فقد اتخذت هي قرارا بشأنه حين قررت اعادة منظمة التحرير الفلسطينية فلا يمكن من ثم الحوار معها . ولقت النظر في شرح الحقوق الوطنية ما جاء في الكلمة عن الحكم الذاتي الذي يتعهد عن فرد بدون ارض وعن ارض بدون ماء ويسعى الى تفتيت شعب فلسطين الواحد والتعامل معه كانه شعوب ثلاثة . اننا نحكي عن حق تقرير المصير وحق العودة واقامة دولتنا المستقلة . والاسرائيليون يحكون عن الحدود الآمنة والحدود التاريخية والحدود المعترف بها والحدود الاقتصادية وأخيرا حدود مصادر المياه .

شارك في الحوار الذي دار في الندوة عدد كبير من المتحدثين من بينهم كالاديو سينوريلا نائب امين عام الحزب الاشتراكي الايطالي ، وكارلو بايينا مسؤول العلاقات الخارجية في الحزب الشيوعي ، وسان باراه من قيادتي الحزب الديمقراطي المسيحي ، وما سيمو نصاري وهو كاتب ايطالي مشهور ، جارالين عن الحزب الديمقراطي المسيحي ، وجميعهم من الايطاليين الذين طالبوا بموقف اوروبي حاسم يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . كما شارك ممثل الهنود الحمر ونائب يوغوسلافي وبرانسا ليتين عن الحركة اليسارية الفرنسية وسكارات عن الحزب الشيوعي الاسباني وممثل عن الحزب الشيوعي الفرنسي ونائب

تركى ، وروبرت مور عن الأميركيين السود ، وتحدث مايكل أنمز الصحفي البريطاني ، فقدم تقريرا مفصلا عن اوضاع الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال . كما تحدثت الحامية فيليبستيا لانجر عن الممارسات الصهيونية ضد المواطنين الفلسطينيين ، والياس فريچ رئيس بلدية بيت لحم . وتحدث قبل ذلك في الجلسة المسائية في اليوم الاول توفيق طوبس وبوري الفيزي ومكسيم كيلسن . كما تحدث الاب عياد ونمر حماد .

قام رئيس وفد المنظمة خلال اليوم الذي امضاه في روما بأجراء مباحثات مع عدد من الاحزاب الإيطالية وممثلي القوى السياسية الأوروبية . كما قام بعقد مؤتمر صحفي حضره عدد كبير من الصحفيين تحدث خلاله عن العدوان على جنوب لبنان وعن عدوان الطيران الاسرائيلي على سماء بيروت . كما طرح قرارات المجلس الوطني حول حقوق شعب فلسطين . وأوضح في رده على سؤال حول الحل العادل ، ان منظمة التحرير طرحت حلين متكاملين خلال السنوات العشر الماضية . جاء اولهما في مطلع عام ١٩٦٩ يقول بفلسطين الديمقراطية التي يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود في سلام . والآخر في عام ١٩٧٧ يقول بالقامة دولة فلسطينية على ابي جزء من التراب الفلسطيني يتحرر كخلاوة لحل كل المشكلات الباقية وممارسة حقوقنا الوطنية ومنها حقنا في العودة . وقد قاوم الصهاينة الحل الاول بحجة ان يعني تكبير اسرائيل بوجاهة حكومة ييغن لتدعي السيادة على الضفة والقطاع ولتتسك بفلسطين الواحدة التي تحكمها الفاشية الصهيونية وتعارض فيها العنصرية على شعب فلسطين ، فانظروا هذه المماراة بين خيار ديمقراطي اساسه المساواة والعقل بين اخر قاضي عنصري يقوم على التسلط .

اختتمت الندوة اعمالها باصدار وثيقة تؤكد التزام اللجنة الإيطالية بالتضامن مع شعب فلسطين . واعلنت الوثيقة تبييت الاقتراحات التي طرحت خلال النقاش كتوصيات لتتمكن اللجنة الإيطالية من التحرك على اساسها والعمل على ما يلي :

اولا : القيام بمبادرة على الصعيد الاوروبي يجري التنسيق خلالها بين القوى المستعدة لذلك في البلدان الأوروبية .

ثانيا - التحرك اوروبيا من اجل حث مجلس الأمن الدولي والامم المتحدة على تعديل القرار ٢٤٢ وحسب مقترحات الجمعية العمومية .

ثالثا - القيام بمبادرة من اجل لبنان ترتكز على الصعيد السياسي الاوروبي من اجل استقلال وسيادة هذا البلد ، وعلى صعيد التضامن لتوسيع الالتزامات بالمساعدة المادية للمصابين بأضرار الصرب من ابناء هذا البلد .

رابعا - تكثيف الضغوط على الحكومة الإيطالية بواسطة القوى السياسية من اجل اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية اذا ما تأخرت دول السوق الأوروبية المشتركة في القومصل الى ذلك .

خامسا - حث الحكومة الإيطالية على دعوة الاخ ابو عمار الى زيارة ايطاليا .

سادسا - تقوم بهذه المبادرة لجنة التضامن الإيطالية مع الشعب الفلسطيني بمشاركة الشخصيات الإيطالية المرموقة التي تحدثت في هذه الندوة والذين تمنوا اللجنة تحقيق الاهداف المذكورة .

كما وجهت الندوة تحية الى الاخ ابي عمار رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير والقائد العام لقوات الثورة اكدت فيها الاستمرار في دعم نضال شعب فلسطين بقيادة منظمة التحرير ممثله الفرعي . وكان الاخ ابو عمار قد وجه رسالة تحية للندوة جاء فيها ، باسم الشعب الفلسطيني في كافة اماكن تواجهه ، وباسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، احبي ندوتكم ، متاكدا من انها ستسهم في دعم نضال شعبنا العادل من اجل حقه في تقرير المصير والعودة وبناء الدولة المستقلة على ارض فلسطين لما فيه خدمة السلام والعقل في منطقتنا ، وفي حوض البحر الابيض المتوسط ، والعالم بأسره ، انتهز هذه المناسبة لاحيي القوى الديمقراطية الإيطالية والشعب الإيطالي الصديق ، واتطلع الى مزيد من التعاون لتعزيز هذه الصداقة .

كذلك وجهت الندوة برقية الى فداسة اليابا يوحنا بولس الثاني ، دعته فيها ان يكون رسولاً في الامم المتحدة للسلام العادل والدائم في الشرق الاوسط القائم على العدل من خلال اتفاقيات تبرم بين كافة الأطراف بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية وذلك على اساس الانسحاب الشامل للقوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة بما فيها مدينة القدس .

كانت النتائج التي اسفرت عنها هذه الندوة ايجابية . وقد ثمنتها اللجنة التنفيذية للمنظمة تثمينا ايجابيا . وسجلت الاوساط السياسية الأوروبية ان من اهم هذه النتائج توافق اجماع سياسي لدى القوى والاحزاب

الاطيالية الحاكمة والمعارضة على ضرورة الاعتراف بمنظمة التحرير وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .
 وحقه في العودة وبناء دولته المستقلة ، ومطالبته الحكومة بدعوة رئيس منظمة التحرير لزيارة العاصمة الايطالية في
 الرب ووقت .

وقد لوحظ أن الندوة احيطت باعلام غربي مكثف حيث تجمع في روما حوالي مائة صحفي . كما رافقتها حملة
 تشويش اعلامية رتبها بعض العناصر اليهودية الاوروبية . وتضمنت حملة التشويش هذه نشر اخبار عن اجتماع
 مغلق تم بين النائب الاسرائيلي يوري الفيري ووفد منظمة التحرير الفلسطينية ، وعن سؤال حول اعتراف المنظمة
 باسرائيل في المؤتمر الصحفي الذي عقده رئيس وفد المنظمة ، وعن مخاطبة اثناء الكلمات جرت بين الفيري ووفد
 المنظمة . وقد نفى مصدر اعلامي مسؤول في المنظمة هذه الاخبار التي لا اساس لها من الصحة . كما صرح رئيس
 وفد المنظمة انه لم يوجد له اي سؤال بشأن الاعتراف ومن ثم لم يحدث التطرق لهذا الموضوع ، وانه لم يتم اي
 اجتماع بين وفد المنظمة وبين النائب الفيري ، واستغرب خير التخاطب لانه لم يكن حاضرا الجلسة التي تحدث
 فيها الفيري لانضمامه في اجتماعات خارج الندوة مع بعض القوي السياسية الايطالية . كذلك شفت اذاعة اسرائيل
 هجوما على رئيس وفد المنظمة ووصفته بأنه معاد للسلام وانه اشار الى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ . وقد لغت النظر
 ان بعض اجهزة الاعلام العربية ردت ايجابيا تلك الحملة كما هي وقعت في اسرارها . وفي تفسير هذه الحملة قرن
 البعض بينها وبين النجاح الذي تحققه المنظمة في اوروبا العربية والذي حققته في الندوة . كما ربط البعض الآخر
 بين الحملة وبين توظيف حضور اسرائيليين تقبيين الندوة داخل الكيان الاسرائيلي في وجه الفريق الاسرائيلي
 المتصلب . وعلى كل حال فان ندوة روما تمثل حلقة هامة في سلسلة الفترات التي تشارك فيها منظمة التحرير
 الفلسطينية ضمن فضائها السياسي لاستقطاب قوى جديدة في عالمنا من اجل تأييد الحقوق الوطنية للشعب
 الفلسطيني وعزل العدو الصهيوني .

د. احمد صدقي الدجاني

زيارة عرفات لانقرة وبرلين

احتجت اسرائيل بشدة ، بل انها اقامت النذيا ولم تقعد لها على المستشار النمساوي برونو كرايسكي بسبب
 دعوته لياسر عرفات ، واستدعت سفيرها في النمسا . اما امام الاعتراف التركي بمنظمة التحرير فان اسرائيل قد
 لاقت بالصمت .

في المرة الاولى كانت اسرائيل الصهيونية تستعمل سيف الارهاب الذي تلوح به في وجه يهود العالم اذا ما خرجوا
 عن سلطانها . اما في المرة الثانية فان اسرائيل كانت تخشى ان يؤدي احتجاجها الى قطع الصلة بينها وبين تركيا ،
 ولذا لاقت بالصمت .

انه مؤشر الخطو الفلسطيني الواثق والشجاع في عملية الاختراق السياسية التي يقوم بها على الصعيد الاوروبي
 بل وفي عقر دار حلف الاطلسي . . .

لدى الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الجمعة ١٠/٥/١٩٧٩ قام الاخ ابو صار وعدد من اعضاء
 اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ووسط هشد من الصحفيين الاتراك والاجانب وعدد ضئيل من
 الصحافيين العرب ، ووسط جمهور قلير من المواطنين الاتراك ، برفع العلم الفلسطيني على مبنى مقر مكتب منظمة
 التحرير الفلسطينية بمدينة انقره العاصمة التركية ، معلنا افتتاح المكتب رسميا ، مضيفا الى دول الاعتراف بمنظمة
 التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني دولة جديدة .

ما الذي يعنيه هذا الحدث على الصعيد الفلسطيني وما هي أهميته ، واين يقع في سلسلة الانجازات
الدبلوماسية والسياسية التي حققتها المنظمة خلال السنوات الماضية ؟

اسئلة هامة يطرحها الاعتراف التركي بمنظمة التحرير الفلسطينية ، خصوصا ان تركيا هي النولة الرحيمة في
حلف الاطلسي او الناتو التي تتأخم الأرض العربية ، وهي الدولة الوحيدة الاسلامية في هذا الحلف . اضافة الى
كونها احدى الدول الاسلامية القليلة التي تعترف بإسرائيل وتتبادل معها التمثيل الدبلوماسي .

اين فالحدث هام على الصعيد الفلسطيني حيث انه يشكل اختراقا بشكل أو بآخر في جيب من جيوب حلف
الناتو . وهو في الوقت نفسه يشكل تطويقا للاعتراف الاسلامي بإسرائيل . ورغم ان الاعتراف التركي بالمنظمة لم
ينه الاعتراف بإسرائيل . ان هذه المسألة الأخيرة تبرز عندما تثار مشكلة القدس وهو ما سيجري الحديث عنه في
سطور قادمة من هذا التقرير .

والحدث ايضا يقع في المكان الاجور في سلسلة الانجازات الدبلوماسية الفلسطينية كونه يشير بما لا يقول الشك
الى ان النضال الفلسطيني قد بات حقيقة لا يمكن تجاوزها ، بل لا يمكن سوى الاقرار والاعتراف بها ، حتى من
قبل دولة هي عضو هام في حلف الناتو . لكنها وبسبب طبيعة موقعها ومكانها في منطقة الشرق الأوسط لا تملك الا
ان تنتظر بعين ال مكالها في الحلف المذكور وبالعين الأخرى الى مكانها في المنطقة . وهذا يعني ان التغيير الذي تعنيه
القوى الثورية في المنطقة ، والحقائق الجديدة التي تشكلها قد فرضت نفسها على النولة التركية التي لها عين على
المنطقة كما قلنا ، تدرك بها المتغيرات لا سيما تلك التي أحدثتها إيران الثورة التي فوضت نظام الشاه ، التي
تشكل مثالا بارزا ينبغي دراسته والتصنع في المقولات التي يطرحها .



عندما هبطت الطائرة الصغيرة ، وهي ليست طائرة حربية كما نقلت خطأ بعض المجالات ، في مطار انقرة
الدولي ، حاملة الوفد الفلسطيني برئاسة الأخ ياسر عرفات . توقفت هذه الطائرة في ممر خاص على مقربة من طائرة
هليكوبتر تركية انتقل اليها الوفد ، بعد ان استقبله في المطار نائب رئيس الوزراء التركي وعدد من مساعديه .

وحيث هبطت طائرة الهليكوبتر في احد المطارات العسكرية القريبة من مقر اقامة رئيس الوزراء التركي اجاويد ،
كان الرئيس في انتظار الطائرة ليمتقبل رسميا رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والوفد الفلسطيني .



المباحثات الأولى بدأت على الفور في مقر رئيس الوزراء ، وبعد ان قام المصورون والصحافيون بالتقاط الصور
الصحافية والتذكارية . بدأت الجلسة التي تحدث بها الاخ ابو عمار فعرض على مدى ساعتين الموقف السياسي
الفلسطيني ، ورؤية الثورة الفلسطينية وافكارها الاستراتيجية بشأن الصراع الدائر في المنطقة وفي اماكن اخرى
من العالم . كما عرض الوضع في جنوب لبنان ، ومعاهدة السلام الامريكية الاسرائيلية المصرية ، واتفاقية
كامب ديفيد ، وبعدها في تأجيل الصراع وليس في تحقيق السلام ، ويتنازع مؤتمر هافانا ، ملاحظا تزايد التفهم
والتأييد العالمي خصوصا بين دول العالم الثالث للنضال الفلسطيني والمنظمة التحرير الفلسطينية . ثم انتقل بعد
ذلك الى عرض مواقف الولايات المتحدة الامريكية من القضية الفلسطينية ، واستمرار محارلاتها القفز من فوق
الحقوق الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية، وكذلك عرض الموقف الأوروبي والحوار الفلسطيني الأوروبي
وضرورة التوقف عند هذا الحوار بالتعطيل والدراسة ومتابعته وتنمية ظواهره الايجابية .

كما عرض رئيس اللجنة التنفيذية ايضا الموقف العربي وركز على الموقف الفلسطيني موضحا تكوين م . ت . ف .
ومؤسساتها ومناقها وبرامجها التي اقراها المجلس الوطني الفلسطيني .

وقد تضمنت كلمة رئيس اللجنة التنفيذية ايضا نظرة على عالمنا بابعاده ومشاكله وقضاياها في كافة المجالات .

وانتهت الجلسة الأولى عند حدود المعرض الذي قدمه رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وعند
عبارات محددة قالها اجاويد تحقيقاً على العرض ، من بينها قوله .

كانت تحليلاتكم بديلاً تاريخياً وعلمياً ، ونحن نتفق مع ما جاء في هذه التحليلات تماما . لقد طرحتم قضية فلسطين بوضوح وقدمتم الحل الصحيح للمسألة الفلسطينية .

بعد ذلك دار حوار غني بإشراء الأخ أبو عمار وشارك فيه أعضاء الوفد ، انفضح النقاب التي طرحتم وأوصلت إلى رؤية مشتركة .



أما الجولة الثانية من المحادثات فكانت أثناء حفل العشاء الذي أقامه أجاريد للوفد الفلسطيني . وكانت الجولة الثانية هي الأخيرة بسبب الموعد الذي ارتبط به أبو عمار مسبقاً لزيارة ألمانيا الديمقراطية ، كضيف شرف يشارك في احتفالات مرور ثلاثين عاماً على تأسيس الدولة وإقامة النظام الديمقراطي الاشتراكي فيها . في الجولة الثانية تحدث رئيس الوزراء التركي يولاند أجاريد ، مركزاً في حديثه على ضرورة تحقيق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، مؤكداً أنه لا يمكن الوصول إلى سلام عادل ودائم وشامل في منطقة الشرق الأوسط دون تحقيق هذه الحقوق .

وأشار أجاريد أيضاً إلى القدس بصفة خاصة ، مؤكداً التزام تركيا بقرارات المؤتمر الإسلامي بشأنها .

واستغرق حديث رئيس الوزراء التركي ما يقرب من ٩٠ دقيقة عرض خلالها رؤية تركيا للأحداث في المنطقة وفي العالم ، وتطرق لجميع النقاط التي طرحها أبو عمار ، شارحاً ظروف تركيا وخصوصية سياستها .

كما عرض للعلاقة بين أوروبا وأمريكا ، مؤكداً أن السياسة الأوروبية هي امتداد للسياسة الأمريكية . وأن كان هناك هامش يفصل بينهما .

وتحدث عن العلاقات العربية التركية ، مشدداً على ضرورة تنمية هذه العلاقات .

وفي مجال العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية أشار السيد أجاريد إلى بعض المواقف التي تختلف عليها المنظمة مع تركيا خصوصاً قضية قبرص . غير أنه أكد على أن هذا الخلاف لن يقلل من تصميم تركيا على تأييد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

ولقد ساد المحادثات التي شارك فيها كامل الوفد الفلسطيني مع السيد أجاريد ونائبه وعدد من معاونيه ، جو ودي للغاية زانت حرارته كثيراً عن المألوف في مثل هذه اللقاءات والمباحثات الرسمية .

وقد عقد أبو عمار قبل مغادرته انقرة مؤتمراً صحفياً أكد فيه على أنه لاسلام ولا أمن في المنطقة ولا في أوروبا طالما لم يستعد الشعب العربي الفلسطيني حقوقه الوطنية المشروعة .

أما حول محادثاته مع رئيس الوزراء التركي ، فقد أكد رئيس اللجنة التنفيذية على أنه تم بحث العلاقات الثنائية ومشكلات الطاقة والعلاقات التركية العربية والفلسطينية والموقف الدولي .

هذا وقد وصف الأخ أبو عمار زيارة القس جيسي جاكسون للبتان بأنها كانت بناءة وكللت بالنجاح .

وأضاف الأخ أبو عمار بأن المنظمة تتمتع بمساندة قوية من قبل السود الأمريكيين بالأضافة إلى العناصر الصديقة في الكنيسة والكونغرس .

وعن جنوب لبنان تحدث أبو عمار عن خرق إسرائيل المتواصل لوقف إطلاق النار ، وقال أنه رغم ذلك يجري تزويدهما بأخر الأسلحة الأمريكية وتحظى بدعم سياسي واقتصادي وديبلوماسي كامل في واشنطن .

وقال أبو عمار إن نظام حكم السادات وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية يريدون الادعاء بإقامة حكم ذاتي إقليمي ، وأن إسرائيل هل توجد دولة في العالم ليس لها حدود تاريخية ولا حدود دفاعية ولا حتى مصانع مياه .

على صعيد آخر لفت النظر الاستقبال الشعبي الضخم الذي لقيه الأخ أبو عمار أثناء انتحاه مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في انقرة . وقد تم هذا الاستقبال أثناء مروره في الشوارع وأثناء مغادرته المطار إلى برلين

عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، بوصفه تعبيراً عن حقيقة عواطف الشعب التركي تجاه كفاح الشعب الفلسطيني .

لقد كان كل من الاستقبال والتوديع حاراً على الصعيد الرسمي ، وكان حماسياً وغازماً على الصعيد الجماهيري ، وقلت التهتافات تسمع حتى اقفال باب الطائرة الخاصة التي قدمت من برلين لتقل رئيس اللجنة التنفيذية . والوفد المرافق ، وحتى تشغيل مركبات الطائرة .

هذا وقد صدر في نهاية الزيارة البيان الصحفي التالي :

في ختام الزيارة صدر بيان صحفي وصف جو المحادثات بأنه كان ودياً واخوياً ومعبراً عن ايمان الطرفين بأن التعاون الوثيق والتضامن بين الدول العربية والدول الاسلامية في المنطقة سيساعد الى حد بعيد على حل قضاياها دون تدخل اجنبي . وعكس تقدير منظمة التحرير للتأييد التام الذي تقدمه حكومة تركيا وشعبها للشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحقيق انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس ، وتحقيق الحقوق الثابتة له ، بما فيها حقه . في اقامة دولته المستقلة بقيادة المنظمة .

من انقاره اتجه أبو عمار والوفد الفلسطيني الى برلين ، ملتبساً دعوة جمهورية ألمانيا الديمقراطية ليكون ضيف شرف في احتفالاتها بالذكرى الثلاثين لتأسيسها . وقد سبقته هذه الزيارة اتصالات جرت بين برلين وبيروت على مدى اسبوعين لاعداد ترتيبات الزيارة بشكل يعكس اهميتها .

وفي برلين كان استقبال الوفد الفلسطيني من القادة الالمان يشع بالحرارة والدفء . وكان على رأس المستقبليين في المطار الرفيق غورينبرغ عضو المكاتب السياسي للحزب الاشتراكي الالمانى الموحد ، الذي هو في الوقت نفسه صديق شخصي لرئيس اللجنة التنفيذية .

وعندما وصل أبو عمار الى قاعة الاحتفال كان في استقباله عضوان من اعضاء المكتب صحباه الى حيث جلس في المقعد المخصص له في الصف الاول على النصة الرئيسية مع رؤساء الدول الاشتراكية والدول الصديقة الأخرى الذين شهدوا الاحتفال . فكان هذا تكريماً لغت نظر المراقبين ، الذين عموه تكريماً للفلسطينيين في شخص رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة .

اما التكريم الثاني فكان عندما اتى عريف الحفلة ، وهو يعدد اسماء كبار الضيوف ، على ذكر اسم ياسر عرفات ، فقال تصنيفاً مطولاً من منصفه الشرف وفي الالقاعة .

وكان واضحاً بما لا يقبل الشك ذلك الاهتمام الذي حظى به ضيف الشرف الفلسطيني . وازداد الأمر وضوحاً في حفل الاستقبال الذي اقامه الرفيق ارشيه هونيكور . فقد اصطحب السكرتير العام للحزب الالمانى الاشتراكي الموحد ضيفه ياسر عرفات ، وتولى بنفسه تقديمه الى القاعة الاشتراكيين . فتبادل الأخ أبو عمار والرئيس الرفيق ليرنيد بريجينيف العناق والقبلات ، فيما تبادلنا بعض الوقت قبل ان يتقبل التحيات من قادة الدول الاشتراكية الآخرين .

وشرب هونيكور نخب الصداقة الالمانية الديمقراطية مع الاتحاد السوفياتي ونخب وحدة القوى المحبة للسلام والمناضلة ضد العدوان الامبريالية . وبعد ذلك رفع كأسه عالياً وقال : لتشرب نخب صديقنا العزيز المناضل ياسر عرفات .

بعد انتهاء حفل الاستقبال قام الأخ أبو عمار والرئيس سيكوتوري بتكريم ابطال الجيش السوفياتي ، وقد ساروا معاً على وقع « نحن حزينين » عزفته فرقة موسيقية على طول الطريق حتى المقبرة التي وارث خمسة الاف من الجنود الضباط والجنرالات السوفييت .

بعد ذلك عقد الأخ أبو عمار والرئيس سيكوتوري لقاء خاصاً بحضور الوفد الفلسطيني ، وكان قبل ذلك قد استقبل السيد روجيش ثمانفرا سكرتير مجلس السلم العالمي .

وفي صباح الأحد ٧/١٠/١٩٧٩ استقبل الأخ أبو عمار والوفد الفلسطيني في مقر منظمة التحرير الفلسطينية السفراء العرب المعتمدين لدى جمهورية ألمانيا الديمقراطية .

ومن هناك توجه الوفد الى مطار برلين حيث كان في وداعه عند الطائرة الخاصة الرافيق غرونبيرغ . كما كانت الفتيات اللاتي يقفن في انتظار الاخ ابو عمار لمصافحته والوفد المرافق ووداعه ببيقات الزهور .

زيد عبد الطناح

ردود الفعل الاسرائيلية على الثورة الايرانية

اجمعت المصادر الاسرائيلية، في تعليقاتها على انتصار الثورة الايرانية، على ان اسرائيل كانت، بتفجيته، من اكبر البلدان المتضررة، بسبب قضائه على العلاقات الوثيقة التي كانت قائمة بينها وبين نظام الشاه. فعلاقات اسرائيل مع ايران كانت متشعبة ومتنوعة منذ قيامها. وكما سمع الملك كورش في حينه لمرزا باعادة مهجري بابل الى القدس، سمح الشاه ليهود العراق بعبور بلده الى اسرائيل، بعد حرب ١٩٤٨ بوقت قصير. ومع الايام اقيمت علاقات دبلوماسية غير رسمية بين الدولتين، ولكن بعد سقوط الشاه، اصبح بالامكان القول بان سفيرا اسرائيليا كان موجودا في طهران بصورة دائمة، وان هيئة تمثيل دبلوماسية ايرانية كانت موجودة في تل ابيب. اما اخر سفير اسرائيلي في طهران، فكان يوسف هارملين الذي يعمل حاليا سفيرا لاسرائيل في جنوب افريقيا. وقد سبقه في هذا المنصب الدكتور يوسف دورثييل ومثري عزرا وأوري لوبراني — وكل من هؤلاء ساهم قدر طاقته في توطيد العلاقات الخاصة بهذه الدولة المهمة، في اطار سياسة ذات طموحات بعيدة، وضعها دافيد بن غوريون، ارتكزت على شق حلقة المصراع العربي، عن طريق إقامة علاقات مع الدول المحيطة به: ايران وتركيا واثيوبيا (شموئيل سيغن، معاريف، ٧٩/٩/٢٦).

إلا ان هذه العلاقات الوثيقة لم تساعد الشاه، كما يبدو، في قمع الثورة ضده؛ إذ ان اسرائيل حذرت الولايات المتحدة في عدم مساعدته، مدعية ان وقت قيامه بعمل مجد قد فات. لذلك رفض الحكومة مناهيم بيغن ووزير الخارجية موشى دايان، طلبا تقدم به الشاه الى اسرائيل، قبل سقوطه بأسابيع، يدعوه فيه شخصية سياسية اسرائيلية لزيارته في طهران، لكي يتشاور معها بشأن الوضع، (أوري دان، معاريف ٧٩/٢/٢٦). وقد جاء رفض بيغن رغم ان دايان اسرع، قبل سنة من هذا التاريخ، الى طهران، لكي يتحدث مع الشاه في نتائج زيارة السادات الى القدس. وقد استقبل دايان هناك بحفاوة بالغة. وكان الموضوع الرئيسي في المحادثات بين الطرفين هو المفاوضات بين اسرائيل ومصر، وانعكاساتها على دول عربية اخرى، لاسيما الاردن. كما تركز البحث، في هذا اللقاء، على كيفية ضم الملك حسين الى المفاوضات.

لقد اعتبر الشاه نفسه ليعا على الملك حسين والمتحدث باسمه امام الاسرائيليين. وفي اكثر من مرة، عندما كان يشعر بضعف مركز حسين، لم يتوان عن حث اسرائيل على تقديم بعض التنازلات له... لقد ذهب الشاه القوي ويقي الحسين الضعيف (المصدر نفسه). اما النقط الذي كان الشاه يبتهاجر بالاقول بصورة دائمة في المقابلات والتصريحات المختلفة، بقطعه عن اسرائيل، إذا لم تتسحب من المناطق المحتلة... فقد قطعه الخميني الذي قضى أيضا على جميع العلاقات المتشعبة والثمرة التي تطورت خلال الـ٢٥ سنة الاخيرة. لقد تمثل طلب الشاه من اسرائيل طوال هذه المدة في ان تبقى العلاقات بين طهران والقدس سرية تماما، لانه بصفتة زعيما لدولة اسلامية كإيران، لا يمكن ان يسمح لنفسه، لاسباب داخلية وخارجية، بإقامة علاقات علنية وصريحة مع اسرائيل. وتحت غطاء السرية تحولت ايران الشاهه الى حليفة لاسرائيل بصورة عملية في مواضيع حيوية كثيرة... تطورت الى مصالح مشتركة، ابتداء من تزويد النفط وحتى تحلية مياه البحر (المصدر نفسه).

وبالنسبة للعلاقات العسكرية فإن المدعو يعقوب نمرودي كان عُنُقيا للمحق العسكري الاسرائيلي في طهران، وقد كان معروفا لدى وزارة الخارجية الايرانية كممثل للجيش الاسرائيلي ووزارة الدفاع هناك. واستطاع اعزاز

تقدم كبير في العلاقات الخاصة بين البلدين بسبب علاقته الاجتماعية مع كبار الشخصيات في الجيش وخارجيه،
(المصدر نفسه).

وتتحدث المصادر الاسرائيلية حول دوافع الشاه الهادفة الى تقوية العلاقات مع اسرائيل، اضافة الى كونه حليفا للغرب، بقولها: «إن الشاه الذي خاف من اقلية الدول العربية المعادية لاسرائيل، قد ادعشته قوتها العسكرية. لقد كانت خشيته وكرهه للناصرة، لا تقلان عن خشيته وكرهه للخمينية في اواخر عهده، اما الولايات المتحدة فقد رحبت بانقضاء وتعزيز هذه العلاقات في اواخر الخمسينات - ومقابل الخطر السوفياتي - بين اسرائيل وايران وتركيا واثيوبيا. ان البيت الكبير في ايران (الذي سبلم الى منظمة التحرير) كان سفارة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، مع ملحقين اقتصاديين وغيرهم» (المصدر نفسه).

لذلك كان سقوط الشاه في ايران بمثابة صدمة قوية لاسرائيل، عبر عنها زعيم حزب العمل شمعون بيرس بقوله: ان وانتصار الخميني كان من التطورات الاكثر خطورة، والاكثر اداء، التي عرفتها اسرائيل منذ زمن بعيد (دافار، ٧٩/٢/٥). كذلك اعلن رئيس الحكومة الاسرائيلية السابق اسحاق رابين ان «التغير في ايران هو ضرورة قوية جداً مضيها انه في هذه المرحلة ليست هناك امكانية لاقامة «خط دفاع» غربي يرتكز على اسرائيل والسعودية ومصر» (دافار، ٧٩/٢/٣).

ومع التباكي على فقدان العلاقات الاستراتيجية مع ايران، لم ينس الاسرائيليون التشهير والذم بزعماء الثورة الايرانية، والخميني خاصة، الذي وصفوه «بالرجل المتعصب الذي يريد إلغاء الدستور ونظام الحكم القائم في يده واقامة الجمهورية الاسلامية» (الفتاحية معاريف، ٧٩/٢/١). ورغم هذا القول فان اسرائيل لم تخف دهشتها امام نجاح الثورة بقيادة الخميني، إذ وكيف حدث هذا الأمر؟ ان رجل دين مسن، على بعد آلاف الأميال من بلده، ودون ان يتوكل لديه شيء من اجهزة الحكم، او حتى مدافع واحد، ولقط بقوة «عمسات» كانت تسجل على «كسيتات»، استطاع اسقاط شاه عظيم وحاكم مطلق، حكم شعبه بقوة احد الجيوش الاكثر تجهيزاً، وبشبكات متشعبة من اجهزة المخابرات والتجسس، وبقوة آلة حكم مركزية عديمة الرافة.

نقول هذا الكلام بعد حدوثه، إذ قبل ذلك لم يعتقد ابدأ ان بإمكانه ان يحدث الا ان ثورة كهذه، شبيهة بتلك التي نفذها فلاحون وعمال ورجال دين في الاجيال الغابرة، لم يعد حدوثها ممكناً في دولة حديثة. حتى ان الخبراء لا زالوا غير مدركين لسار توجه هذه الثورة حتى الآن، فكلم بالحري نحن عامة الشعب. ولكن من الواضح ان ما حدث يمثل انهزاما ساحقاً لحقوق الانسان، بكل معانيها كما وردت في ميثاق الأمم المتحدة الذي وقع في القرن العشرين، على أساس التفكير الاجتماعي الغربي، الذي يتمثل في الديمقراطية البريطانية وما شابهها. لقد قضى على هذا الأمر قضاء ميروا. (جانوخ بأرطون، معاريف، ٧٩/٢/١٦).

ورغم انتصار الثورة فان اسرائيل ما زالت تشك في قدرة قيادتها على التغلب على المشاكل الداخلية، معتبرة ان ما تم حتى الآن ربما لن يكون نهاية المطاف، إذ بعد ما سيطرت على إيران العقيدة الدينية العمياء.. وتندد بالغرب وبخضارته والفاشدة، فقد تسقط هذه الثمرة في يد النج المرابط في الشمال على امتداد ألفي كيلومتر من الحدود المشتركة، (المصدر نفسه). ويلاحظ ان الاسرائيليين ما زالوا مهتمين جداً بما يجري في ايران، إذ رغم وان انتصار الثورة هناك، ليس سوى انتصاراً للديكتاتورية، - على حد تعبيرهم - واننا لا نستطيع بعدما حدث ان نخفيء رأسمنا في الزمائل. فالرمال في تلك المناطق مشبعة بالنفط كما هو معروف. (المصدر نفسه).

واهم ما تؤكد عليه المصادر الاسرائيلية انها لم تفاجأ ابدأ بما حدث في ايران، فقد اعلن السفير الاسرائيلي في طهران في اواخر عهد الشاه، والمدعو يوسف لويراني، «انه منذ مطلع نيسان ١٩٧٨ كان تقديره ان الازمة الداخلية في ايران هي اكثر تعقيداً مما يمكن توقعه. وفي تقرير حول تقييمه للوضع، ارسل من قبله الى وزارة الخارجية في القدس في بداية الصيف ميجوزاً من قبله. وقد عبر لويراني عن رايه بأنه يتوقع تغييراً في نظام الحكم في ايران. وقد بحث هذا التقييم مع حكومة الولايات المتحدة، وكان رايها مخالفاً، وتمثل في ان: «بإمكان الشاه التغلب على ما يحدث» (من حديث مع لويراني في معاريف ٧٩/٩/٢١). ويتحدث حول دعم المواجهة باحداث ايران البروفيسور حايم شيكيد، احد الباحثين في معهد شيلداح للدراسات الشرقية ومدير كلية العلوم الاجتماعية في جامعة تل ابيب، فيقول

ان ثورة إيران لم تفلح ابدا لان هناك موجة اسلامية متطرفة ستعم دول الشرق الاوسط الواحدة تلو الاخرى (من مقابلة مع بروفيسور حاييم شيك، بديموت احرزوت، ٧٩/٢/١٦). ويصف شيك الزعيم القميني بقوله: «ان اهم امرين بالنسبة له هو مركزه والجماعة التي يمثلها، فهو يتمتع بمركز كبير بين رجال الدين الشيعة في ايران وذو شخصية كيريمانية، تتجاوز حدود المعتدل. انه يشع بالسلطة والقوة ومركزه كرجل دين يكسبه مركزا قويا جدا في ايران، البلد الشيعي الذي يتمتع فيه رجال الدين بمركز خاص». ويضيف شيك كثيرا من الكتاب الاسرائيليين الذين اعربو عن ارائهم تجاه ما حدث ويحدث في ايران، ان «سيطرة القميني على الحكم ليست نهاية المطاف، لانه مضطر للبرهنة على قدرته في ادارة الدولة بشكل منظم.. وهذا هو الامتحان الاساسي الذي يواجهه» (المصدر نفسه).

وقبل ان ننقل الى الانعكاسات التي احدثتها الثورة الايرانية بالنسبة لاسرائيل سياسيا واقتصاديا، لا بد ان نقول ان ردود الفعل الاسرائيلية الاولى على انتصار الثورة، قد تمتثلت في تساؤلات عدة ربما عكست حالة الارتباك ازاء ما يحدث، فهل ستصبح ايران طريق ليبيا الثورية، ونتجه نحو التعاون مع الاتحاد السوفييتي، رغم الاختلاف الجغرافي الكبير بينها وبين ليبيا؟ هل تعلن عن حيادها وتسير في طريق دول العالم الثالث؟ هل ستصبح الحذر في إحداث تغييرات دراماتيكية في مجال سياستها الخارجية، اخذة بعين الاعتبار ان مفاهيم قيادة الجيش لديها ليست فقط مبنية على الاسباب الغربية، وانما جيشها مزود ايضا بكامله بالاسلحة الامريكية؟ وكيف ستكون سياستها النفطية.. إن انتصار الثورة الاسلامية في ايران هو صدمة عنيفة للغرب كله وتطلعاته - واسرائيل شريكة في ذلك ايضا - بشأن حدوث استقرار في الشرق الاوسط، (من الفتاحة معارف، ٧٩/٢/١٢).

كيف تأثرت اسرائيل بانتصار الثورة الايرانية

لقد ترتب على قطع العلاقات بين اسرائيل وايران، بعد انتصار الثورة نتائج كثيرة في مختلف الحقول - سياسية وعسكرية واقتصاديا - الحق اضرارا كبيرة باسرائيل.

اقتصاديا، خسرت اسرائيل مصدرا اساسيا لتزويدها بالنفط، وقد كشف النائب يوسف تامير، احد اعضاء لجنة الخارجية والامن في الكنيست ان «اسرائيل كانت تحصل على ثلثي النفط الذي تستهلكه من ايران، وحتى اذا حصلت على مصادر بديلة فانها ستكون غالية» (معارف، ٧٩/٢/٨). وازداد تامير ان استخدام احتياطي النفط في اسرائيل، ثم الالتزام الامريكي بتزويدها بالنفط وقت الحاجة، امران يتعلقان فقط بحالة الطوارئ، لذلك ينبغي عدم السكوت على مسألة انقطاع النفط من ايران، وعلى اي حال، فان اسرائيل قد حصلت على نفط سيناء خلال المفاوضات المتعلقة بتنفيذ اتفاقية السلام المنفردة بينها وبين مصر، الامر الذي خفف كثيرا من الاثر السلبي الذي تركه انقطاع النفط من ايران.

إضافة الى انقطاع النفط، لحقت باسرائيل اضرار مادية كبيرة بعد انقطاع العلاقات التجارية بينها وبين ايران. وقد اتضح ان الصادرات الاسرائيلية لايران بلغت في السنة الماضية فقط، اي ١٩٧٨، ٢٢٥ مليون دولار. وتركزت الصادرات الاساسية الى ايران في فرعي البناء والزراعة، كذلك تم تصدير منتجات مختلفة من الالبسة والمعدات الزراعية والمواد الكيماوية، إضافة الى ذلك فقد كانت شركة الطيران الاسرائيلية السعال، تقوم برحلات يومية في خط قل ابيب - طهران، وهو الخط الذي كان يعتبر من اكثر الخطوط المربحة للشركة (هارتس، ٧٩/٢/٢٣). وعلم ان بعض المصانع الاسرائيلية بدأت تغلق ابوابها نتيجة توقف صادراتها الى ايران، وعدم تمكنها من ايجاد سوق بديل، ومنها مصنع الالبسة «بيرستون» في العفولة الذي يستخدم ١٢٠ عاملا، والذي كان يصدر الى ايران الخيوط والاقمشة (معارف، ٧٩/٣/١).

كذلك خسرت اسرائيل، من جراء قطع العلاقات مع ايران، على صعيد التعاون العسكري الذي كان قائما بين المؤسستين العسكريتين الاسرائيلية والايرانية، خاصة في حقل التجسس والتدريب. واسرائيل لا تنكر علاقاتها به، السامك ، وقد « تكيفت جدا مع جو الفساد الشخصي الذي ميز اوساطا معينة في القيادة الايرانية في عهد الشاه » (من الفتاحة دافار ، ٧٩/٢/٢٠) .
على اي حال لا يمكن فصل النتائج والانعكاسات العسكرية لثورة ايران في المنطقة ولي اسرائيل بوجه خاص،

عن النتائج أو الانعكاسات في المجال السياسي. فانتصار الثورة الإيرانية قد اخل بميزان القوى - العسكري والسياسي - الذي كان في عهد الشاه قائماً لمصلحة الغرب، خصوصاً الولايات المتحدة، والذي كان مبنياً في الأساس على العلاقات بين إسرائيل وإيران. ومن هنا تركزت إسرائيل في تحليلاتها للوضع بعد سقوط الشاه: على أمور عديدة أهمها: كيف يمكنها أن تشغل الفراغ الذي حدث بعد انتصار الثورة الإيرانية لمصلحتها، سواء فيما يتعلق بعلاقاتها مع الولايات المتحدة، أو بالمفاوضات السياسية التي كانت دائرة بينها وبين مصر برعاية أمريكية لتطبيق اتفاقات كامب ديفيد، أو بتنمية قوتها العسكرية ومحاولة أخذ دور الشاه في المنطقة؟ ثم ما هو الدرس الذي يجب عليهما أن تتعلمه من ثورة إيران، وكيف تنظر إلى مستقبل هذه الثورة خاصة فيما يتعلق بالوضع الداخلي في هذا البلد؟

والوقوف على رأي إسرائيل في هذه المواضيع نذكر أولاً ما أورده البروفيسور الإسرائيلي عمانوئيل سيفان حول التقييم السياسي الذي أجرته الإدارة الأمريكية بعد انتصار الثورة الإيرانية، والدور الذي رسم لإسرائيل في النظام العسكري السياسي الجديد الذي سيقوم في المنطقة نتيجة الوضع الجديد. وحسب قول سيفان، فإن مستقبل الوضع في السعودية ومصر والخوف من تأثيرهما بأحداث إيران، محور البحث في الإدارة الأمريكية، الذي تلخص أخيراً في البندين التاليين: أولاً، تقوية نظام الحكم في السعودية عسكرياً، ثانياً، محاولة تثبيت الوضع في الشرق الأوسط، وبخاصة إيجاد حل للنزاع الإسرائيلي - العربي، خوفاً من أن يشكل ذلك خطراً على السعودية. وبالنسبة للعوامل السائدة في مصر، فقد أدرك الجميع أنها لا تختلف كثيراً عما ساد في إيران: جمود اقتصادي وزيادة كبيرة في عدد السكان، بروز طبقة جديدة من الاثنياء، طموحات متزايدة لم تتحقق بعد لدى الطبقة المتوسطة بعد حرب أكتوبر، كإيجاد أماكن عمل وأحراز تقدم في مستوى معيشة خريجي الجامعات، وتوفير مساكن للجماهير التي تتدفق من الريف إلى المدن وما شابه ذلك... (إضافة إلى ذلك) تجدد الانبعاث الإسلامي على خلفية الأزمة في القيم وفشل الأيديولوجيات القومية والأهداف المادية، الأمر الذي تمثل بوجه خاص في سيطرة الإخوان المسلمين على التنظيمات الطلابية والضغط من أجل تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في قضايا الأحوال الشخصية، (معاريف، ١٩/٢/٧٩).

ويضيف سيفان قائلاً إن الحل المطلوب حسب رأي «مجموعة السياسة الخارجية» الأمريكية، من وجهة مشروع مارشال لانقاذ الاقتصاد (المصري)، بحيث يدمج ما بين استثمارات في القاعدة (الاقتصادية) وإحداث تحسين في وضع المنتجات الاستهلاكية، ثم توقيع اتفاق سلام مع إسرائيل.

وباختصار تمخض التقييم السياسي الجديد (في الولايات المتحدة) عن طرح مسألتين أساسيتين: أولاً، ازدياد أهمية السعودية بعد سقوط العاصم الفقري، إيران ثانياً، وجوب الإسراع في تسوية النزاع الإسرائيلي - العربي، وقبل كل شيء الإسرائيلي - المصري، يليه بعد ذلك الموضوع الفلسطيني، وفي المستقبل غير البعيد السوري أيضاً (المصدر نفسه).

وما هو الدور الذي رسم لإسرائيل في عملية التقييم هذه؟ يقول الكاتب إن مركز إسرائيل لم يبق نتيجة الوضع الجديد في إيران، فهي شبيهة بمصر في ضعفها الاقتصادي، وقد ازداد تعلقها بالولايات المتحدة بعد توافق وضع النفط الإيراني لها. أما قوتها الأساسية فتكمن في ارتباطها مع قطاعات هامة في الرأي العام في الولايات المتحدة، وفي قدرتها على الإزعاج، وعلى إحداث ضرر بسبب قوتها العسكرية ونزاعها مع العرب. وبيما إن الحديث عن تدخل عسكري في الشرق الأوسط لم يعد جدياً بعد حرب فيتنام (إلا في الحالات الاستثنائية جداً والتي تبدو غير معقولة) فإن وزن (إسرائيل) كقاعدة عسكرية لم يرتفع... أما قوة الجذب في الديمقراطية الإسرائيلية فقد انخفضت كثيراً بسبب سيطرتها على الضفة الغربية وقطاع غزة... (المصدر نفسه).

وقد جاءت زيارة وزير الدفاع الأمريكي هارولد براون إلى بعض دول المنطقة، ومنها مصر وإسرائيل والسعودية، في الأسبوع الأول من شهر شباط الماضي، لتسلط الضوء على خلفية هذا التقييم الجديد للسياسة الأمريكية بعد انتصار ثورة إيران.

فعل الرغم من أن موضوع التسليح كان الطاغى على المحادثات التي أجراها براون في المنطقة، خاصة في إسرائيل ومصر، فإن الجانب السياسي - الاستراتيجي لم يغب عنها. وحسب ما ذكره أحد المرسلين الإسرائيليين في

واشنطن فإن براون قد طرح خلال زيارته الى الشرق الاوسط فكرة اقامة حلف غير رسمي يضم كلا من مصر والسعودية والاردن والسودان ودول الخليج واسرائيل. وإلى جانب ذلك فقد جاء وزير الدفاع الاميركي الى المنطقة لكي يتباحث مع ذوي الشأن في الثمن المطلوب الذي ستدفعه بلاده (من اسلحة واموال) من اجل انجاح المفاوضات بين مصر واسرائيل وعقد معاهدة السلام بينهما، والسعي للحصول على تأييد السعودية للاتفاق وانخراط الاردن في المفاوضات (مراسل صحيفة عل همشمار في واشنطن، زئيف بليتر - عل همشمار، ٧٨/٢/٤)

وخلال زيارة براون الى المنطقة سارعت كل من مصر واسرائيل الى الاعراب عن رغبتها واستعدادهما للحلول مكان ايران، من الناحية العسكرية الاستراتيجية، وعلم ان وزير الدفاع الاميركي يعيل الى ترشيح مصر لهذه المهمة. إلا ان اسناد مهمة شرطي المنطقة الى مصر لم تلق اسرائيل ابداء، بسبب ادراكها ان مكانتها محفوظة في (السياسة) الاستراتيجية العالمية. فعندما يتطلع (الاسرائيليون) الى ما حصلوا عليه في الولايات المتحدة، يدركون ان هؤلاء لا يتجاهلونهم ابدًا. الا انه ينبغي عدم تجاهل الحقيقة المظلمة وهي انه، من الناحية الاستراتيجية الاقليمية، فان مصر هي ذات اهمية اكبر بالنسبة للمصالح الاميركية، والولايات المتحدة تنظر الى الامر من هذا المنطلق. واذا كانت هناك رغبة في واشنطن لتحويل مصر الى الطيف الاميركي الاول في الشرق الاوسط - فان هذا ممكن فقط بشرط تحقيق سلام بين القاهرة والقدس. والسادات يعرف ذلك، ويعرف ايضا ان الثمن الذي يتوجب عليه دفعه مقابل تحقيق هدفه في ان يصبح الحليف الاول للولايات المتحدة، هو السلام مع اسرائيل، (ارنيثيل غنغاي، يديعوت آخرونوت، ٧٩/٢/٩).

باختصار، ادركت اسرائيل بعد انتصار الثورة في ايران، ثلاثة امور اساسية: اولاً، ان الولايات المتحدة باتت مهتمة جداً في تحقيق تقدم في المفاوضات السياسية بين مصر واسرائيل، وبالتالي توقيع معاهدة سلام بينهما، وذلك لتعزيز مراقبها في مصر والسعودية (حسب رأيها). ثانياً، ان مصر ايضا تعمل جادة للوصول الى معاهدة سلام مع اسرائيل، «اذ ان عدم الهدوء في الجامعات وحالة الفقر المتقع في البلد، يسهلان دخول الخمينية بكامل قوتها حتى دون الحصول على إذن بالدخول» (بيوثيل ماركوس - هاريس، ٧٩/٢/١٢). وكان تقدير الاسرائيليين ان توقيع السادات على السلام سيحوطه الى بطل العالم العربي لا الى خائن. ولكي يحقق ذلك، عليه ان يهتم بتنفيذ الحكم الذاتي - اي وطن قومي - للفلسطينيين. اذ خلافاً لذلك فان الخمينية ستجر الفلسطينيين، وتؤدي الى زعزعة الوضع في العالم العربي كله - في الكويت والسعودية وباقي الدول العربية التي يعمل فيها فلسطينيون، (المصدر نفسه) .

اما المسألة الثالثة التي ادركتها اسرائيل فهي ان باستطاعتها - اذا ما تبعت خط التطرف في المفاوضات السياسية الدائرة - تحقيق تنازلات سياسية هامة من جانب مصر، الامر الذي تحقق بصورة جلية وواضحة في معاهدة السلام بين البلدين. وفي هذا الشأن تفيد المصادر الاسرائيلية ان ظل الخميني، كان يفرغ على المفاوضات النهائية التي سيقم توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل، خاصة اثناء زيارة الرئيس كارتر الى كل منهما، قبيل توقيع المعاهدة (المصدر نفسه).

كذلك ادركت اسرائيل ان باستطاعتها استغلال ضعف السياسة الاميركية بعد سقوط النجم، لابتزاز الاموال والاسلحة الحديثة، خاصة وان السنة المقبلة، هي سنة انتخابات في الولايات المتحدة. وفي هذا السياق تفيد المصادر الاسرائيلية، ان ردة فعل الوزير براون على طلب اسرائيل المتعل في الحصول على اسلحة بقيمة ٧,٥ مليار دولار خلال ٥ سنوات، والاسراع في تسليم طائرات ف - ١٦ الى سلاح الجو الاسرائيلي، انما تدل على ان لهم دور اسرائيل في الشرق الاوسط انما يطبق نظرياً وعملياً (ارنيثيل غنغاي - يديعوت آخرونوت، ٧٩/٢/٢٥).

الا ان دور اسرائيل في الشرق الاوسط، لا يتعاضد مع دور ايران في عهد الشاه بسبب القبول المفروضة على استخدام قوتها العسكرية من جانب الولايات المتحدة. «لهي تستطيع استخدام هذه القوة للحفاظ على امنها ولتدخل من الخارج. ويمكن استخدامها ايضا في حال مواجهة شاملة بين الغرب والشرق في المنطقة. الا انه لا يمكن استخدام هذه القوة في عمليات صغيرة نسبياً، الهدف منها منع التامر في دولة هامة من الناحية الاقتصادية او الاستراتيجية في الشرق الاوسط، او منع غزو شامل من جانب احدى الدول المتطرفة لمناطق هذه الدولة. وهذه الحالة

نتيجة عن وضع إسرائيل الخاص في المنطقة وواضح ان هذه الفبيد لا تسري على مصر (المصدر نفسه). على أي حال فإن الولايات المتحدة ما دامت تجد حاليًا من يلعب دور الشرطي بين الدول العربية نفسها، فلماذا تلجأ إلى إسرائيل، لفتير بذلك مشاكل مع بعض الانظمة العربية الموالية لها، والتي لا زالت تعتبر إسرائيل عدوة.

ويتعامل موقف إسرائيل حتى الآن في رفض تسليح مصر والسعودية بكميات ضخمة من الأسلحة الأمريكية الحديثة، ويبدو ان هذا الموقف يتطابق نوعًا ما مع الموقف الأمريكي المتردد حيال تزويد هذين البلدين بالأسلحة الحديثة، خوفًا من تكرار تجربة إيران، خصوصًا وأن الوضع الداخلي في مصر عائم جدًا حسب ما تذكره المصادر الإسرائيلية والأمريكية. وقد علم ان السادات طلب تزويده بنحو ٢٠٠ طائرة حربية من نوع ف - ١٦، ومئات الدبابت والصواريخ التكتيكية للمدى القصير، ومدافع ومئات الآليات المدرعة. ولا أنه يبدو ان الأمريكيين تعلموا شيئًا من أحداث إيران وليسوا متحمسين جدًا للاستجابة لطلبات مصر الجبال فيها. ومع ان مصر ستحصل على مزيد من السلاح الأمريكي، فإن الكميات التي ستحصل عليها من هذا السلاح تقل كثيرًا عن الكميات التي طلبتها منه (المصدر نفسه).

يمكن القول إن التأثير الذي أحدثته ثورة إيران في المنطقة، كان حازمًا ورئيسيًا في المفاوضات التي سبقت توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وذلك من أجل ملء الفراغ الذي تركه سقوط الشاه، بالنسبة للسياسة الأمريكية. وبالرغم من ان إسرائيل قد خسرت العلاقات الاستراتيجية مع إيران، إلا أنها حققت أحد الأهداف الرئيسية التي كانت تركز عليها هذه العلاقات، وهو شق الحصار العربي، بواسطة معاهدة سلام منفردة بينها وبين النظام المصري. وربما كان سقوط الشاه حازمًا ورئيسيًا - كما ذكرنا - لتحقيق هذه المعاهدة.

التفوق الإسرائيلي من علاقات إيران بالحرب

رغم هذا المكسب الإسرائيلي، فإن إسرائيل لم تهدأ بعد. ويستبقى نتائج الثورة الإيرانية تطلقها إلى المدى البعيد، ويبدو أن أول الأمور التي تلتها هي علاقات إيران بالثورة الفلسطينية. ويجري تركيز المصادر الإسرائيلية في هذا الشأن، على «التقصير الذي حصل من قبل المخابرات الإسرائيلية، بحيث أنه لم يكن لدى إسرائيل تقييم صحيح حول أكثر الأمور المتعلقة بها، ألا وهو مدى تدخل م. ت. ف. في حركة الخميني». فإسرائيل لم تدرك تمامًا - حسب قول هذه المصادر - مدى عمق تغلغل م. ت. ف. في صفوف المعارضة المقترفة، ويبدو أن العلاقات بينهما بدأت واستمرت زمنًا طويلًا قبل ان تتبين إسرائيل مدى أهميتها (الياهو سلفتر، هارتس، ٧٩/٢/٢٢).

وتزعم المصادر الإسرائيلية ان تأكيد تماثل الخميني مع م. ت. ف. كجزء من الثورة الإسلامية العالية، يبرز بالطبع الكذب في حديث م. ت. ف. حول دولة فلسطينية علمانية. ولمن أين جاءت هذه الكراهية العمياء لإسرائيل التي برزت في الشارح الإيراني؟ وكيف حصلت م. ت. ف. على هذا المركز المرموق جدًا في نظر رجال الخميني؟... هنالك مصدران للعداء المتطرف تجاه إسرائيل، أولهما التعصب الإسلامي، وثانيهما دخول م. ت. ف. إلى بيت الخميني منذ بداية المرحلة الجديدة لبروزه (المصدر نفسه).

كذلك تخشى إسرائيل من ان تؤدي العلاقات بين م. ت. ف. وإيران إلى قيام هذه بإرسال قوات لها إلى الجبهة الشرقية. وقد كان هذا الأمر أحد التقييمات الهامة التي أعلنها «مصدر اعني رفيع» في إسرائيل أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، بعد انتصار الثورة الإيرانية بوقت قصير (دافار، ٧٩/٢/١٥).

لذلك فإسرائيل تبارك حالة عدم الاستقرار السائدة حاليًا في إيران، خاصة فيما يتعلق بالصراع العسكري الدائر بين قوات الثورة وبين الأقليات المتعددة، وبخاصة الأكراد. فهناك ٢-٣ مليون كردي، ٥٠٠ ألف تركماني، و٧ ملايين أذربيجاني ينتمون جميعًا للمذهب السني، ولا يتماثلون بشكل واضح مع إيران الفارسية الإسلامية. وبسبب ذلك اضطرت حكومة مهدي بازرگان إلى منح حكم ذاتي صوري، تقائي محدود للأكراد، وهي تواجه الآن مطالب التركمانيين للحصول على الحكم الذاتي أيضًا. فأخوتهم في الطرف الأخر من الحدود السوفياتية يعيشون اليوم في جمهورية خاصة بهم... ويتنغي عدم تجاهل الإشاعات السائدة في إيران اليوم والتي تقول بمساعدة هؤلاء للتركمانيين الإيرانيين، الذين يناضلون اليوم للحصول على حقوقهم الوطنية، ضد الجيش الإيراني الإسلامي، مطالبين بالحكم الذاتي... كذلك فإن العرب في منطقة خوزستان الغنية بالنفط يطرحون مطالب مماثلة أيضًا...

ومن هذه الناحية فليس هنالك ثمة فرق بين وجهات نظر الشاه وبين وجهات نظر الخميني ورجاله. وما من شك في أن الخميني ليس فقط رجل دين متعصب، وإنما هو قومي إيراني أيضاً. فمطالب الاثليات للحصول على الحكم الذاتي، لا تتناسب ابداً مع آرائه حول الطابع القومي للجمهورية الإسلامية الإيرانية... وفي ثلثه هذه يمكن القول بصورة جلية وواضحة أن إيران الجديدة ستواجه في المستقبل القريب والبعيد مشاكل كثيرة، تمنعها من المشاركة النشطة في مظاهرة التأييد مع الدول العربية ومع القومية العربية وحتى مع م. ت. ب. (دون إيفل، دافار، ٧٩/٢/٥).

وبالرغم من كل ذلك فإن المصادر الإسرائيلية لا تخفي قلقها إزاء احتمال تأثير ثورة إيران في الخارج. وحسب قول المصدر الأمني الرفيع، أمام لجنة الخارجية والأمن - الذي سبق ذكره - فإن تركيا هي المرشحة الأولى للانتقال للخطر إليها. وإذا لم يبد لها الغرب يد المساعدة، فربما تسقط أمام الموجة الإسلامية المتعصبة. والتقدير هو أن الغرب لن يتدخل في هذا البلد، كما لم يتدخل في إيران (دافار، ٧٩/٢/١٥).

وحسب رأي البروفيسور حاييم شيكيد الباحث في معهد شيلواج، فإن البلدان الأولى المرشحة لأن تتأثر بأحداث إيران هي دول الامارات العربية والملكة العربية السعودية، وذلك بسبب مصادرها النفطية، وكون هذه المنطقة ركناً هاماً في النظام الاستراتيجي الغربي بسبب الطاقة الحيوية جدا التي تزود بها بلدانه الولايات المتحدة وأوروبا واليابان، والتي زادت أهميتها بعد انقطاع النفط الإيراني (بديعوت أحرشوت، ٧٩/٢/١٦).

وعلى أي حال فإن إسرائيل تعلق في هذا الصدد أهمية كبرى على كيفية الرد الأمريكي أو الأوروبي في حال تعرض هذه البلدان أو غيرها لموجة الثورة الإسلامية - على حد تعبير الاسرائيليين - مما يشكل خطراً على امدادات النفط الى الغرب.

حده شاهين

ندوة في صوفيا للتضامن مع فلسطين

عقدت بين السابع والحادى عشر من تشرين الأول، في ضاحية بانكي قرب مدينة صوفيا عاصمة بلغاريا، الندوة الدولية لدعم الصحافيين الفلسطينيين وقضية الشعب الفلسطيني.. وذلك بالتعاون بين اطراف ثلاثة: منظمة الصحافيين العالمية (ioj)، واتحاد الصحافيين البلغار، والاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين. وانتهت الندوة اعمالها بنجاح مساء يوم ١١ تشرين الأول.

وقد حضر الندوة ١٩ وفداً موزعين كالتالي:

- وفدان يمثلان منظمة الصحافيين العالمية واللجنة الاجتماعية في المنظمة.

- وفد يمثل اتحاد الصحافيين العرب.

- سبعة وفود عربية (فلسطين - الجزائر - العراق - سوريا - تونس - البحرين - لبنان).

- سبعة وفود اشتراكية (الاتحاد السوفياتي، تشيكوسلوفاكيا، ألمانيا الديمقراطية، هنغاريا، بولونيا، رومانيا، بلغاريا).

- وفدان يمثلان فنلندا واليونان.

بدأ عمل الندوة بحفل الافتتاح الذي القيت فيه أربع كلمات أساسية: الأولى القاها كارل نوردين سترنغ رئيس منظمة الصحافيين العالمية، والثانية القاها الدكتور هاتز تريفكرون سكرتير المنظمة، والثالثة القاها ايفان نونيف عضو الوفد البلغاري والاحصائي بالحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية، والرابعة كانت كلمة الوفد الفلسطيني القاها ناجي علوش رئيس الوفد.

قدم الوفد الفلسطيني في كلمته استعراضاً تاريخياً لمسار القضية الفلسطينية ، بدءاً من الصدام مع بريطانيا وفرنسا وانتهاء بالصدام مع الامبريالية الاميركية . مؤكداً على حيوية النضال الفلسطيني الدائمة ، واصطدامه الدائم كذلك بالقوى الاستعمارية وبالقوى الرجعية العربية . ومبيناً وبعبارة النضال الفلسطيني المبكر للفارق النوعي بين اليهودية والصهيونية ، وتركيزه على أن معركته هي ضد الصهيونية فقط . وأكدت كلمة الوفد الفلسطيني في ختامها على : منظمة التحرير الفلسطينية كقائد شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، وعلى خطورة اتفاقات كامب ديفيد وضرورة النضال لاحتباطها ، وكذلك النضال لاحتباط مخطط الحكم الذاتي المنبثق عنها ، مع التنبية الى المخطط الذي يجري تنفيذه بواسطة اسرائيل في جنوب لبنان بهدف جر اطراف جديدة الى حلقة كامب ديفيد . انتهت كلمة الوفد الفلسطيني الى التأكيد على نقطتين : ان النضال الفلسطيني هو جزء لا يتجزأ من النضال التحرري العالمي وان هذا الوضع يوجب على الجميع مسؤوليات متبادلة ، وان هذا النضال يستند الى تحالف مع جبهة تقدمية وديمقراطية عريضة اساسها المسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي . وحظيت كلمة الوفد البلغاري التي قدمها ايفان دونيف باهتمام خاص في الندوة بسبب ما تضمنته من تحليل دقيق للحركة الصهيونية وظيبتها . قال دونيف :

ان الصهيونية ، اكبر ضرور العصر ، قد نشأت كتيار رجعي بروجوازي قومي ... ويحاول الصهاينة من خلال نظرياتهم القومية ان يثبتوا بان اليهود ، رغم اختلاف اوطانهم ، فانهم يمثلون (امة يهودية واحدة) داعين (للقتلي الطلبي) بين جميع اليهود ، محاولين ان يهرفوا نضال شفيلتهم عن المعارك الطبقيّة المشتركة للعمال من مختلف القوميات ضد البروجوازية .

... ان الرأسمال الصهيوني الذي يغذي نشاط المنظمات الصهيونية داخل اسرائيل وخارجها انما يمثل اكثر العناصر رجعية وشوفينية وعنوانية . ويقوم هذا الرأسمال بممارسة الضغط على البرجوازية الحاكمة في اكثر العناصر رجعية وشوفينية وعنوانية . ويقوم هذا الرأسمال بممارسة الضغط على البرجوازية الحاكمة في اكثر من بلد رأسمالي ، وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية ، ويخضع للوبي الصهيوني كل من الرئيس الاميركي الحالي (جيمي كارتر) وعدد من رجال الكونغرس .

وتحدث دونيف عن الدعم للقضية الفلسطينية فقال :

إن دعماً للقضية العادلة للشعب الفلسطيني يقوم على نفس الاسس التي انشئت عليها هيئة الامم المتحدة ... وهو ينبع ايضاً من تبني وبلحاح اوسع الشرائع الاجتماعية في العالم عن هذه القضية ... اننا نرفض المبادئ التي يحاول قادة اسرائيل فرضها في العلاقات الدولية ، مبادئ (قم أنت لاجلس أنا) . ان دعاوهم التاريخية والتوراتية باطله .

وقال دونيف :

إن حق الشعوب في تقرير المصير ، وحققها في اقامة دولها المستقلة ، هو احد الحقوق الاساسية المنفق عليها في العلاقات الدولية ... ان صحافتي منظمة الصحافة العالمية يدعمون بصلابة وثبات حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره ، واقامة دولته المستقلة ، وحقه في ان يكون له وطن . الامر الذي يستتبع تلقائياً حق الفلسطينيين المطرودين من عصابات بيغن الارهابية اعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٢ ، بالعودة الى وطنهم .

وقال دونيف :

ان ، الحكم الذاتي ، الذي ابتدعه كارتر والسادات وبيغن للضفة الغربية وقطاع غزة ما هو الا خذعة قذرة ... ان امريكا واسرائيل ومصر يتلاعبون بأقدار الشعب الفلسطيني .

وفي اليوم الثاني (٨ تشرين الاول) ، انقسمت الندوة الى لجنتين سياسية وبنوية ، قرأسهما عضواً الوفد الفلسطيني : خالد ابو خالد وبلال الحسن . ودار داخل كل منهما مناقشات اشتمت بالتفاهم الكامل ، سواء فيما يتعلق بالمواقف السياسية تجاه أزمة الشرق الاوسط ، والسياسة الصهيونية ، واتفاقات كامب ديفيد ، والدعم

الثابت لمنظمة التحرير الفلسطينية ، او فيما يتعلق بالقضايا المهنية التي تتناول وسائل الدعم الاعلامي للقضية الفلسطينية .

وكانت مادة التقريرين الصاعقين عن اللجنتين اساس البيان النهائي الذي صدر عن الندوة ، والذي تلى على الوفود في اليوم التالي ، وقال مواثقة اجماعية ، لم يشذ عنها سوى مندوب رومانيا (كراشون بونيسكو) ، الذي ابلغ رئاسة الندوة انه يتحفظ على البيان ، ولكنه لن يعلن تحفظه وان يطالب بتسجيله في المحاضر الرسمية . ومع ان المندوب الروماني لم يشرح اسباب تحفظه ، الا انه كان من الواضح ان سبب ذلك يعود الى الازدانة الواضحة التي وردت في البيان ضد اتفاقات كامب ديفيد . ومن المعلوم ان رومانيا لعبت دورا كبيرا في ترقيب زيارة انور السادات للقدس المحتلة ، وامتنحت اتفاقيات كامب ديفيد عند اتجازها .

وقد تضمنت البيان النهائي للندوة تأكيدا لدعم النضال الفلسطيني في مواجهة القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية ، وازدانة لاتفاقات كامب ديفيد وما نتج عنها من اتفاق مصري - اسرائيلي ، ومن سمي لغرض ما يسمى بـ « الحكم الذاتي » ، والذي يسمح بانتزاع حق تقرير المصير من الشعب الفلسطيني ، وتثبيت شرعية الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة .

واذان البيان بشدة الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان ، وحيما صمود الجماهير اللبنانية بقيادة الحركة الوطنية اللبنانية ، ومواجهتها للحملات الهائلة الى جرابلس الى حلقة اتفاقات كامب ديفيد . ووجه البيان تحية الى الصحافة اللبنانية التقدمية ، والى شهدائها ، بسبب تصديها لسياسة التوسع الاسرائيلي ، واختطافات القوى الانعزالية الرامية الى تقسيم لبنان .

ووجه البيان تحية تضامن الى المعتقلين السياسيين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية ، والى الصحافيين المصريين المضطهدين داخل مصر .

وناشد البيان كافة المؤسسات الصحافية في العالم ، ان تعمل على دعم الصحافيين الفلسطينيين والشعب الفلسطيني ، في نضاله من اجل تشييت حقوقه المشروعة ، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير ، وانشاء دولته المستقلة ، تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .

وشدد البيان على ان نضال الشعب الفلسطيني يحظى بدعم جميع القوى الديمقراطية والتقدمية في العالم ، وبخاصة دعم الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي ، الحليف الثابت للقوى التقدمية العربية .

وثبت البيان مجموعة من التوصيات ابرزها :

- تشكيل لجنة لتابعة تنفيذ توصيات الندوة .
- عقد ندوات مماثلة في الدول الاشتراكية لدعم القضية الفلسطينية .
- توسيع نطاق عقد اتفاقيات التعاون بين اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين وبين الاتحادات العاملة في (ioj) .

- تنظيم مسابقة عالمية لافضل اعمال صحافية حول القضية الفلسطينية ، ونشر مختارات منها .
- اعتبار يوم ١ كانون الاول ، يوم انطلاق الثورة الفلسطينية ، يوم فلسطين في الصحافة العالمية .

وقد انتهت الندوة اعمالها يوم ١١ تشرين الاول ، بمؤتمرا صحافيا جرى فيه اعلان البيان الختامي ، والرّد على اسئلة الصحافيين التي وجهت الى رئيس الوفد الفلسطيني . كما وجهت الندوة في ختام اعمالها برفقتي شكر وتأييد الى الرئيس البلغاري نيومود جيفكوف ، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات .

بلال الحسن

المقاومة الفلسطينية

السود ، الجنوب ، أمريكا

فيتم ان يزهدوا الرأي العام الاميركي بالمعلومات التي سينقلونها عن الطبيعة . (السفير ، ٩/١٨) . وقال بعد زيارة الوفد لخمير برج البراجنة : اننا لا نبحث في مهمتنا في الحدود والقرارات . ونترك هذا للديبلوماسيين المحترفين . وما نبحث عنه هو وضع حد للألام وانهاء القتل حتى يمكن لعملية السلام ان تستمر . وناشد جميع اطراف النزاع وقف القتال مؤكدا ان الحل الوحيد الذي يراه هو في عيش الاسرائيليين والفلسطينيين بأمان في وطن لكل منهما وسلام مقرون بالعمل . ومقترحا ان يجمع اطراف النزاع حول مائدة واحدة . ويعملوا سويا لتسوية الصعوبات في جو من عدم العنف وبعيداً عن زعماء الحقوق المدنية الاميركيين بدأوا محادثاتهم مع منظمة التحرير الفلسطينية على أمل ان تفعل الحكومة الاميركية ذلك . (المصدر نفسه ، ٩/١٩) .

واكد رئيس الوفد الهدف ذاته أيضا في التصريح الذي ادى به بعد التقائه برئيس الوزراء اللبناني د . سليم الحص ، حين قال للصفيين : ان هدفنا هو ان تصبح المبادرة التي قمنا بها سياسة للشعب الاميركي وحكومته . وان تعترف وتتصل بمنظمة التحرير . وعن موقف وفده من اتفاقات كامب ديفيد قال : اننا ندعم بداية التقدم الذي حققته اتفاقات كامب ديفيد ، لكنها لا تستطيع ايجاد الحل لازمة الشرق الاوسط ، لانها لا تشمل معطي الشعب الفلسطيني ، مشددا على انه يجب توسيع كامب

□ استضافت منظمة التحرير الفلسطينية وفدين يمثلان القوى السوداء في الولايات المتحدة الاميركية . الوفد الاول ، الذي وصل الى بيروت في ١٧/٩/١٩٧٩ ، هو وفد مؤتمر الزعامة المسيحية في الجنوب . ورئيسه رئيس المؤتمر نفسه القس جوزيف لاوري . وقد ضم ١٧ عضوا بينهم وولتر مونتروي عضو مجلس الشيوخ عن ولاية كولومبيا . واعدت المنظمة للوفد برنامجا شمل عدة لقاءات مع الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية وآخرين من اعضاء القيادة ، وزيارات لمواقع لعمل والانتاج الفلسطيني وللمخيمات والاماكن التي تعرضت للقصف الاسرائيلي في الجنوب اللبناني . وقابل الوفد ، اثناء وجوده في لبنان ، رئيس الجمهورية الاستاذ الياس سركيس ورئيس الوزراء الدكتور سليم الحص . وعددا من الوزراء والشخصيات الرسمية اللبنانية ، كما عقد لقاءات مع قادة الحركة الوطنية اللبنانية ومجلسها السياسي المركزي ولقاءا مع الشيخ بيار الجميل رئيس حزب الكتائب .

واوضح رئيس الوفد منذ وصل مطار بيروت ان زيارتهم تتم بدعوة من ياسر عرفات ويتوجب من الحكومة اللبنانية ، وانهم يريدون ان يطلعوا على نتائج القصف الاسرائيلي القديميري لقوى الجنوب اللبناني ، ويطلعوا على الوضع فيه عن كثب . وفي

الشرق الاوسط . وبين انه وجه دعوة لعرفات لزيارة الولايات المتحدة والقاء كلمة في حلقة من عشر حلقات بحث حول الشرق الاوسط ينوي مؤتمريهم ان يعقدها . واعلان ان مظلته ستسعى للالتقاء بالرئيس الامريكى كارتر ووزير خارجيته سايروس فانس وبالامين العام للامم المتحدة كويت فالدهايم لاطلاعه على نتائج الزيارة ، واعداء بانة سيقدم تقريراً بهذا الخصوص الى مجلس النواب الامريكى . وادان لاوري استخدام اسرائيل للاسلحة الامريكية ضد اهداف مدنية ، اذ ان هذا كان واضحاً وقد لاحظته الوفد بغضب (السفير ، ٩/٢٢) .

الوفد الثاني الذي استضافته المنظمة ، هو الذي رئسه القس جيسى جاكسون عضو مجلس النواب الامريكى ورئيس الكنيسة المعمدانية للامريكيين السود . وهذا الوفد ، خلافاً لسابقه ، ابتداءً جولته في الشرق الاوسط ، بزيارة اسرائيل ، على الرغم من ان رئيس وزرائها وغيره من المسؤولين فيها ، امتنعوا عن استقباله هو الآخر . وزار في اطار الجولة كلا من الاردن وسوريا ومصر والتقى بالمسؤولين فيها . وقد وصل وقبض جاكسون بيروت في ٩/٢٨ ، بعد اسبوع من مغادرة لاوري ووفده . مسبقاً بالضجة التي رافقت زيارته لاسرائيل ولقاءاته مع الفلسطينيين في المناطق المحتلة . وقد اعادت المنظمة ايضاً برنامجا حافلاً للوفد ، اشتمل على الزيارات ذاتها التي قام بها الوفد السابق ، وعلى لقاءات مع ياسر عرفات واللجنة التنفيذية للمنظمة . وقال جاكسون في تصريحاته في اليوم الاول للزيارة : يجب ان تشترك المنظمة في اية تسوية للوصول الى سلام عامل في الشرق الاوسط ، بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . ووصف السياسة الحالية لبلادها بأنها خاطئة عندما تتمسك بمقاطعة الحوار مع المنظمة وتقف ضد حق تقرير المصير للفلسطينيين . مؤكداً الرأي الذي كرره اكثر من مرة من انه ليس من مصلحة امريكا معاداة العرب ، مع كل ما يملكونه من نفط واموال . وتدد بحكومة بلاده التي كانت مهتمة حتى الان كثيراً بالامن الاسرائيلي ، على حد تعبيره ، من غير ان تهتم بشيء يذكر بالعدالة الفلسطينية . وحذر من ان امريكا قريبة جداً ، بشكل خطير ، من العودة الى حرب فينتام اخرى . واخص موقفه بقوله : نحن مهتمون بامن اسرائيل ، لكننا ايضاً مهتمون بتحقيق

تجديد كي يضم ممثلي الشعب الفلسطيني كما يقررون هم ، وعندها فقط يشكل كامب ديفيد المبادرة الواقعية لحل ازمة الشرق الاوسط (المصدر نفسه ، ٩/٢٠) . وبعد زيارته للجنوب اتخذت تصريحات لاوري معنى اخر واعلان ان القوى التي يمثلها تزيد وتدعم حقوق الانسان الفلسطيني في العودة وتقرير المصير ، والمحاولات الدولية من اجل مساعدة الشعب الفلسطيني على العودة في سلام الى وطنه . وقال : لقد شاهدنا بام اعيننا خلال الايام الماضية عذاب الشعب الفلسطيني ، وطالبنا الحكومة الامريكية بوقف الغارات على جنوب لبنان ، مصرراً على انه يجب الاعتراف بالمنظمة ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني وبحقها في ان تشارك في عملية السلام (فلسطين الثورة ، ٩/٢٠) .

ثم استقبل الوفد من قبل ياسر عرفات ، ودام لقاءه معه اربع ساعات . وقد ندد رئيس اللجنة التنفيذية بسياسة اسرائيل التوسعية ، وبدعم الولايات المتحدة لهذه السياسة وتساءل : اي سلام هذا الذي يتحدثون عنه ؟ هل هو سلام حرب الابادة التي تشنها اسرائيل علينا يرمياً بالاسلحة الامريكية ؟ ام سلام الولايات المتحدة الذي اعطى اسرائيل هذه السنة ٦٠٠ دبابه وعربة مدرعة ؟ وكيف يمكن ان تصدق انهم يريدون السلام ؟ وأوضح عرفات للوفد ان المنظمة اوقفت عملياتها من الاراضي اللبنانية . وان اسرائيل ، بالرغم من ذلك ، واصلت ضرب جنوب لبنان يومياً ، مشيراً الى ان ذلك هو اعتقارهم بانها الحلقة الاضعف ورغبتهم اخضاع لبنان والحاقه بكامب ديفيد . ورد بالثفي على سؤال صحافي بعد اللقاء حول ما اذا كان الوفد قد عرض على المنظمة ان تعترف باسرائيل مؤكداً : ان شيئاً من هذا القبيل لم يعرض . اما لاوري فقد عبر عن ارتياحه للقاء وقال للصحافيين : ان الصهيونية تسبيل على الاعلام في امريكا ولذلك لم نعرف حقيقة المناسبة التي نراها الان . وتساءل : لماذا هذا التسليح الكثيف لاسرائيل ، لماذا الف - ١٥ ؟ ولماذا يدفع المواطن الامريكى ضرائب بقيمة ٥ مليارات دولار سنوياً ثمناً للسلاح الذي يذبح به الشعب الفلسطيني (فلسطين الثورة ، ٩/٢١) .

ووصف لاوري مهمة وفده ، وهو يفتخر مطار بيروت في ٩/٢١ ، عائداً الى بلاده ، (بعد ان الغى الزيارة المقررة لاسرائيل لان رئيس وزرائها بيغن اعلن انه لن يستقبل الوفد) بانها كانت ناجحة . وقال ان ياسر عرفات وعده بدراسة اقتراح عرضه الوفد يتعلق بالدعوة لوقف العنف من قبل جميع اطراف النزاع في

والقائمة دولته على ارض وطنه ، بقيادة ممثله الشرعي
والوحيد م . ت . ف (السفير ، ١٠/٤) .

وبعد لقائه الثاني مع عرفات في بيروت ومع اللجنة
التنفيذية للمنظمة أعلن جاكسون ، في مؤتمر
صحفي ، انه توصل في محادثاته الى نتائج حول
النقاط التالية : ١ - وقف اطلاق النار ، ٢ -
توضيحات من المنظمة حول ما يقال من انها تريد
رمي اليهود في البحر او ابادتهم والتأكيد على ان هدف
المنظمة هو إقامة دولة مستقلة . وهذا ما دفعه لأن
يبحث الكونغرس على ان يتبع قاعدة وقف المساعدات
العسكرية التي تستخدم لاهداف عنوانية ، ويدعو
الى ان لا تسقط القذائف الاميركية بعد الآن والا
تخزق المطالبات الاسرائيلية لجوء لبنان ، مؤكدا ان
على واشنطن ان تتصرف ، كما ترى منظمة التحرير ،
بشكل يحفظ سيادة واستقلال لبنان . ودعا الى ان
تحصل المنظمة على فرصة ، متعاقبة مع اسرائيل ،
للاتصال والتحرك في الولايات المتحدة ، واعدا بأنه
ينقل الى الرأي العام الاميركي حقيقة ان المنظمة تمثل
الشعب الفلسطيني ، وان لقيادتها القدرة على ان تتخذ
القرار المستقل ، ومفصحا عن امله في ان يتمكن
ايضا من نقل نتائج زيارته عبر الاجتماعات التي
سيمعدها مع الرئيس كارتر ، والكونغرس مع الشعب
الاميركسي في السنوات والحاضرات والصحافة
(السفير ، ١٠/٥) .

اما منظمة التحرير فقد اذاعت ، من جانبها ،
بيانا صحافيا رسميا عن الزيارة ، وفي هذا البيان
حددت نواياها لتسمية العلاقات وتطوير الحوار
وتعميق الصداقة مع كافة القوى الديمقراطية
والشرقية في الولايات المتحدة ، وعلى رأسها القوى
السوداء والقوى الديمقراطية وبعض رجال
الكونغرس وعدد من رجال الكنيسة ، اخذة بعين
الاعتبار بداية التحول في الرأي العام الاميركي . وفي
البيان اشارة واضحة الى ان الدعوات وجهت لوفود
القوى السوداء لتمكينها من الاطلاع على المنجزات
الاجتماعية والثقافية والعلمية للمنظمة ، وعلى
همجية العنوان الاسرائيلي . وفيه ايضا تأكيد على ان
رئيس اللجنة التنفيذية شرح في لقائه مع جاكسون
وزملائه موقف م . ت . ف . من مؤامرة كامب ديفيد
وخطورتها على الشعب الفلسطيني والامة العربية ،
ومهولة ما يسمى بالادارة الذاتية التي يرفضها الشعب
الفلسطيني ويعتبرها عبودية . وقد حرص بيان
المنظمة على التأكيد بالموقف الاميركي المتجاهل

العدالة للشعب الفلسطيني ، وتدعوه في طلبه للعدالة
والحماية وحقه في وطنه (السفير ، ٩/٢٩) .

في الجنوب كيز جاكسون ما سبق ان قاله
لاوري من ان الشعب الاميركي لا يملك فكرة واضحة
عن الدمار الواسع ، مبيحا ان الاميركيين يسبرون
كالمعيان وراء حليف لهم هو اسرائيل . ويجب على
الولايات المتحدة ان لا تخلق اعداء لها بصحة
الحفاظة على صداقة اسرائيل ، وواعدا بأن تبذل
حركته جهدها للضغط على الحكومة الاميركية كي
تحافظ على سيادة لبنان ووحده . واعرب عن شعوره
شخصيا بالخجل عندما يرى ما فعلته امته في هذه
المنطقة (النهار ، ٩/٣٠) .
وفي اللقاء مع عرفات رحب القائد العام بجاكسون
وزملائه مؤكدا على انهم بين اصطفاء اعداء هم
الفلسطينيون . اما جاكسون ، فقد عبر عن اوتياحه
بعد اللقاء ، وقال ان محادثاته تركزت على القضية
الصعبة وهي امن اسرائيل والعدالة للفلسطينيين ،
ولكنه اشار صراحة الى انه لا يملك اسبابا للاعتقاد
بانهم قريبون جدا من تحقيق تقدم حقيقي . واعلن
انه على عتبة القامة د رأس جسر ، لحوار بين امريكا
والمنظمة ، وانه يريد لمحايلاته ان تؤدي لفتح حوار ،
والتوفيق بين مصالح امريكا المختلفة في الشرق
الاطوسط (النهار ، ٩/٣٠) .

وقال ، في مطار القاهرة ، عنما وصلها في
٩/٣٠ قارما من بيروت : ان سياسة واشنطن بولص
التباحث مع المنظمة ليست في صالح امريكا الوطني
ولا في صالح اسرائيل ولا في صالح اصطفاء امريكا
من العرب ايضا . وامل في ان تسهم مهمته في تعميق
الوعي الذي بدأ يظهر في الولايات المتحدة حول
اختلال التوازن في سياستها الشرق اوسطية ، وفي
ان يعقد في النهاية مؤتمر حول الشرق الاوسط
لتعميق وعي الرأي العام حول هذه المسألة . وقال :
كما تحدينا بلاننا لتتحرك بعيدا عن تورطها اللا
اخلاقي في فيقنام ، فكذلك الحال بالنسبة للشرق
الاطوسط .

وفي دمشق ، التي وصلها في ١٠/٢ قارما من
القاهرة ، أعلن جاكسون بعد لقائه بالرئيس
السوري حافظ الأسد انه يؤيد منظمة التحرير
ونضالها العادل ، باعتبارها منظمة تحرير تشبه
حكومة في المنفى ولها نشاطاتها المختلفة وليست
منظمة اريابية . وانه يؤمن بضرورة ممارسة الشعب
الفلسطيني حقه الشرعي كاملا في تقرير مصيره

الرسمي باسم اللجنة التنفيذية حين أشار إلى أن الحوار مع أميركا ليس هدفاً في حد ذاته ، وإلى أن الحوار ، كما يكون معبراً عن إرادة الشعب الفلسطيني ، لا بد أن يسبقه اعتراف من أميركا بالحقوق الثابتة لهذا الشعب ، وبالنزعة كممثل شرعي وحيد له . وقد ميز الناطق الرسمي بين الحوار مع الإدارة الأميركية والحوار على الصعيدين الشعبي وصعيد الرأي العام الأميركي ، مشيراً إلى إيمان المنظمة بضرورة كثيف الجهود والاتصالات مع القوى الاجتماعية المختلفة في الولايات المتحدة من أجل توفير وعي أفضل وتأييد أقوى لكفاح الشعب الفلسطيني العادل وحقوقه الوطنية (فلسطين الثورة ، ١٠/٤) .

ووصف الدكتور جورج حبش ، الأمين العام للجهة الشعبية لتحرير فلسطين ، السود في الولايات المتحدة بأنهم جزء من القوى الديمقراطية فيها ، وعبر عن إيمانه بأنه سقشاً في يوم من الأيام حركة شعبية فيها ، على غرار تلك التي نشأت في أثناء الحرب الفيتنامية . ودعا في مقابلة مع مجلة « نيوزويك » الأميركية ، نشرتها ، الهدف ، إلى القيام بحملة لتوضيح قضية فلسطين ، وأن تقوى المنظمة تحالفاتها مع السود ومع جميع القوى الديمقراطية والتقدمية في الولايات المتحدة (الهدف ، ٩/١٥) .

وشكلت موموم الجنوب اللبناني ، والمسائل العسكرية والسياسية المتجذرة عنها ، محور استقطاب لجملة من النشاطات التي أسهمت فيها منظمة التحرير بقسط كبير . فعلى صعيد مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية وآثارها دبرست ، واللجنة الأمنية الموسعة للثورة الفلسطينية - الثنؤون الأمنية في الجنوب ، في اجتماع عقده برئاسة الأخ صلاح خلف (أبو إياد) ، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح بوصفه رئيساً لجهاز أمن الثورة الموحد ، وذلك في ٩/١٧ ، على ضوء استمرار الاعتداءات الإسرائيلية والانعزالية (وفأ ، ٩/١٧) .

وعقدت القيادة المشتركة للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، اجتماعاً رفيسه ياسر عرفات في ٩/١٨ الذي أكد على ضرورة مضاعفة الجهد للتصدي لمؤامرة كامب ديفيد على ضوء التصعيد العسكري لإسرائيل والميليشيات الانعزالية في الجنوب (فلسطين الثورة ، ٩/١٩) . والموضوع ذاته تم بحثه في الاجتماع الذي عقده ، برئاسة

لحقوق الشعب الفلسطيني ووجوهه بما في ذلك حقوقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة ، ويأثر هذا الموقف على ازدياد غطرسة العدو الصهيوني وعورده العسكرية . كما حرص على اظهار رأيه بتسك المنظمة بقرارها بوقف اطلاق النار في الجنوب اللبناني جاء انطلاقاً من حرصها على امن وسلامة واستقرار لبنان ، وعلى تأكيد المواقف المبدئية للمنظمة وقراراتها التي تنص على حق الشعب الفلسطيني بإقامة دولته المستقلة على أي جزء من التراب الوطني يتم الانسحاب عنه أو يتم تحريره ، وموقفها المبني من اليهودية كدين . وكذلك المعاني العظيمة التي يقوم عليها ميثاقها الوطني وتجسيدها لقرارات مجالسها الوطنية ، التي تدعو جميعها إلى الديمقراطية ، والتخفي والمساراة بين المسلمين واليهود والمسيحية ، كما يعيشوا في وطننا فلسطين بأخاء وعدالة وسلام (وفأ ، ١٠/٥) .

هاتان الزيارتان اثارتا اهتماماً واسعاً في الاساط الفلسطينية . تجل من جانب ، في الرعاية الكاملة التي احيط بها الرفدان ، وفي الجهد الذي يبذل من أجل ايضاح المواقف الفلسطينية لهما ، وهو جهد ساهم فيه قادة المنظمة وكوادرها المعنية . وتجل في الجانب الآخر في عدد من الاحتفلات عبر عنها عبد الجواد صالح عضو اللجنة التنفيذية الذي ابلغ الصحفيين بأن مقترحات جاكسون تفتح الطريق لشق الصف الفلسطيني والعربي . وطلال ناجي عضو اللجنة التنفيذية الذي عبر عن اعتقاده بأن جاكسون متعلق بعهمة رسمية من الإدارة الأميركية لخدمة رئيسه كارتر في الانتخابات المقبلة ، وارتيابه بحقيقة نواياه (السفير ، ١٠/٦) . كما عبر عنها تصريح لناطق اعلامي رسمي باسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وصف جاكسون بأنه تحول عملياً إلى وسيط مدعوم من الإدارة الأميركية . وقال ان التنازلات التي طلبها لعبت مباشرة في اطار الخطة الأميركية ، وطلب بانتهاج سياسة جائزة تجاه الضغوط الأميركية مهما كان مصدرها (الحرية ، ١٠/١٥) .

وترددت انباء صحافية كثيرة عن مقترحات حملها جاكسون . غير ان بيان المنظمة الذي اشرنا إليه آنفاً تضمن اجابة قاطعة على هذه الانباء ، حين ركز على الميثاق الوطني الفلسطيني ومقررات المجلس الوطني . ومثله فعل عبد المحسن أبو سبزر الناطق

الراي . كما اوضح ان الرئيس سركيس راقب في تعزيز الثقة بين الجانبين وفي ان تساعد المنظمة على عودة الشرعية الى الجنوب . ووصف لقاء القمة بأنه نجاح وايجابي ومثمر . وقال : ان نتائجه الملموسة ستظهر ليس فقط على صعيد الوضع في الجنوب بل في كل ما تحتاج اليه العلاقات من عمل مشترك وايجابي (السفير ، ٩/٢٥) .

بعد القمة اتصلت لقاءات المسؤولين في المنظمة مع المسؤولين اللبانيين المفترض ذاته ، فكان من بينها اللقاء الذي عقده كل من صلاح خلف ود . سليم الحص والفريق محمد الشاعر سفير المملكة العربية السعودية في ١٠/٦ ، حيث تناول البحث فيه الاعتداءات الاسرائيلية ، والتنسيق اللبناني الفلسطيني وتكثيف الجهود من اجل عقد مؤتمر القمة العربي . ثم اللقاء الذي عقده عرفات ، وبصحبة خلف ، مع د . سليم الحص في ١٠/٢ ، واللقاء الذي عقده عرفات وخلف ، وخليل الوزير (ابر جهاد) مع الاستاذ كامل الاسعد ورئيس مجلس النواب اللبناني في ١٠/٤ ، وغيرها من اللقاءات التي تمت على مستويات مختلفة سياسية وعسكرية .

وبين يدي هذه اللقاءات عرضت الولايات المتحدة الاميركية من جانبها مشروع خطة لمعالجة الوضع . انهاء هذه الخطة بتبريت الى الصحافة غير مفصلة . على غرار ما نقلته اليونانيات بريس الاميركية في ٩/٢٦ ، التي قالت : ان هناك خطة اميركية بعيدة المدى من اجل السلام في لبنان ، تهدف الى عقد مؤتمر تشترك فيه الاطراف المتحاربة كافة والاطراف المعنية الاخرى ، وتشمل منظمة التحرير الفلسطينية ، كما تهدف لاجراء بعض القوات السورية العاملة في اطار قوات الردع في لبنان ، والى تحويل وقف اطلاق النار الى هيئة دائمة ، وفتح الفلسطينيين للانسحاب من بعض المدن والقرى والمناطق الجنوبية ، وانتشار الجيش اللبناني وقوات الطوارئ البولية بصورة اوسع ، ووقف الدعم الاسرائيلي للقوات سعد حداد ومنعها من التقدم شمالا . على هذه الاتباء علبت مصادر فلسطينية عليا فور سماعها بقولها: ان ما يجري عرضه هو مشروع كامب ديفيد لبناني (السفير ، ٩/٢٧) . وفي اليوم التالي حمل عرفات ، في خطاب القاه في الاحتفال الذي اقيم تحية للكرى الثلاثين لتأسيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية على المشروع الاميركي مؤكدا استعداد الثورة

عرفات ، اللجنة التنفيذية في ٩/٢٦ ، الى جانب المواضيع الاخرى المتصلة بقمة هافانا ، وزيارة عرفات لاسبانيا وجولته في كل من الجزائر والمغرب وتونس (وفا ، ٩/١٩) . وكذلك في الاجتماع التالي للجنة الذي انعقد في ٩/٢٧ وبحث الوضع في الجنوب (وفا ، ٩/٢١) . وفي الاجتماع الذي عقده القيادة المشتركة برئاسة عرفات في ٩/١٢ (وفا ، ٩/٢٤) .

وعلى صعيد اخر تم في ٩/٢٤ لقاء القمة المرتقب بين عرفات ورئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ المياس سركيس . هذا اللقاء سبقه لقاء بين رئيس اللجنة التنفيذية مع د . سليم الحص في ٩/٢٦ استعرضا فيه مسألة دخول الجيش اللبناني الى الجنوب . وتم فيه الاتفاق على ان يعقد الجانبان الفلسطيني واللبناني اجتماعات على المستوى العسكري للبحث في تفاصيل خطة دخول الجيش وانتشاره . وفيه ابدى عرفات استعداد المنظمة لتسهيل دخول الجيش والقيام بما يلزم باتجاه ضبط الاوضاع في الجنوب . وابلغ صلاح خلف ، الذي حضر الاجتماع ، رئيس الحكومة اللبنانية ان الاجراءات المطلوبة قد ابتدأتها المقاربة بالفعل (السفير ، ٩/٢٢) . ثم جاء لقاء القمة بين عرفات

وسركيس فعزز امكانات التفاهم الفلسطيني اللبناني بين يدي مؤتمر القمة العربي الموسع الذي سينعقد في النصف الثاني من تشرين الثاني لدراسة الوضع في الجنوب وملابساته . وكان هذا اللقاء من اكثر اللقاءات ايجابية بين الطرفين . وفيه ناقش الطرفان الوضع في الجنوب والمخاطر التي تهدده وانعكاسات التطورات الخارجية عليه . واكد عرفات من جديد ان المنظمة مستعدة لاية تدابير تريح الوضع في الجنوب ولتسهيل ما يريح لبنان . وبحث الجانبان ما يتعلق بالقمة العربية ، واتفقا على ضرورة انجاحها بتنسيق فلسطيني - لبناني - سوري مشترك ، واتفقا على عقد لقاءات لاحقة قد يكون من بينها عقد قمة ثلاثية يشترك فيها الرئيس السوري حافظ الاسد . وابلغ عرفات الصحيفة بعد اللقاء ان المقاربة تتمسك باستراتيجيتها العسكرية ضد اسرائيل وتحرص في الوقت نفسه على توفير الاستقرار في الجنوب ، وهي مستعدة للتعاون مع الشرعية اللبنانية لتوفير هذا الاستقرار . واوضح ان الجانبين متفقان على ان تكون اتفاقية القاهرة هي ورقة العمل المقبولة فلسطينيا ولبنانيا ، وان سوريا تتفق مع هذا

للقيادات العسكرية بهدف مواجهة التطورات في الجنوب اللبناني وشرح المواقف الفلسطينية على الصعيد المحلي والعربية والدولية . فانهقد برئاسته ، اجتماع المجلس العسكري الفلسطيني الموسع في ١٠/٣ . والمجلس العسكري الاصل في ١٠/١١ . وفي هذا اليوم الاخير قام القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية بجولة على مواقع القوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة في الجنوب . عقد اجتماعا لكوادر هذه القوات اشاد فيه بصمود وتلاحم المقاتل اللبناني والفلسطيني (وما . ١٠/١٢) .

ف . ح

الفلسطينية على معاتلة الطابور الامبريالي الذي يظل كل يوم يقوم بمشروع جديد او مزامرة جديدة ، وقال متحمدا : ليضربوا بمشروع او مزامرة او مزامرة ، وليلقهوا شيئا واحدا ان مصر هذه المنطقة يتروها حامل البنديفة اللبنانية الفلسطينية في جنوب لبنان . وحمل على اطراف كامب ديفيد ، الذين اعتدوا كامب ديفيد اللبناني هذا ، مجددا الثقة بان البنديفة الفلسطينية والارادة العربية الشريفة هي التي ستنتصر (فلسطين الثورة ، ٩/٢٨) .

وتراس عرفات سلسلة من الاجتماعات الاخرى

٢

القمة العربية ، المغرب ، الاردن

موضوعيا بليقا بعيدا عن التوتر والاعتداءات ، وقد تم التناهم على ان يعقد المؤتمر في النصف الاخير من تشرين الثاني (الأرجح في العشرين منه) .

اما عن مكانها ، فتتمنى لبنان وايده بعض الدول العربية ان تكون الرياض هي المكان المختار حيث قام الرئيس سليم الحص من اجل هذه الغاية بزيارة للعاصمة السعودية استغرقت يومين اجري خلالها المباحثات مع المسؤولين السعوديين . وتكرت بعض المصادر ان المحادثات لم تكن فاشلة ولكنها لم تكن ايجابية بالقدر المطلوب . خاصة لجهة انعقاد القمة في الرياض ، حيث اوضحت هذه المصادر ان السعودية اعربت عن اعتقادها بان انعقاد قمة عربية في هذا الظرف لن يؤدي الى نتيجة ملموسة ، خصوصا على صعيد الجنوب . ولذلك فهي لا تريد ان تتحمل اية مسؤولية مباشرة في هذا الموضوع ، الامر الذي يفرض عليها السعي لعقد قمة في اي بلد اخر وان كانت تفضل تونس لكونها مقر الجامعة العربية (النهار ٩/١٠) .

وفي الاطار نفسه أكد المسؤولون السعوديون مرافقهم التي تدعوا لبنان الى التناهم مع الفلسطينيين بدعم سوري . واكدوا ان حل قضية الجنوب يأتي عبر القمة العربية ، ولكن من خلال تناهم لبناني - سوري - فلسطيني (النهار - ١٠/٩) .

منذ مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذي انعقد في هافانا في مطلع الشهر المنصرم ، وقضية عقد مؤتمر قمة عربي من اجل جنوب لبنان تتفاعل في الاوساط العربية . ويدات أجهزة الاعلام تتناقل انباء الجهود المبذولة من اجل الاعداد له ، ومواقف ورموه فعل الدول العربية عليها . ولكن بالاجمال وافق معظم الرؤساء العرب ، بعضهم بتحفظ ، وبعضهم واضعا بعض الشروط .

وفي الوقت الذي طالب فيه لبنان بان يقتصر عمل المؤتمر على بحث قضية لبنان ، فان ربه معظم الدول العربية افصحت عن عدم قبولها بهذا التحديد ، شارحة الاسباب بانه من الصعب عقد فمتين في فترة متقاربة ، خاصة وان قمة عربية مقررة في تشرين الثاني المقبل ، وذلك منذ مؤتمر قمة بغداد في العام الماضي . ولكن بالامكان وضع قضية الجنوب اللبناني على قائمة الاولويات في المؤتمر المنوي عقده . لقد واجه موضوع القمة ثلاث عقبات من اجل انعقادها ، وهي موعد القمة ، ومكان انعقادها ، والخطة اللبنانية من اجل القمة وما الذي يراه لبنان لانجاحها .

اما عن موعد القمة ، فقد حاول لبنان جاهدا تقريب موعدها ما امكن بعدما فشل في عقد قمة خاصة ، وذلك لكون قضية الجنوب ملحة جدا ، ولان الهوة النسبي يسمح بالبحث في شؤونته بحثا

لبنان والقائمة موقفاً موحداً في القمة العربية المنتظرة (السفير ٩/٢٥) .

أما على صعيد الموقف الموحد في القمة العربية ، فقد أشارت المصادر ، إلى أن اتفاق القاهرة سيكون مرعجيداً ورفقة العمل المقبولة لبنانياً وسورياً وفلسطينياً ، وعلى هذا الأساس يمكن أن تكون القمة اللبنانية - السورية - الفلسطينية حاجة ملحة (المصدر نفسه) .

وفي أثناء زيارته للبنان (٩/٢٨) ، قام الأمين العام لجامعة الدول العربية ، السيد الشاذلي القليبي ، بأجراء الاتصالات بالمسؤولين اللبنانيين والفلسطينيين ، حيث تم التفاوض حول الأمور المتعلقة بمؤتمر القمة ومكان وموعد انعقاده ، وكذلك في الرؤية اللبنانية عن نتائج القمة في حال انعقاده . كما بحثت تلك القضايا مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، الذي شمل البحث معه الخطوط العريضة للتفاهم اللبناني - الفلسطيني ، وبرزت هذه الخطوط من أجل هذا التفاهم هي (١) وقف العمليات الفدائية من لبنان وغيره ، (٢) عدم الإعلان عن لبنان عن العمليات العسكرية التي يتفادها الفدائيون الفلسطينيون من داخل الأرض المحتلة ، (٣) تسهيل وجود السلطة الشرعية في الجنوب بوجهها المدني والعسكري ، وتكونت المصادر المطلعة أن الأمين العام لجامعة الدول العربية وجد من عرفات تفهماً كاملاً بالنسبة للوضع في الجنوب والتفاهم مع السلطة حول تلك المواضيع (النهـار ٩/٢٠) .

على أي حال ، لا زالت الاتصالات والمشاورات حول هذه المواضيع قائمة ، ولم يعد رسمياً مكان وموعد القمة النووي عقدها ، والاحتمالات كثيرة بتأجيلها أو تأخير موعد انعقادها .

جولة عرفات في المغرب العربي

بعد زيارته لمكرويد ، التي استغرقت يومين ، قام الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بزيارة لدول المغرب العربي (المغرب ، الجزائر ، تونس) . وقد يلهم بأن موضوع الزيارة هو التوسط في قضية الصحراء المتنازع عليها من قبل الجزائر والمغرب ، حيث اجاب عرفات في مؤتمره الصحفي الذي عقده في مدريد قبل مغادرته عن سؤال حول دور المنظمة في قضية الصحراء بأن المسألة تهمنا كأمة عربية نظراً إلى موقعها داخل الأمة العربية ، وتعمل ما في وسعنا

أما على الصعيد الفلسطيني فقد اقترح صلاح خلف (ابو اياد) عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، من مقابلة مع جريدة «موندني مورننج» ، «Monday Morning» اللبنانية في ٩/١٧ ، أن يعقد لقاء فلسطيني - سوري - لبناني على مستوى القمة من أجل حل الكثير من المشاكل المطروحة ، مؤكداً على أهمية التفاهم بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية والسوريين . لأنه في حال عدم حصول ذلك سيكون هناك - في القمة العربية - مشكلة أن «يكون الناس مع لبنان أو مع الفلسطينيين» ، بينما قضيتنا واحدة ، فلماذا الاختلاف ؟ (السفير ٩/١٧) .

وعن قضية الجنوب فقد قال انها تحل بقيام وفاق سياسي بين اللبنانيين والفلسطينيين ، ويجب تقديم صيغة تفاهم بين الحركة الوطنية والاطراف الأخرى مع السلطة اللبنانية في إطار تفاهم مع السوريين وأشراك أهل الجنوب في هذه الاحتمالات ، وبأنه إذا تفاهم اللبنانيون والسوريون والفلسطينيون فيمكنهم أن يقولوا للعرب تحركوا من أجل الجنوب ، وطالب خلف الاطراف العربية باستخدام النفط للضغط على العالم ومن ثم الضغط على إسرائيل لوقف اعتدائها على جنوب لبنان قائلاً : لا نريد أن يستعملوا النفط من أجل القضية الفلسطينية ، فليستعملوه من أجل الجنوب ، لأن أمن الجنوب يمس أمن سوريا كما يمس أمن الثورة الفلسطينية (السفير ٩/١٧) .

ومن أجل هذه الغاية اجتمع الاخ ابو عمار في ٩/٢٦ برئيس الحكومة السنكور سليم الحص ، وحضر الاجتماع ابو اياد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، والتقى بعدها بالرئيس اللبناني الاستاذ الياس سركيس (راجع اعلاه : المقاومة الفلسطينية - ١) وتكشرت الاوساط في القصر الجمهوري اللبناني ، ان عرفات أكد في سياق وجيه نظره حول الوضع في الجنوب على نقطتين وهما : عدم تخلي المقاومة الفلسطينية عن استراتيجيتها العسكرية ضد إسرائيل ، وكذلك عدم التفريط في الوقت نفسه بالاستقرار في الجنوب . وان عرفات ابدى كذلك استعداداً للتعاون مع الشرعية اللبنانية في عودتها الى المنطقة ، وأضافت تلك المصادر ان سركيس طالب عرفات بضرورة الحرص من الجانبين اللبناني - الفلسطيني على ثلاث نقاط رئيسية تتلخص في (١) تعزيز الثقة بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية ، (٢) مساعدة المقاومة للبنان في عودة شرعيته وسيادته الى الجنوب ، و (٣) وقف

القضية العربية بأسرها ، وأضاف « بان هذه الجولة تجيء اثر حدوث تطورات اخيرة للنزاع في الشرق الاوسط ، ووصفة خاصة بعد اتفاقات كامب ديفيد التي قال انها تستهدف اضعاف الامة العربية » .
 اما عن معادلاته في تونس مع كل من الحبيب بورقيبة ورئيس الوزراء التونسي الهادي شويره ، بحثت مع المسؤولين التونسيين هذه التطورات .
 وكذلك الموقف السائد في الجنوب وهو الموقف الناشئ عن الاعتداءات الاسرائيلية (السفير ٩/١٨) .

و جدير بالذكر ان الرئيس الحبيب بورقيبة كان قد قدم اقتراحا من اجل عقد قمة جزائري - مغربي للبحث في نزاع الصحراء ، حيث قبلته المغرب ، ورفضته الجزائر لان النزاع القائم ، هو بين المغرب وجبهة البوليزاريو . ومن جهة اخرى اوربت وكالة الصحافة الفرنسية تحليلا من الرباط قالت فيه ان ما عرضته مصر مؤخرا بشأن تزويد المغرب بالرجال والعتاد الحربي قد ادى الى ازدياد قلق القادة الفلسطينيين . حيث يدرك هؤلاء انه في حالة وقوع حرب سافرة بين المغرب والجزائر فان ليبيا التي ابرمت مع الجزائر اتفاقية دفاع مشترك ستقف الى جانب الجزائر مما سييسر حتما عن رد فعل مصري ، ولهذا يبذل القادة الفلسطينيين سرا جهودا مضاعفة للوساطة بين المغرب والجزائر (السفير ٩/١٧) .

زيارة الاردن كثرت الانباء في الفترة الاخيرة ، من ان الاردن يروج لمشروع المملكة المتحدة ، وان منظمة التحرير الفلسطينية منحت الاردن حق التفاوض باسمها من اجل استعادة الضفة الغربية المحتلة . ففي تقرير صحفي اسرائيلي في ٩/١٤ ذكر ان الاردن يروج لمشروع عمره سبع سنوات لحل القضية الفلسطينية ، ويضمن الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية كجزء من المملكة المتحدة .

ونسبت صحيفة « هارتس » الاسرائيلية الى مصادر مصرية قولها ان الاردن سيحتفظ بمسؤوليات الدفاع والعلاقات الخارجية للمنطقة المدارة ذاتيا والتي ستكون القدس الشرقية عاصمتها ، وبامكانية ضم قطاع غزة الى هذا الكيان . وان هذا المشروع قد عرض على وفد منظمة التحرير الفلسطينية الذي زار الاردن في شهر اب الماضي . (السفير ٩/١٤) .
 من جهة اخرى ، اعلن انور الخطيب (محافظ

خير امتنا . وقد بحثنا الموضوع في مونروفا وهانانا وما نزال نتابعه من موقع مسؤولياتنا داخل الامة العربية . (وما ٩/١٦٦) .

لقد بدأت زيارة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية اولا للجزائر (٩/١٥) ، حيث اجتمع بالرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، غادر بعدها متوجها الى المغرب حيث اجتمع بالملك الحسن الثاني في ايفران . وقضى يومين من المباحثات مع المسؤولين المغربية ، تندرج في اطار المشاورات التي تجريها منظمة التحرير الفلسطينية مع الدول العربية في اطار الموقف الراهن في العالم العربي (وما ٩/١٦٦) .
 وقال عرفات لدى وصوله ان ترتيبات زيارته تمت عندما اجتمع الى رئيس وزراء المغرب المعطي بو عبيد خلال مؤتمر قمة عدم الانحياز في هافانا .

ونسبت الوكالة المغربية للانباء الى مصادر فلسطينية في الرباط قولها ان زيارة عرفات للمغرب تأتي ضمن نطاق الوساطة التي تقدم بها منظمة التحرير الفلسطينية بين المغرب والجزائر لاجراء حل للقوتر القائم في شمال غرب افريقيا (السفير ٩/١٧) .

وفي ختام زيارته أكد بان هناك مؤامرة تحاك ضد الامة العربية منذ اتفاقيتي كامب ديفيد ، موجها بشكل خاص ضد الشعب الفلسطيني . اما الجانب المغربي فلم يصدر عنه اي تصريح او تعليق رسمي . على اي حال يعتد الزيارة املا في تهدئة الصراع المغربي - الجزائري حول الصحراء ، حيث تقدمت منظمة التحرير الفلسطينية مساعيها الحميدة في هذه القضية منذ شهرين (الرطلن ٩/١٨) كما علق وكالات الانباء العالمية حول الزيارة لكل من المغرب والجزائر بان منظمة التحرير الفلسطينية تقدم مساعيها منذ شهرين ، وكما نقل هذه الزيارة على ان عرفات يبذل ما في وسعه لتفادي تاجيج نيران التوتر في هذه المنطقة من العالم العربي (وما ٩/١٧) .

بعد تلك توجه عرفات الى تونس حيث مر بالجزائر بعد عوبته من المغرب ، واجتمع بالرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد مرة اخرى ووقالت وكالة الانباء الجزائرية ، انهما بحثا في الاقتراح الذي تقدمت به بعض الدول العربية لعقد مؤتمر قمة لبحث تطورات الوضع في الشرق العربي ، . (السفير ٩/١٨) .

بعد وصوله تونس نفى عرفات انه قام بوساطة بين المغرب والجزائر بشأن الصحراء ، ولكنه قال بان كل ما يتعلق بالبلدين الشقيقتين ينعكس حتما على

الوطنية . كما جرى تقييم الاتصالات الاردنية - الفلسطينية السابقة في ضوء ما تم الاتفاق عليه (وفا ، ٩/٢٠) .

وفي ختام الزيارة تلا السيد حسن ابراهيم وزير الدولة الاردني للشؤون الخارجية البيان الصحفي عن المباحثات : قام الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة الاردن واجتمع بجلالة الملك حسين وجررت مباحثات تناولت الارضاع العربية والدولية الراهنة والعلاقات الثنائية بين الجانبين .

وقد تم استعراض شامل للنتائج الايجابية للاتصالات التي تمت في المجالين العربي والدولي في المرحلة الاخيرة . كذلك القرارات والنتائج الهامة التي اتيحت عن مؤتمر القمة السادس لنول عدم الانحياز في هافانا ، وخاصة ما يتعلق منها بالقضية الفلسطينية والشرق الاوسط ، والقرارات التي كانت مؤيدة تأييداً قوياً لحقوق الشعب الفلسطيني والقضية العربية ، ولقد تم التأكيد في المباحثات على ضرورة مواصلة العمل المشترك ومتابعة اللقاءات والتأكيد على ما تم الاتفاق عليه في اللقاءات السابقة وتنسيق الجهود العربية لتعزيز قرارات الجمعية العامة وتعزيز التضامن العربي ومؤتمر بغداد (وفا ، ٩/٢٠) .

في بيروت ، وتعقيباً على الزيارة ، قالت وكالة رويترز ، نقلاً عن مصادر فلسطينية ان الملك حسين اقترح على ياسر عرفات ، عقد مؤتمر قمة مصغري يضم بالإضافة الى الأردن ومنظمة التحرير كل من الكويت وسوريا والسعودية ، وذلك لاعادة صيغة بديلة لاتفاقي كامب ديفيد ، واقترح تقديم هذه الصيغة الى الدول الأوروبية والاتحاد السوفياتي . كما تكررت ان الملك حسين نصح عرفات بالترويج في محاولة اقامة حوار مع الولايات المتحدة ، قائلاً ، ان حواراً فلسطينياً - امريكياً في الوقت الحاضر لن يؤدي الى شيء . (النهار ، ٩/٢١) .

وكسالة رويترز ، ايضاً ، الى مصادر فلسطينية مطلعة في بيروت قولها ، ان م . ت . ف . تطالب باطلاق صراح ٦٠ سجيناً فلسطينياً من المعتقلين في السجون الاربانية منذ اوائل السبعينات . وقالت المصادر ان المنظمة حثت على اطلاق سراح جميع السجناء ولكن رفض هذا الطلب من قبل الاردن (السفير ، ٩/٢٧٠) .

صالح موسى

القدس السابق) في عمان ، ان الحل الوحيد الممكن والمحدد للمسألة الفلسطينية يتصل في العودة الى مشروع المملكة المتحدة .

كذلك تكررت صحيفة « الانباء » الكويتية ان منظمة التحرير الفلسطينية قد منحت الاردن التفاوض باسمها من اجل استعادة الضفة الغربية . ووضحت الصحيفة نقلاً عن مصادر ديبلوماسية ان هذا الاتفاق حصل أثناء اللقاء الذي تم بين ياسر عرفات والملك حسين ، أثناء اجتماعهما في آب الماضي . (السفير ، ٩/١٤) .

حول هذه الاتباء ، التي تواترت فيما يشبه الحملة المنظمة ستل ياسر عرفات عندما كان في مدريد في مؤتمره الصحفي الذي عقده قبل مغادرته لها فاجاب : « لم يرد مثل هذا الاقتراح ، لقد عقدت مع الملك حسين اكثر من لقاء في هافانا والاردن ، وساعدت لقاءات اخرى عندما اعود الى المنطقة ، ونحن وقعنا بيانات مشتركة واضحة وصريحة ، ولا اهم هذا الذي يتروى في بعض الاوساط حول نولة فيسالية . (وفا ، ٩/١٦) .

من جهة اخرى نلى رئيس وزراء الاردن مضر بدران (٩/١٧) اعترام الاردن احياء مشروع المملكة المتحدة ، وكسر رفض الاردن الانضمام مستقبلاً الى مفاوضات كامب ديفيد ، كما أكد ايمان الاردن بقيام نولة فلسطينية للشعب الفلسطيني على ارضه ، وبإيمانه كذلك بضرورة تعديل القرار ٢٤٢ لانه لا يتضمن الاعتراف بحق تقرير مصير الشعب الفلسطيني (السفير ، ٩/١٨) .

وسط هذه الاتباء ، قام رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وكل من عبد المحسن ابراهيم - ياسر عبد ربه عضوي اللجنة ، بزيارة للاردن استغرقت يوماً واحداً . حيث اجريت المباحثات مع الملك حسين ، ورئيس الوزراء مضر بدران ، والشريف عبد الحميد شرف رئيس الديوان الملكي ، وعامر خماس وزير البلاط ، والفريق الركن زيد بن شاكر وسليمان مراد وزير الداخلية .

وقد تناولت المباحثات التقييم الشامل للوضع العربي الراهن والتطورات الاخيرة في المنطقة وعلى الصعيد الدولي ، كما تم استعراض وتحليل لنتائج الاتصالات والمشاريع التي تقوم بها م . ت . ف .

والاردن على الصعيدين العربي والدولي . وذلك بغرض كسب الدعم والتأييد للحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني وحقق في تقرير مصيره على ارضه

المناطق المحتلة

١

اسرائيل تصادر اراضي عرب النقب حملة تحريض واسعة ضد العرب في اسرائيل

والمعروفة بتل - ملحاننا (تل المالحه) . وقد زعم اريئيل ان نصف هذه المساحة مخصص لانشاء القواعد العسكرية ، والباقي لاعادة توطين البدو ، ضمن مواقع سكنية محددة . اما بالنسبة للتعويضات فقد ادعى ان « البدوسيينحوا تسهيلات خاصة مثل : تعويض على الاراضي والمباني وأبار المياه . ثم مساعدة بقيمة ١٠٠ الف ليرة للعائلة لاجراء مكان سكن بديل ، وتخصيص قطعة ارض ان كان يسكن بصورة دائمة ، منذ مطلع كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ ، على ارض ستقل الى الدولة وفق القانون ... كذلك ستمنح تعويضات على شكل اراضي زراعية (وكميات محددة) من المياه ان يرغب في ذلك » (هـارتس ، ١ / ٨ / ٧٩) . والنقطة الاهم في مشروع القانون هي حرمان العرب في المنطقة من امكانية التوجه الى القضاء فيما يتعلق بقيمة التعويضات ، وذلك بواسطة تحديد قيمتها في مواد القانون ، مما يعني انه ، وفقا للقانون نفسه ان يكون من المسموح لاي شخص التقدم بشكوى الى المحكمة في هذا الصدد .

« قانون البدو » وسياسة التمييز

يلاحظ ان معارضة قانون الاستيلاء على اراضي العرب في النقب لم تات من جانب العرب في اسرائيل فقط ، وانما برزت ايضا لدى نواب معارضين في الكنيست ، وعدد كبير من الاسرائيليين الذين اعتبروه مخرسا بسمعة اسرائيل لدى الراي العام العالمي . فالاصغاء كالاعداد سيتركون ان المعاملة

تعرض العرب في اسرائيل خلال الاشهر الاخيرة الماضية ، الى حملة من التحريض والاضطهاد وسلب الاراضي والممتلكات ، تعتبر من ابشع ما تعرضوا له منذ قيام اسرائيل . وبرزت مميزات هذه الحملة عمليات الاستيطان الواسعة التي تنفذها وتخطط لها السلطات الاسرائيلية في منطقة الجليل ، وفق سياسة « تهويد » المنطقة ، ثم المصادفة الاولى في الكنيست على مشروع قانون مصادرة اراضي العرب البدو في النقب ، اضافة الى حملة التشهير والظعن التي تشنها السلطات الاسرائيلية ضد العرب ، بسبب تماثلهم مع قضيتهم القومية وبقاعهم عن حقوقهم .

المصادرة « القانونية » لاراضي العرب البدو في النقب

صادق الكنيست الاسرائيلي يوم ٣١ / ٧ / ٧٩ في القراءة الاولى على مشروع قانون « استيلاء الاراضي في النقب » ، المعروف في اسرائيل باسم « قانون البدو » ، باغلبية ٤٦ صوتا من الائتلاف ضد ٤٤ صوتا من المعارضة ، وامتناع ثائين عن التصويت . وقد تم تحويل مشروع القانون الى لجنة الخارجية والامن لاستكمال بحثه وطرحه مجددا على الكنيست للمصادقة عليه في القراءة الثانية ، ثم الثالثة . وعلم من خلال العرض الذي قدمه وزير المالية الاسرائيلي سيمحا اريئيل ، اثناء عرضه لمشروع القانون امام الكنيست ، ان السلطات الاسرائيلية ستستولي بموجبها على ١٥٧ الف دونم من اراضي العرب البدو في المنطقة الواقعة ما بين بئر السبع وعراك في النقب .

٢٧٠ - ٢٧٧) . وقد علم انه كان قد جرى تصنيف المنطقة المصادرة حالياً في تل المالحه ، منذ عهد الميراج ، اي قبل سنين عديدة من توقيع معاهدة السلام . كمنطقة ملائمة لاقامة مطار تولى ثان لاسرائيل . الا ان المفاوضات الاولى مع العرب البير كشميت مشاكل كثيرة تتعلق بعملية اخلائهم عن المكان . (ايبي فاينشرش ، عل همشمار ، ٧ / ٨ / ٧٩) . وقد تفرعت اسرائيل الآن بحجة اقامة المطارات العسكرية لوضع يدها على المنطقة بالقوة ، و بواسطة قانون صابر عن الكنيست ، اذ ان هناك حاجة ملحة لبدء العمل [في المطارات] ، لذلك ليس ثمة ما يبرر عملية المصادرة فقط ، وإنما حتى البدء في تنفيذها وقيام الجيش الاسرائيلي بالسيطرة [على المنطقة] بسرعة كبيرة . (النائب امفون رويبنشتاين ، هارتس ، ٢ / ٨ / ٧٩) .

اما بالنسبة للسؤال الثاني المتعلق بمساحة المنطقة المصادرة ومدى ضرورتها لاقامة المطار العسكري ، فقد اتضح ان ٧٦ الف دونم في هذه المنطقة المصادرة ليست ضرورية لهذا الغرض . وقد بررت الحكومة ذلك في زعمها ان هذه المساحة ستستعمل لاعادة توطين العائلات في تل - المالحه ، وهي العائلات التي لا حق لها في اي مساحة من الارض وفق القانون . بالرغم من ذلك ، فهناك علامات استفهام كثيرة حول هذه المسألة ، ومشروع القانون لم يتطرق اليها بما فيه الكفاية ... [اذ] ليس في احوال الشرح الرفقة بهذا المشروع اي تفصيل للحقائق [في هذا الشأن] . وقد احضر نواب من كتلة الميراج وسكان من النقب خرائط مفصلة تثبت ان المنطقة المصادرة لا تناسب ابداً مع الحاجة الى اقامة المطار العسكري . ووضح النائب ابراهام كاتس - عوز ان جزءاً كبيراً من المنطقة المصادرة ليست له اية علاقة باقامة المطار واعادة توطين العائلات التي سيتم اخلائها من هناك ، ويشمل ذلك عشرات الالاف من العائلات التي هجرت دون اي مجبر (المصدر نفسه) . وفيما يتعلق بالسؤال الثالث ، حول حرمان البنون من التوجه الى القضاء ، يلاحظ ان هناك معارضة شديدة حول هذه المسألة ، خاصة بين اعضاء الميراج . فقد اعلن النائب موسى شاحال (ميراج) ، خلال البحث في مشروع القانون : ، اننا لا نعارض الصراحة الى [انشاء] المطار العسكري ، ولكن لا يمكن قبول مشروع قانون يحرم المواطن من حقه الاساسي في التوجه الى الحكمة

القاسية للاقلية العربية لا تشمل سكان المناطق المحتلة فقط ، وإنما سكان اسرائيل العرب ايضا ... (ايبي فاينشرش ، عل همشمار ، ٧ / ٨ / ٧٩) . ومن خلال النقاش الدائر في اسرائيل حول مشروع القانون هذا يمكن حصر علامات الاستفهام التي اثيرت حوله في النقاط التالية : هل ثمة ما يبرر عملية المصادرة السريعة ؟ وهل نغلام المصادرة مع الحاجة الى اقامة المطار العسكري ام تتعداها ؟ كذلك ، هل من الجائز حرمان البنون من التوجه الى المحاكم القضائية فيما يتعلق بعمليات المصادرة ؟ [واخيراً] هل ان التعويضات التي يعدها القانون ملائمة لمبادئ مجتمع متحضر . (النائب امفون رويبنشتاين ، هارتس ، ٢ / ٨ / ٧٩) . ولعل طرح وجهات النظر بين الاسرائيليين من مسؤولين وغيرهم حول هذه القضايا ، لا بد ان تذكر ان معظم المعارضين للقانون المقترح ، لا يعترضون على الحاجة الى الاسراع في مصادرة الاراضي المطلوبة من اجل نقل المنشآت العسكرية من سيناء الى النقب . وإنما السؤال هو كيف يتم ضمان مصادرة الاراضي المطلوبة فقط ، ومن ثم منح تعويضات ملائمة للبئر المتضررين من جراء عملية المصادرة . (الفتاوية دافار ، ٢ / ٨ / ٧٩) .

بالنسبة للسؤال الاول المتعلق بعملية المصادرة السريعة ، زعم وزير المالية اريخ ان « الحاجة الامنية العليا والرغبة القوية في عدم تعريض اتفاق السلام مع مصر الى الخطر ، هما العاملان اللذان دفعا الحكومة الى اقتراح قانون مصادرة الاراضي في النقب ... واكد اريخ ان الحكومة وضعت مشروع القانون هذا بعد ان علمتها التجربة ان الاجراءات العادية تكون عادة طويلة وصعبة ، وتشمل سلفاً كل احتمال لانهاء [بناء] المطارات في النقب في الوقت القصير المخصص له . (هارتس ، ١ / ٨ / ٧٩) .

الا ان ادعاء اريخ هذا لا اساس له من الصحة ، خاصة وان السلطات الاسرائيلية تسعى منذ زمن بعيد للاستلاء على اراضي العرب في النقب ، من خلال الادعاء لنفسها بحق ملكيتها ، على اعتبار ان البيولا يملكون اثباتات تبرهن ملكيتهم وليس القانون الاسرائيلي (راجع توفيق فياض ، قضية عرب النقب ، شتورن فلسطينية ، العدد ٩٢ / ٩٢ ، تموز / اب / يوليو / اوجسطس) ١٩٧٩ ، من

تابعة للجنة الخارجية والأمن في الكنيست كانت قد شكلت لاستكمال البحث في مشروع قانون البند . في اجتماع مشترك لها مع معلمي مديرية عقارات إسرائيل ووزارة العمل ومستشار رئيس الحكومة للتهوؤون العربية ، وبعض نواب الكنيست ، ان توجيهات الحكومة لثاموري التضمين لديها تمثلت في حساب مبالغ التعويضات وفق مستوى التطوير الذي ساد في اراضي النقب سنة ١٩٤٨ ، وهذا يسرقية التعويضات المقلية التي ستدفع للسكان البند . وقد علق النائب يوسي سريد الذي كان حاضرا في الاجتماع ، عل هذه القضية بقوله : « انها فضيحة ... بان يقوم وزير العمل شموئيل تامير باخفاء هذه الحقيقة عن سابق قصد ، عن الكنيست ... اذ انني اشك في ان مشروع القانون كان سيقل بصيغته الحالية لو علم الجميع بهذه المسألة » (هارنس ، ٣٠ / ٨ / ٧٩) . وريت وزارة العدل على اقوال سريد هذه بان تعويض البند على اساس مستوى التطوير في منطقتهم سنة ١٩٤٨ ، قد تم تحديده وفق مشروع وضعته حكومة رابين سنة ١٩٧٥ ، اي حزب النائب سريد ، ووفق رأي مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية اذناك النائب شموئيل طوليدانو ، ووزير العدل في تلك الحكومة حاييم سمانيك ، (هارنس ، ٣١ / ٨ / ٧٩) .

ان حساب التعويضات للسكان البند ، وفق هذا القانون ، يكشف صراحة التمييز الذي تتبعه السلطات الاسرائيلية ضد العرب في إسرائيل ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان « القاعدة المتبعة في انظمة المصادرة والاستملاك للمتطلبات العامة ، تقول بانه ينبغي ان تكون التعويضات لصاحب الملك وفق قيمته يوم المصادرة ، وواضح ان هذه القيمة تتأثر باعمال التطوير التي حدثت في البلد ، وفي الحقيقة يمكن القول ان قيمة الارض هي ذات علاقة مباشرة بحجم التطوير في البلد الذي تتواجد فيه ، (افتتاحية هارنس ، ٣١ / ٨ / ٧٩) . الا ان هذه القاعدة لا تنطبق على السكان البند ، وفق السياسة الاسرائيلية الرسمية ، وانما على مستوطنني سيناء ، الذين بدأت الحكومة المفاوضات معهم بشأن اخلائهم من المكان ، عارضة عليهم ، منذ البداية ، تعويضات تزيد قيمتها عن ملايين الألبات الاسرائيلية للعائلة الواحدة .

وهدوصف الدكتور يونس أبو ربيعة ، وهو طبيب

لتحصيل حقوقه ، (هارنس ، ١ / ٨ / ٧٩) . كذلك اعلم النائب مردخاي نيرشومنسكي (من كتلة شاي) ، ان هذا القانون يبرهن ... كم نحن بحاجة الى دستور ، لو كان لدينا دستور ، لما امكن تقديم مشروع قانون كهذا ، لا ديمقراطي ، ويحرم المواطن حقوقه دون ان تتوفر له امكانية الدفاع عن نفسه ، (المصير نفسه) . وقد فسر النائب امنون روبينشتاين مسألة حرمان البند من التوجه الى القضاء بقوله : « ان الغاء صلاحيات المحاكم قد تم بأسلوب مزبوج : اولا ، بالنسبة للقضية المصادرة ذاتها لا تستطيع المحكمة ان تشكل (في صفة) قانون صادر عن الكنيست ، لذا لا يمكن ان تصدر حكما [لصالح المشتكى] حتى ولو توفرت لديها الادلة ، مثلا ، بان الارض لم تصادر لخدمة اهداف القانون ، وليس كما هو مطلوب وفق اتفاقية السلام [مع مصر] . ثانيا ، بالنسبة لقضية التعويضات فان القانون نفسه يحدد المبالغ المستحقة ولا يترك مجالاً للمحكمة للبت بها .

« صحيح ان القانون يترك للمتضررين خيار التوجه الى المحكمة لطلب المساعدة حسب احد قوانين الانتداب المتعلقة [بقضايا] الاستملاك للمتطلبات العامة ، الا ان هذه النظام الذي يعتبر خائفا من اساسه ويلائم لنظام حكم استعماري وليس لمجتمع ديمقراطي ، غير ملائم بالطبع للقضية نال مجموعة كاملة من السكان ، بافرادها وبيوتها ، من مكان الى آخر ، وخلافا لقوانين اسرائيلية اخرى فإنه لا يضمن توفير سكن بديل لمن يفقد مكان سكنه ، (امنون روبينشتاين ، هارنس ، ٢ / ٨ / ٧٩) .

وانطلاقا من هذا الحديث ، ننتقل الى السؤال الرابع المتعلق بقضية التعويضات المطروحة على البند وفق القانون ، ويلاحظ هنا ان البحث في هذه المسألة تركز في نقطتين اساسيتين : اولا ، قيمة التعويضات بحد ذاتها ، ثانيا ، التمييز ما بين البند وبين سكان مستوطنات سيناء الذين سيتم اخلائهم من المنطقة واعادة توطينهم من جديد في أماكن اخرى ، وربما في الاراضي المصادرة في النقب ، ثم التعويضات المبالغ بها المطروحة عليهم .

بالنسبة للتعويضات للسكان البند ، فان قيمتها وفق مشروع القانون تعتبر مهزلة وتمييزا ، ربما لم يسبق لهما مثيل حتى الآن . فقد كشفت لجنة فرعية

كانت ردة فعل السكان البدر عنيفة ، خاصة بعدما اتركوا عدم جدوى التوجه الى المحاكم ، في المحافظة على اراضيهم وحقوقهم . وشاركهم في ردة فعلهم هذه السكان العرب في الجليل وشبهه من المناطق العربية الاخرى التي تتعرض لعمليات مماثلة من مصادرات الاراضي والممتلكات والاضطهاد . وربما تكون تلك المظاهرة التي شارك فيها الالف العرب ، في اواخر تموز الماضي ، امام مبنى الكنيست ، أبرز تعبیر لخالصة الغضب والاحتجاج التي تتغلب العرب في اسرائيل . فقد هدف المتظاهرون ، لا تنازل عن اراضيهم ، نعم للتطوير لا للسلب ، ، ومع السلام وضد طمس الحقوق ، ، الدخول الى المحاكم الاسرائيلية محظور على الكلاب والسيو ، ، اليسوي ليس فولكورا وانما انسان ، ، يجب وقف مصادرات الاراضي وهدم البيوت ، ، بالروح بالدم تفديك يا جليل ، ، ليسقط الاحتلال وفلسطين عربية ، (عل همشمار زوهايديج ، ٧٩/٨/١) .

الجليل «والخطر العربي»

في الوقت الذي كانت فيه هذه الهتافات تنطلق امام باحة الكنيست ، كان هناك اجتماع منعقد في مبناه بين وفد من رؤساء المجالس المحلية اليهودية في الجليل ، ومجموعة من نواب كتلة ليكود ، وبعض الصحفيين . وقد جاء هؤلاء ، يشكون همهم بصوت ملؤه الاسى ومثير للشفقة [بسبب] نجاح الهجوم العربي المتواصل لاحتلال اراضي الجليل بهدف منع الاستيطان اليهودي في المنطقة ، وبضمان اغلبية عربية في المستقبل القريب ، كوسيلة اعداد ديمغرافي لطلب ديمقراطي يعمل في ضم الجليل الى القولة الفلسطينية التي ستقوم مستقبلا على انقاض الحكم الذاتي ، (حفاي ايشد ، دافار ، ٢ / ٨ / ٧٩) . وكان اول المتحدثين رئيس المجلس المحلي في روش - بينا ، المدعوتسفي راسكو ، حيث اعلن ان رؤساء المجالس اليهودية يمثلون ٢٠٠ مستوطنة يهودية في الجليل وغور الاردن وفي هضبة الجولان ، يعيش فيها نحو ٣٠٠ الف من اليهود . واضاف راسكو ان «يهود الجليل كانوا يشكلون قبل خمس سنين ٥٢٪ من سكان الجليل ، الا انه في سنة ١٩٨٠ ، يتوقع ان يتبادل عددهم مع العرب ، ، واضاف ان «مديرية يتعادل اسرائيل تملك ٧٧٠ الف نونم من بين ١.٦ مليون نونم في الجليل

من اصل بدوي ، في مقابلة له مع معاريف (٢ / ٨ / ٧٩) هذا القانون يانه ، اول قانون في اسرائيل يتعلق عن سابق قصد وعلنا بصراحة بدون خجل ، ليس بجميع السكان ، وانما بالسكان البدو في النقب فقط . لذلك فهو قانون عنصري بارز ، . ويتساءل ابو ربيعة « لماذا يسري هذا القانون على البدو فقط وليس على اليهود سكان يميث ؟ فكلاهما ينبغي اخلاؤه في وقت محدد ، كي لا تضطر اسرائيل الى خرق معاهدة السلام ، . ويمكننا ان نذكر مدى التمييز الذي يتحدث حوله ابو ربيعة وغيره اذا ما تطرقنا الى القيم الفعلية للتعويضات التي ستدفع للبدو في إطار هذا القانون ، فميرجيه : كل من يملك ١٩٩ نونما يستحق نونما واحدا مقابلها ، ومن يملك ٢٩٩ نونما يحصل على ٢ نونمات ، ومقابل ٤٠٠ نونم يحصل على ٤ نونمات ، اما العائلة المكونة من ٢٠ نفرا ، والتي تملك ٥٠ نونما أرضا زراعية خصبة مغروسة بالاشجار المثمرة ، وتملك مسكنا ويتر مياه عذبة ، فيحق لها الحصول على ٤ نونمات وتعويضات قصوى بقيمة ٢٢٠,٠٠٠ ليرة ، اي « ثمن نصف غرفة في حي من الاحياء الفقيرة في اسرائيل » (عاموس كيثان ، يديعت احرونوت ، ٢٠ / ٧ / ٧٩) . ورغم ذلك فان هذه العائلات تعتبر سعيدة الحظ بالنسبة لعظم العائلات الاخرى التي سنكتفي بتعويضات قيمتها ٢٢٠,٠٠٠ ليرة ، و ١٤٠,٠٠٠ ليرة ، وبالطبع ان تستطيع هذه ايجاد مكان سكن بديل بهذه المبالغ ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان شراء مسكن بسيط جدا في اسرائيل ، وحتى بفائه ، يكلف حاليا وكحد اثنى ما بين نصف مليون الى مليون ليرة . وهناك ايضا عائلات تسكن الاكواخ ، تتراوح التعويضات التي تستحقها ، وفق القانون ، ما بين ٦٥٠٠ - ١٢٠٠٠ ليرة (من المقابلة مع يونس ابو ربيعة ، معاريف ، ٣ / ٨ / ٧٩) . اي اجرة عامل في الشهر .

لقد بدأت السلطات الاسرائيلية تنفيذ عملية المصادرة لاراضي البدو في النقب ، حتى قبل المصادقة على مشروع القانون نهائيا في القراءة الثانية والثالثة ، اذ اعلن وزير العدل ، شموئيل تامير ، ان لجنة خاصة بدأت المفاوضات مع البدو في تل - ملحاتا (تل - المالحه) بهدف اخلائهم من منطقة تبلغ مساحتها ٨٧ الف نونم في مرحلة اولي ، من اجل البدء في القامة المطار العسكري (عل همشمار ، ٦ / ٨ / ٧٩) .

التفاح عن أراضيهم بواسطة التصدي للجرافات الاسرائيلية، التي كانت في طريقها للاستيلاء على مساحة من اراضي القرية واعادتها لاقامة مرصد عليها بهدف تحويله الى مستوطنة فيما بعد . وقد اعتقل العديد من سكان قرية معلبا بتهمة التعرض لممتلكات العولمة ورجال الشرطة .

الا انه يبدو ان معارضة مصادر الاراضي ، و تهويد الجليل ، ليست الامور الوحيدة التي تثير حملة التحريض ضد العرب خاصة في الجليل ، وانما هناك مسألة تماثلهم مع القضية الفلسطينية ، والخط الذي تطرحه منظمة التحرير الفلسطينية في النضال والتحرير . ومن هنا جاء تصريح قائد المنطقة الشمالية العميد الفيغورين - غال ، الذي اعلن امام مجموعة من النواب الاسرائيليين الذين كانوا يتفقدون المستوطنات في هضبة الجولان ، من ان النصف مليون عربي الذين يعيشون في الجليل هم ، سرطان في قلب العولمة . ان هؤلاء العرب يتمثلون مع م . ت . ف ويحصلون منها ومن الدول العربية على المساعدة ، ويمتدحون انفسهم قوة طلابية للاوساط القومية العربية ، فينتظرون فرصة للانقضاض علينا . لذلك يجب الاهتمام بالاستيطان في الجليل اكثر من الجولان - سبارش ، (٧٩ / ٨ / ٩٠) .

اثار تصريح بن - غال ، هذا موجة شديدة من الاحتجاج لدى العرب في الجليل ، وصلت الى حد مطالبة سكرتارية لجنة رؤساء المجالس المحلية العربية بوزير الدفاع باقتلاع بن - غال من منصبه . اما بالنسبة للرأي العام الاسرائيلي فقد انقسم بين مؤيد له ومعارض . فعلى الصعيد الرسمي اكدت الحكومة الاسرائيلية بتوجيه تويبج ، عبر وزير الدفاع ، الى بن - غال ، مقاده ان عرب الجليل هم مواطنو اسرائيل وليس من حق احد توجيه اللوم لهم . (المصدر نفسه) . اما على الصعيد العام فقد اقتصرت المعارضة على الاوساط الاسرائيلية اليسارية فقط مثل الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راجع) وكتلة شيلي ، وحركة حقوق المواطن . فقد علق النائب اوري الفخري على تصريحات بن - غال بقوله : « لقد تسببت اقواله في ازعاجنا بشكل كبير ، ماذا كنا سنقول لو أعلن جنرال امريكي بأن اليهود هم سرطان في جسم العولمة الامريكية . لقد طلبنا باسم اللجنة السياسية لحركة شيلي من وزير الدفاع عزل قائد المنطقة الشمالية من منصبه حالا واصدار

الابسط ، الا ان العرب سيطروا على ٢٢٠ الف دونم من هذه المنطقة ، لذلك فهم ليسوا بالمساكين او المسلوبين » (يتسحاق شور ، عل همشمار ، ٧٩ / ٨ / ١) . وزعم راسكو ايضا ان الاراضي التي باءت في حوزة مديرية العقارات ، لا تعتبر صالحة للزراعة في معظمها ، واذاما الاسرائيليون رغبوا الاستيطان بها حاضرا او مستقبلا فينبغي وقف اقامة ٢٢ مرصدا . اما الهدف من انتظام عرب الجليل ، بما في ذلك مظاهراتهم الكبيرة امام مبنى الكنيست ، فهو ضمان استمرار السيطرة العربية على اراضي الدولة واحباط عملية رصدتها ، حفاي ايشد ، دافار ، ٧٩ / ٨ / ٢) .

كذلك ادعى رئيس المجلس المحلي في متحاميا ، بني شليطا ، « انه لن يبقى فراغ في الجليل خلال فترة قصيرة ، واذ لم تجر اقامة المراسد خلال زمن قصير ، سيستولي العرب على اراض اضافية تابعة لمديرية عقارات اسرائيل ، واضاف شليطا مؤكدا قول زميله راسكو ، ان المراسد التي تجري اقامتها في الجليل تهدف الى الحفاظ على احتياطي الارض للاستيطان اليهودي ، فالعرب في الجليل يعارضون المشروع الصهيوني في المنطقة من اساسه . انهم غير مسلمين بقيام دولة يهودية ، واذ ما قامت دولة عرفانية فيسندون اليها » (يتسحاق شور ، عل همشمار ، ٧٩ / ٨ / ١) .

كذلك تحدث رئيس المجلس الاقليمي للجليل الغربي (الاسفل) بني غور فينكل فقال انه يعيش في هذه المنطقة ٧٠٠٠ يهودي ، في ١٦ مستوطنة ، مقابل ٤٦٠٠٠ عربي في ٨ قرى كبيرة . واذ منحت الحكومة المضطية في الميزانيات ، فلن تكون هناك صعوبة في توطين اليهود في الجليل بسرعة ، (المصدر نفسه) . وحسب قول رئيس المجلس الاقليمي للجليل الاعلى ، شمعون كروش ، فان « الحكم الذاتي سيتحقق في الجليل وليس في الضفة الغربية » (المصدر نفسه) .

حملة تحريض واسعة

تثير حملة المعارضة والاحتجاج التي يقودها العرب في اسرائيل ، ضد مصادر اراضيهم والتعدي على حقوقهم ، الرأي العام الاسرائيلي ضدهم وبترجيح من السلطات الرسمية ، كما حدث مع سكان قرية معلبا في الجليل الاعلى ، الذين حاولوا

لقد تحدث بن - غال، حول المساعدة التي تمنحها م.ت.ف لعرب الجليل، أن هذه الأمور لم تعد سرا ، والمساعدة ليست شفهية وأخلاقية فقط .. (تصفيي البيليج ، يدبوعوت احريوت ، ٧٩/٨/١٢) .

يلاحظ ان حملة التحريض ضد العرب تزداد يوما بعد اخر ، بسبب « جرة » هؤلاء على تأييد قضيتهم والدفاع عن حقوقهم فأقوال العميد بن - غال لم تات في فراغ . ففي هذه الايام .. تنصاعد حملة التماثل بين عرب ارض - اسرائيل مع النشاط الفلسطيني، وهو للنشاط المعادي حسب رأي يهود اسرائيل ... والكراهية والحقد لا يعودان الا بالمثل ، وعلى العرب الا يفكروا ان بإمكانهم تدمير السيادة اليهودية نون ان يتلقوا ردا من اليهود وبالعملة نفسها . وإذا وجد هناك بين اليهود من يقول ان افضل رد هو التجاهل ، او مصالحة اولئك الذين يحملون لواء الكراهية والسائرين وراءهم ، فان هذا الرد ليس رد مجتمعي بطبع في الحياة .

« من الافضل ان تكون اقوال بن - غال ... تحذيرا لمن يساوره الاعتقاد ان اليهودي الاسرائيلي الذي اقام هنا تولته المستقلة ، وسفك دمه ودم ابنايه في الدفاع عنها ، سيسلم بالحصص الذي رسمته له م.ت.ف ويؤيدوها وأتباع مؤيديها . ويجب ان نضيف ونقول انه اذا لم تكف التحذيرات ، فستعقبها امور اخرى : فالتطرف ليس لعبة تخص لاعبا واحدا فقط » (ا. شفايتسر ، هارتس ، ٧٩/٨/١٤)

وينبغي عدم الاستخفاف بهذه الحملة المعادية للعرب في اسرائيل ، اذ انها تختلف هذه المرة عن الحملات التي كانت تشن ضدهم في الماضي . فبفضل الحرب في اسرائيل الآن لم يعد يقتصر على الدفاع عن حقوقهم المعيشية ورفع الظلم والاضطهاد وانما تعدي ذلك ليصبح شكلا من اشكال النضال الفلسطيني واهدافه . فالدفاع عن ارض الجليل والنقب هو قضية قومية ، وقيل كل شيء ، وليست قضية تعويضات وقوانين عنصرية لم تعد تفاجيء احدنا عن العرب . والنظرة الى الاستيطان الاسرائيلي ، في الجليل ، لم تعد تختلف لدى معظم العرب في اسرائيل ، من نظرتهم الى الاستيطان في المناطق المحتلة ، لذلك ، فالقولوع للمستقبل يتمثل في ازدياد حدة الواجهة ، وليس تخفيفها ، كما يأمل بعض الاسرائيليين .

ح + ش

الوامر الواضحة لجميع ضباط الجيش بالامتناع عن الالاء بتصريحات كهذه ، والتي لا تلتصق نصف مليون من مواطني اسرائيل بحسب ، بل تنس ايضا مسا خطيرا بأمن الكولة على المدى البعيد . كيف سنطلب من العرب الاخلاص للكولة في الوقت الذي ينظر فيه قادة المناطق اليهم على انهم خونة وسرطان « ر.ل.ر ، ٩ ، و ٧٩/٨/١٠ ، العدد ١٨٤٥ ، ص ٤)

الا ان معظم التعليقات وروود الفعل الاسرائيلية جاءت مؤيدة لأقوال بن - غال ، خاصة من جانب رؤساء المجالس المحلية والرجالات العامة في الجليل ، الذين اعلتوا عن تماثلهم الكامل مع قائد المنطقة الشمالية . فقد اعلن شفيي راسكو ، ورئيس مجلس رورش - بينا المحلي باسم مجموعة من رؤساء المجالس المحلية ، انه ورفاقه يؤيدون اقوال العميد بن - غال « المخلص والصريح ، لانه من خلال معرفتنا للوضع من المنطقة عن كثب ندرك ان وصف العميد للعرب والعي (معاريف ، ٧٩/٨/١٠) .

كذلك دعمت وسائل الاعلام المختلفة ، خاصة الصحف البارزة القريبة من السلطة ، اقوال بن - غال معتبرة ان هدف « اولئك الذين يطالبون براسة » ليس سوى تحقيق ربح سياسي ، اذ « هل القوال (بن - غال) خطيرة فقط ؟ والواقع - هل هو افضل ؟ ربما يستحسن بدلا من الهجوم على قائد المنطقة الشمالية ، التوقف لحظة والتفكير بتلك الواقع الذي يهدد الطابع اليهودي - الاسرائيلي في الجليل ومجمل العلاقات ما بين العرب واليهود هناك ... ان المشكلة في الجليل لا تتمثل فقط في النسبة ما بين عدد اليهود والعرب ، انها قبل كل شيء مسافة طيبة العلاقات بين الاسرائيليين من ابناء الشعبين واضح بالطبع . ان هناك امرا حيويا بالضميمة لاسرائيل ووجودها يحتم وجود اكرثية يهودية في المنطقة قدر الامكان . ولكن هل علاقات الجوار اقل اهمية ؟ وما هو [مصير] مواطن من نهارييا يرغب في السفر الى معلوت بعد غروب الشمس ، الا انه يخشى تلك خولما من التعرض له من جانب سكان قرية عربية . هل تعرفنا الكمي يساعد في هذه الحالة ؟ ثمة مشاكل في الجليل ، وهناك تطرف في اتجاه معاد لاسرائيل ، ومؤيد لمنظمة التحرير . هناك تماثل مع اصدقاء اسرائيل ... وعداء متزايد تجاه اليهود ... ربما تعبر الغلبة عنه فقط ، ولكن الامور لا تقاس هكذا . انها تقاس بالموافقة الشاملة من جانب مجمل السكان مع التصرف العدائي الذي تظهره الغلبة تجاه الكولة ...

اسرائيل مستمرة في محاولات تشويد قبضتها على المناطق المحتلة

● ردود الفعل على قرار شراء الأراضي

على أرضية مفاوضات الحكم الذاتي بين اطراف كامب ديفيد ، وفي اجواء التصريحات الاميركية بشأن الاعتراف بخقوق الشعب الفلسطيني ، وردية من اسرائيل في الاسراع بخلق امر واقع في الضفة الغربية وقطاع غزة ، من خلال توسيع المستوطنات اليهودية ، والسيطرة على الأراضي ، أصدرت الحكومة الاسرائيلية في ١٦/٩/١٩٧٩ قرارا يسمح بموجبه لليهود بشراء الأراضي في المناطق المحتلة .

وفي اعقاب الجلسة التي اتخذ فيها القرار صرح معظم الوزراء الاسرائيليين بان حكومة بيغن اتخذت هذا القرار بناء على برنامج الليكود الانتخابي . وفسر اورييه نائو ر سكرتير الحكومة مغزى القرار بالقول : « بموجب الوضع القائم الآن ، كان كل شخص في العالم يتمتع بحق شراء الاراضي في هذه المناطق ، باستثناء اليهود الاسرائيليين . ولا يمكن تجريد انسان بسبب يهوديته او بسبب اسرئيليته من هذا الحق . ان حق الاتجار بالارض ، وبيعها ، وشرائها يجب ان يمنح للجميع بالتساوي ، وهذا هو مغزى قرار الحكومة » (ر ١ . ا . العدد ١٨٧٤ ، ١٦ و ١٧/٩/١٩٧٩ ، ص ٥) .

غير انه على الرغم من ذلك ، لا تتوقع المصادر الاسرائيلية ان يحل هذا القرار مشكلة نقص الأراضي اللازمة للاستيطان ، كما انه لن يساعد في ايجاد من يبيع ارضه من العرب . وقد اعتبرت والواتر التي

تعالج قضايا شراء الأراضي في الضفة الغربية ... ان القرار يشكل ضربة مفيضة لامكانية شراء اراض من العرب ، اذ ان التهديد [الاولئك] الذين يرغبون في بيع اراضيهم سينداد . ويأتي هذا التهديد من الايمن ومنظمة التحرير الفلسطينية (ر.ا.١ . العدد ١٧ ، ١٧ و ١٨/٩/١٩٧٩ ، ص ٢) . كما علم ، ان السنة الاخيرة لم تشهد اي صفقة لشراء اراض عربية ، ويعتقد خبراء بشراء الأراضي ، ان القوارن يؤدي الى تحسين الوضع ، ويتوقعون حدوث العكس ، (المصدر نفسه) .

وبراي حنان بورا ، عضو سكرتارية غرش ايمونيم ان هذا القرار لن يكون ، بديلا لمصاهرة الأراضي للأغراض العامة والقومية ، مشل الاستيطان .. وهو يأمل في ان لا يأتي هذا القانون للتخلص من هذه الضرورة ، اي مصاهرة الأراضي في هذه الظروف الصعبة التي تعيشها عشية الحكم الذاتي ، (ر.ا.١ . العدد ١٨٧٨ ، ٢٠ و ٢١/٩/١٩٧٩ ، ص ١٤) .

ويبدو ، من ناحية ثانية ، ان القرار الاسرائيلي وقع كالمصاعقة على السكان العرب ، الذين يفشون من .. ان يشكل ... من الناحية السياسية ... خطوة اضافية لازالة العواجز . بين اسرائيل والمناطق [المحتلة] ، (ك . امنون ، عل هعشمار ، ٢٠/٩/١٩٧٩) . وكان ذلك اكبر الأثر في إفضال محاولات السلطات الاسرائيلية ، ايجاد اراض لاقامة مستوطناتهم وتوسيعها . فقد بحث ، مثلا ،

تتغير موافقه ، كما انه لن يفرط في مقر عظام ابيه
واجداه وخبزه وعمله وعزته وكرامته ، ولن يسمح
بمرور اي قرار لاعادة تهجيريه وتشريدته الى أي
أرض ، ويصبح بلا وطن ولا انتماء ، (فلسطين
الثورة ، ١٩٧٩/٩/٢٠) .

وفي الخليل ، اصدر المجلس البلدي بياناً استنكر
فيه بشدة هذا القرار واعتبره تطبيقاً عملياً للعمارة
المشتركة التي نسجت خيوطها في كامب ديفيد . واكد
المجلس في بيانه ، على ان ارادة الشعب الفلسطيني
ان تنكسر أو تلين حتى نيل حقوقه كاملة في وطنه
(المصدر نفسه) .

وارسلت بلدية غزة ، برقية احتجاج طويلة الى كل
من رئيس الحكومة الاسرائيلية ، ووزير الدفاع ،
وقائد منطقة غزة ، والرئيسين كارتر والسادات ،
وكورت فالدهايم سكرتير الامم المتحدة ، والى لجنة
حقوق الانسان في جنيف ، جاء فيها : ان هذا
القرار ، سيكون اشارة للمتطرفين اليهود مثل غوش
ايويم ، وجماعة ارض - اسرائيل الكاملة ، لشراء
الاراضي من العرب ، وتحويلها الى مستوطنات
اسرائيلية لمنع حل المسألة الفلسطينية ، التي هي لب
المشكلة في الشرق الاوسط ، واضافت البرقية :
« اننا متأكدون من ان العرب لن يبيعوا الارض التي
يملكونها ، لكن هناك اراض عامة ، لا توجد أي
حقوق لسلطات الاحتلال بالتصرف فيها ، وان
مجلس بلدية غزة يرى بهذا القرار برهانا على عدم
رغبة حكومة اسرائيل في اقرار السلام ، حيث انه
يعارض كل الاعراف النووية ، ويعارض موثيق
جنيف المتعلقة بالاراضي المحتلة ، (عل همشمار ،
١٩٧٩/٩/١٩) .

الاستيطان في الاراضي المحتلة

« يعتبر ما يقوم به شارون عملاً بطولياً ، لكنه لا
يكفي ، ان يجب ايجاد إجماع داخل كتلة الليكود
للمضغ على الحكومة ، بهذه العبارة عبر مرديخي
تسيبوري نائب وزير الدفاع عن حقيقة مواقف كتلة
الليكود ، التي اجتمعت يوم ١٩٧٩/٩/١٢ لبحث
قضية الاستيطان في الاراضي المحتلة ، حيث دعت
الحكومة ، لطرح خطة رئيسية للاستيطان لمنع
النقاش الدائم ، والازمات السياسية عند إقامة كل
موضع استيطاني جديد ، (عل همشمار
١٩٧٩/٩/١٤)

سكان مستوطنة كريات اربع عن عربي مستعد لبيع
أراضيه فلم يجدوا ، فالمستوطنة ، كما يقول احد
مستوطنينها ، بحاجة الى اراض كثيرة لتوسيعها ،
لتصبح مدينة كبيرة ولكن ، لم نجد احداً من العرب
يبيع الأراضي المطلوبة ، (را ، ١ ، العدد ١٨٨٢ ، ٢٨ ،
١٩٧٩/٩/٢٩ ، ص ٧) . وكذلك قام سكان
مستوطنة بيت حورون بعدة محاولات لشراء الاراضي
من العرب لتوسيع مستوطنتهم ، باقت كلها
بالفشل . ويرى اسحاق لوري ، سكرتير
المستوطنة ، ان العرب لا يبيعون اراضيهم لانهم
غير مهتمين بالامر ، ولم تسفر كل المحاولات ، الا
عن عقد صفقة صغيرة ، كانت حجميتها مساحه ١٤
دونما ، ولم يبد العرب أي استعداد لبيع المزيد ،
(المصدر نفسه) .

وكانت ريدو الفعل على هذا القرار في الأوساط
العربية ، واضحة واطمعة في رفضها له شكلاً
ومضموناً ، واعتباره خطوة على طريق ضم المناطق
المحتلة لاسرائيل . ويرى بسام الشكبة رئيس بلدية
نابلس ، ان هذا القرار يفسر مشروع الحكم الذاتي ،
بمعنى « حكم ذاتي للسكان بدون وطن » ، (عل
همشمار ، ١٩٧٩/٩/١٩) . أما رئيس بلدية
حلمون فقد أعلن ان القرار هو نذيرة للسيطرة على
أراض اخرى ، لان اسرائيل تتنزع بالامن ،
وتصادر الاراضي للاستيطان ، (را ، العدد
١٨٧٤ ، ١٦ ، ١٩٧٩/٩/١٧ ، ص ٩) .

كما دعا ابراهيم الطويل رئيس بلدية البيرة ، الى
الضرب بيد من حديد ، على كل من يبيع أرضاً من
اراضي فلسطيني (المصدر نفسه) .

واصدرت الهيئات النسائية في الضفة الغربية
بياناً استنكرت فيه القرار ، ودعت الى انفضاله
والتصدي له ، وجاء في البيان : « اما وان الاعلان
العالمي لحقوق الانسان ينص ... على انه لا يحق
تجريد أحد من ملكه أو ارضه بالقوة ، فان قرار
الحكومة الاسرائيلية ، السماح لليهود باستملاك
الاراضي في المناطق العربية المحتلة ، لا يكفي القول
فيه انه باطل ، أو غير شرعي ، أو غير منطقي
فحسب ، بل انه يلزم العالم العربي بالتحرك السريع
لاسقاطه فانونيا ، ونوليا ، وتوضع النول الموقعة
على ميثاق حقوق الانسان امام التزاماتها ،
وأضاف البيان : « ان الشعب الذي افتدى ارضه
بدمائه منذ ان كان له وجود وموافق وتاريخ ، لن

يقوم السكان من القرى المجاورة بغرس الأشجار ،
مما يشير الى نواياهم بوضع اليد على الاراضي
هناك . كما بدأ السكان باستصلاح اراض
صحراوية على طول طريق ارنس همفراسم ، والتي
تسمى ايضا مشروع الوين ، (ر.أ.ا. ، العدد ١٨٧٦ ،
١٢ و ١٩/٩/١٩٧٩ ، ص ١٢) .

وطرح رengan فايتس رئيس دائرة الاستيطان في
الوكالة اليهودية امام رؤساء المنظمة الصهيونية
مشروعاً لاقامة ١٤١ مستوطنة خلال ثلاث سنوات ،
منها ٢٦ في الضفة الغربية ، ١١ في وادي الاردن ، ٩
في الجليل ، ٨ في مرتفعات الجولان ، ٢ في غوش
عتميون .

وفي معرض استعراضه لارضاء المستوطنات ،
اعترف فايتس انه من اصل ١١٠ مستوطنات اقيمت
بعد حرب ١٩٦٧ ، يوجد ٧٠ منها في وضع اقتصادي
صعب ، وان تسعا من المستوطنات الجديدة وضعها
الاقتصادي جيد . واقترح فايتس بناء ٦٢٢ وحدة
سكنية باستثمار يبلغ خمسة مليارات وخمسمائة
مليون ليرة اسرائيلية ، حيث تكلف كل وحدة سكنية
٧٥٠,٠٠٠ - ٨٥٠,٠٠٠ ليرة . وفي المستوطنات
التي لا يوجد فيها قاعدة تحتية ، تكلف الوحدة
السكنية مليون ليرة . (عمل همشمبار ،
١٩٧٩/٩/٢٤) .

كما ادلى منتياهو دويليس الرئيس الثاني لدائرة
الاستيطان بالوكالة اليهودية ، بتلوه في طرح
مشايرح الاستيطان بالضفة الغربية ، واقترح
توسيع المستوطنات القائمة حول مدينة نابلس ،
بحيث تحاط بأربع كتل استيطانية ، وتعتبر كل من
مستوطنات ترمسا ، وشاتي شومرون ، زكيدريميم
والون موريه طليحة هذه الكتل (ر.أ.ا. ، العدد
١٨٧٦ ، ١٨ و ١٩/٩/١٩٧٩ ، ص ١٥) .

ودعا مجلس مستوطنات الشمال والجولان ،
الحكومة الاسرائيلية للتفويض السريع لمشروع الغشرة
الاف ، الهانف الى اسكان الجولان بعشرة الاف
مستوطن حتى اوائل الثمانينات ، لمساعدة السكان
اليهود في الجولان . وطالب رئيس المجلس ، الحكومة
بان تبنى في الجولان منطقة ذات اهمية عالية ليس
فقط بالسلام ، وانما بالعمل (دافار ،
١٩٧٩/٩/٢٠) .

وفي غزة ، اثار رشاد الشوا رئيس البلدية امام

وتحدث شارون رئيس اللجنة الوزارية لشؤون
الاستيطان امام اجتماع الكتلة ، فنكر ان مشروع
الاستيطان في الضفة الغربية يواجه صعوبات
كبيرة ، وانه مقتنع بان الحكومة ستساعده في تخطي
هذه الصعوبات . وادعى ان القاعدة التحتية قائمة
الآن في الضفة الغربية لاستيعاب مئات الالاف من
السكان (المصو نفسه) . وفي نهاية النقاش ،
اتخذت كتلة الليكود قرارا بالاجماع ، يدعو الحكومة
الى الالتزام بنشر مشروع رئيسي للاستيطان وعليها
ان تعمل بسرعة لحل مشكلة الاراضي الناقصة
لمستوطنات مرتفعات الجولان ، ووادي الاردن ،
والضفة الغربية وقطاع غزة ، لكي يمكن تثبيتها ،
واستمرار تطورها (المصدر السابق نفسه) .

وكشف الدكتور بن اليسار ، مدير مكتب رئيس
حكومة اسرائيل الاسباب الكامنة وراء إقامة
المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة ، رغم كل
الانتقادات الموجهة الى السلطات الاسرائيلية في هذه
الفترة ، بقوله انها معدة ، لمنع قيام دولة
فلسطينية ... فكل عمل يمنع قيام دولة فلسطينية
يدفع السلام الى اسام ، ومستوطناتنا في الضفة
الغربية شرعية ، ليست مجرد نزوة ، بل هي حقيقة
ناجئة من سياستنا (ر.أ.ا. ، العدد ١٨٧٦ ، ١٢
و ١٩/٩/١٩٧٩ ، ص ١١) .

واستطردا لهذه السياسة الرسمية الواضحة
للسلطات الاسرائيلية ، تحرك مستوطنوا كريات
اربع ، وحطموا السياج المقام حول مستوطنتهم ،
لاقامة مستوطنة جديدة مؤقتة ؛ لانهم ، حسب
قولهم ، ضاقت ارضا من الوعود التي اعطيت لهم
لتوسيع مستوطنتهم ، والتي لم يقد شي منها حتى
الآن . واضاف سكان المستوطنة ، ان كريات اربع
تحولت مؤخرا الى غيتومفلق ، ومحصور داخل مدينة
القليل الكبيرة . وقد استغل العرب هذا الوضع
ويشوا عشرات المنازل والمساجد ، متفخزين ، من
اموال المساعدات السعودية . وبذلك فانهم يحققون
سيطرة على المناطق الخالية ، والهدف هو منع تطور
القرية (هاتسوفيه ، ١٩٧٩/٩/١٤) .

ووصف مراسل الاذاعة الاسرائيلية ، اسلوب
المواطنين العرب في مقاومة الاستيطان اليهودي
بقوله ، ان العرب يبنون منازل سكنية دون
ترخيص ، على طول طريق حوتسيه شومرون قرب
قريتي حارس ويديا . وبالقرب من مستوطنة ريجان

صادرات سلطات الاحتلال ٥٠٠ دونم ، تعود ملكيتها لسكان قرية اسكوبا في منطقة غوش غتسيون ، من اجل توسيع مستوطنة روت نوسوريم .

اما صاحب الارض ابراهيم عودة ، المتسك بارضه المصارة بعناد ، فقد تغيب عن المكان ، لانه لا يريد ان يمثل لامر الحاكم العسكري . (هارتس ، ١٩٧٩/٩/٢٠) .

منسق الأعمال في المناطق المحتلة اللواء داني مات ، والحاكم العسكري العميد اسحاق شيف ، ما تريد مؤخرًا حول احتمال اقامة مستوطنة جديدة بالقرب من بيت لاهيا شمالي غزة (را ، ١ ، العدد ١٨٩٠ ، ١٠ و ١١/١٠/١٩٧٩ ، ص ١٢) .

والامر المثير للدهشة هو انه بينما تحدثت السلطات الاسرائيلية عن مشاريع وخطط كثيرة لاقامة مزيد من المستوطنات الجديدة ، فان الحالة التي تعيشها المستوطنات سيئة جدا ، سواء من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية . ويتضح من احدي التحقيقات ان جميع المستوطنات مقامة في معسكرات مؤقتة ، وفي مبانى مصنعة مسبقا وهي تكلف طوال فصل الشتاء ، كما ان الطرق المؤدية الى المستوطنات غير معبدة ، وهي موحلة عند عطول الطر . ويعتبر وضع مستوطنة النون مورية أسوأ وضع تعافيه أي من المستوطنات ، لان الطريق المؤدية اليها ترابية ولا يمكن الوصول اليها في الشتاء ، كما ان المياه لا تصل اليها لعدم وجود انبوب للمياه ، ولا يجري تزويدها بالغذاء بصورة منتظمة ، فما يضطر الجيش الى استخدام طائرات الهليكوبتر بنقلات وبجهود كبيرة ، مع وجود اخطار نتيجة الرياح الشديدة التي تهب على المنطقة ، (عاموس ليف ، معارف ، ١٩٧٩/٩/٢٠) .

وعلق احدهم على النتائج التي توصل اليها رعدان فايقس ، حول مستقبل الاستيطان في الاراضي المحتلة ، فنكران المشكلة الاساسية هي في الاهداف السياسية لمشروع الاستيطان لحكومة الليكود ، والهدف هو اقامة مستوطنات عديدة بكل ما يمكن في الضفة الغربية من خلال الوهم ، ان الامر الواقع هو الذي يؤثر على تحديد مستقبل هذه المناطق . ولكن تعلمنا من قضية مستوطنات مشارف رفح ، والتي وافق بيغن وحكومته على اخلائها ، انه حتى المستوطنات التي اتفقنا عليها مليارات عديدة من الليرات ، مثل ببيت ، لا تضمن بقاء الاسرائيليين في المكان نفسه . ومن العسلل الاشارة ، الى ان المستوطنات العديدة التي لا يقدم لها ضمانات لاستمرار وجودها سوف تدمر قرابين لاقضية الاستيطان في الضفة الغربية ، (من افتتاحية على همشمار ، ١٩٧٩/٩/١٩) .

مصادرة الاراضي

واستمرارا في سياسات مصادرة الاراضي العربية المحتلة ، لاجابات توسيع ، وتكثيف المستوطنات ،

كما صادرات سلطات الاحتلال عشرين الف دونم من اراضي قريتي دير استيا ، والنبي سباط ، على طريق جنين - نابلس (عمل همشمار ، ١٩٧٩/٩/١٤) . وقد اشار اعضاء مجلس قرية دير استيا المجاورة لطريق نابلس - قلقيلية ، احتجاجا على مصادرة اراضيهم التي تبلغ ١٦ الف دونم ، ونكرت الاوساط الاسرائيلية ، ان المصادرة تمت لاجراض عسكرية (وهي حجة يخلفي وراءها الهدف الحقيقي للمصادرة) . وينتسق في المنطقة طرق تربط المستوطنات المختلفة في منطقة كرني شومرون ، ومن بينها مستوطنات كرني شومرون ١ ، وب ، وج (هارتس ، ١٩٧٩/٩/٢١) . ويقول يهودا ميون ، سكرتير مستوطنة كرني شومرون ، ان المكان سيشكل مستقبلا مدينة كبيرة على طريق قلقيلية - نابلس . سيقم فيها في الرحلة الاول ٢٥٠٠ عائلة ، وستقام هذه المدينة الجديدة عندما تتجمع المستوطنات القائمة الآن حولها ، وهي تبعد مسافة ١٥٠ دقيقة عن قلقيلية (المصدر نفسه) .

وصادرات سلطات الاحتلال كذلك ١٢٠٠ دونم من اراضي قرية طوباس العربية . واحتج سكان القرية لدى الحاكم العسكري على مصادرة اراضيهم ، التي تمت تحت حجة الضرورات الأمنية كذلك (را ، ١ ، العدد ١٨٨٩ ، ٩ و ١٠/١٠/١٩٧٩ ، ص ١٢) .

٣ - القضاة السياسي

على هامش الاجتماعات التي عقدها دايلان مع عدد من زعمات الضفة الغربية (راجع شؤون فلسطينية ، العدد ٩٥ ، تشرين الاول ١٩٧٩ ، ص ١٢٦) القس وزير الخارجية الاسرائيلي في ١٠/٩/١٩٧٩ ، مع انور الخليلي ، احد شخصيات القس ومن كبار الموظفين السابقين في الضفة الغربية ، وصرحنا الاوساط الاسرائيلية بعد

الأمريكي ، ان مشروع الحكم الذاتي لا يؤمن مطلبنا الاساسي ، الا وهو الحرية وأنشاء وطن قومي للفلسطينيين ، وؤنني ارفض مفاوضات الحكم الذاتي لأن منظمة التحرير هي التي تعقل موقف الشعب الفلسطيني ، (ر.أ . ١٠ ، العدد ١٨٧٠ ، ١١ و١٢ / ٩ / ١٩٧٩ ، ص ٢) .

وحول موضوع الاتحاد الفدرالي بين الضفة الغربية والأردن ، أكد فريج للسفير شتراوس ، انه بعد قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، يمكن اجراء مفاوضات مع الاردن لاقامة اتحاد يستند الى اسس ديمقراطية . (المصدر نفسه) .

واجتمع رشاد الشوا رئيس بلدية غزة يوم ١٨ / ٩ / ١٩٧٩ مع جيمس لينارد ، نائب رئيس الوفد الأمريكي في مفاوضات الحكم الذاتي . وصرح الشوا عقب اللقاء ، انه أكد وجهة النظر الفلسطينية حول المفاوضات القائمة ، وان منظمة التحرير هي المخولة اجراء اي مفاوضات ، اذا كان سيكتب لهذه المفاوضات اي نجاح ، (ر.أ . ١٠ ، العدد ١٨٧٧ ، ١٩ و ٢٠ / ٩ / ١٩٧٩ ، ص ١٢) .

وفي الاسبوع الاخير من شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٩ توجهت معظم شخصيات الضفة الغربية وقطاع غزة الى الخارج للاشتراك في مؤتمرات ونوبات عالمية عقدت لتأييد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وفي هذا السياق ، توجه رشاد الشوا ، الدكتور حيدر عبد الشافي ، والمحامي زهير الريس الى روما للاشتراك في ندوة فلسطينية نظمتها اللجنة الايطالية للتضامن والصداقة مع الشعب الفلسطيني (راجع التقرير الخاص عن الندوة في هذا العدد) كما توجه وفد القواسم الى جنيف للأداء بشهادته امام لجنة حقوق الانسان .

وتوجه بسام الشكعة ، وكريم خلف ، وتيمهم فهد القواسم الى واشنطن لحضور المؤتمر الفلسطيني - الأمريكي لتأييد الشعب الفلسطيني .

وفي شهادته امام لجنة حقوق الانسان في جنيف قال قواسم ، ان ٧٤ مستوطنة اقيمت في الاراضي المحتلة منذ الاحتلال حتى الآن ... وان هذه

انتهاء اللقاء ، ان تلك المباحثات تمت ضمن إطار اللقاءات التقليدية التي اجراها دايمان مع اشخاص من الضفة الغربية للأطلاع على آرائهم . ومن المعروف ان انور الخطيب سافر الى الاردن ، واجرى مباحثات رسمية مع رئيس الحكومة مضر بدران ومع شخصيات امنية رفيعة ، (ر.أ . ١١ ، العدد ١٨٨٩ ، ١٠ و ١١ / ٩ / ١٩٧٩ ، ص ٧) .

وصرحت مصادر في القدس الشرقية ، ان انور الخطيب اطلع في الاردن على الخطوات السياسية التي يتويها الآن اتباعها ، وعن النية والرامية لتشكيل طاقم مفاوضات من شخصيات فلسطينية مقرية منه ، (المصدر نفسه) .

ومن جهة اخرى ، ابدى كريم خلف رئيس بلدية رام الله ، استعداده للجلوس والحديث مع اسرائيليين مؤيدين للقضية الفلسطينية . ولكن فيما يتعلق بتمثلي اسرائيل الرسميين ، فانه ليس على استعداد للالتقاء بهم ، لانه لا يعتبر نفسه ناطقاً باسم الفلسطينيين . ووجه خلف انتقاده للفلسطينيين الذين اجتمعوا مع عوشي دايمان ، واصناف ، من ناحيتي فانا على استعداد للالتقاء بوزير الدفاع عوزر وايزمن فقط . ولكن اذا طلب دايمان ذلك ، فانا لست مستعداً لكفائه . وبماكاني الالتقاء مع وزير الدفاع لانه مسؤول عن المناطق المحتلة . واذا طلب دايمان الالتقاء بي فسأتمسحه بالتوجه الى عرفات ، وهذا وفقاً للمبادئ الوجيهة للفلسطينيين ، والتي تحظر عقد لقاءات واتصالات بناء على اتفاقيتي كامب ديفيد ، (ر.أ . ١٠ ، العدد ١٨٨٧ ، ٥ و ٨ / ١٠ / ١٩٧٩ ، ص ١٩) .

وشهدت الاراضي المحتلة تحركاً نشطاً لروؤساء البلديات والشخصيات الاخرى ، سواء داخل الضفة الغربية وقطاع غزة او بالاشتراك في مؤتمرات وندوات مؤيدة للقضية الفلسطينية في الخارج . ورغم معارضة السلطات الاسرائيلية لسفر معظم رؤساء البلديات الى الخارج للاشتراك في هذه المؤتمرات ، الا انها عانت وتراجعت عن ذلك .

وفي إطار مفاوضات الحكم الذاتي ، التقى روبرت شتراوس المبعوث الأمريكي الخاص برئيس بلدية بيت لحم الياس فريج في الفصالية الامريكية بالقدس يوم ١٦ / ٩ / ١٩٧٩ ، للاطلاع على موقف فريج من مسألة الحكم الذاتي . وقد أكد فريج للمبعوث

بلديات الضفة الغربية مؤلفة من الياس فروج (بيت لحم) ، حنا الاطروش (بيت ساحور) ، ابراهيم الطويل (البيرة) ، عودة زنتيس ، مساعد رئيس بلدية رام الله ، وعبد العزيز السويطي رئيس بلدية اريحا ، بزيارة قنصل اسبانيا في شرقي القدس ، وقدّموا له رسالة شكر على الاستقبال الذي جرى لياسر عرفات اثناء زيارته الرسمية لدريد . وجاء في الرسالة ، ان حكومة اسبانيا كشفت عن حقيقة كونها القوة الاولى في غرب أوروبا التي دعت عرفات لزيارة رسمية ، وأثبتت بذلك اعترافا حقيقيا بمنظمة التحرير ، وبحقوق الفلسطينيين (ر.ا.ر. ، العدد ١٢٩/٩/٢٥) . وقد اكد القنصل لرؤساء البلديات ، استمرار حكومته في سياستها المعروفة ، ومساعدة الفلسطينيين (المصدر نفسه) .

منع نشاط اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية

في اطار الاستعدادات التي يقوم بها الاسرائيليون لانشاء الحكم الذاتي ، واجراء الانتخابات البلدية ، اصدر الحكم العسكري يوم ١٠/١٠/١٩٧٩ قرارا بمنع انشاء اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية ، واوضح انه ستجري مطكمة كل من يعمل في اطار تلك اللجنة .

ويقول الحكم العسكري ، ان اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية كانت تنظيماً سرياً اهمت بتنظيم سكان المناطق ، وتنظيم عمليات الاحتجاج ضد اتفاقيتي كامب ديفيد ، كما شكلت حلقة الاتصال بين م.ت.ف وسكان المناطق .

وتضيف مصادر الحكم العسكري ، ان تلك اللجنة كانت مسؤولة عن اقامة المؤتمرات الكبيرة التي عقدت في نابلس وبيت لحم ضد اتفاقيتي كامب ديفيد ، وعن اعمال سرية اخرى ، وهي تضم بين اعضائها رؤساء بلديات رام الله ونابلس وحلحول ، اضافة الى شخصيات اخرى من الضفة الغربية وقطاع غزة . وشكلت اللجنة القاسم المشترك بين الهيئات الوطنية ، ويعتقد انها اقيمت بزعامة شيوبيسة (ر.ا.ر. ، العدد ١٨٩٠) ، ١٠ ، و١١/١٠/١٩٧٩ ، ص ١٠) .

وقال كريم خلف رداً على اجراءات الحكم العسكري في منع النشاط السياسي بالمناطق المحتلة ، انه من الصعب فهم موقف ادارة الحكم العسكري . فهي تمنعنا من مناقشة المسائل

المستهلكات تقام بحجة الضرورات الامنية الاسرائيلية . ويتساءل قواسمه ، من هو اوجح الى الامن ، اسرائيل التي هي اقوى دول المنطقة ، ام الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال ؟ وازداد قواسمه ، ان اسرائيل تغلق المدارس والجامعات وتطرد المدرسين الذين لا ينصاعون لاورامها ، وحذفت من برامج التعليم مقاطع تتعلق بالتاريخ العربي ، والتاريخ الاسلامي لانهم الطلاب انهم عرق ادنى ، كما جرى تغيير مقاطع من القرآن تتحدث عن اليهود واليهودية (ر.ا.ر. ، العدد ١٨٧٢ ، ١٣ و ١٤/٩/١٩٧٩ ، ص ١٦)

واثر عودة كريم خلف الى الضفة الغربية ، تحدث عن نتائج جولته في الولايات المتحدة ، واعرب عن تفاؤله لوجود تغيير في الولايات المتحدة . ولقد حدث هذا التغيير في وسائل الاعلام ، وفي المؤتمرات ، وفي الصحافة ، وحيثما تذهب تسمع الناس يتحدثون عن القضية الفلسطينية ، وان هناك شعبا اسمه الشعب الفلسطيني ، له حق العيش والوجود في دولة مستقلة (ر.ا.ر. ، العدد ١٨٨٧ ، ٨،٥ ، ١٠/١٠/١٩٧٩ ، ص ١٨) .

وكان رئيساً بلدية رام الله وبيت لحم قد حضرا مؤتمراً في الولايات المتحدة ، الاول ، المؤتمر الفلسطيني الامريكى الذي شارك فيه فلسطينيون من سكان الولايات المتحدة وكندا ، وكان خلف أبرز خطبائه ، والثاني هو مؤتمر لجنة حقوق الانسان ، الفلسطيني . وفي كلمته التي القاها خلف امام المؤتمر ، حدد اسباب وقوف الشعب الفلسطيني ضد اتفاقيات كامب ديفيد ، لانها تتجاهل كون القضية الفلسطينية تتركب من ثلاثة عناصر : الزعامة ، والشعب والارض . إن الاتفاقية تتجاهل الزعامة ، لانها تتجاهل م.ت.ف والشعب ، لانها تعتبرنا مجرد لاجئين وليس مواطنين ، والارض لكوننا نعارض ابقاء السيادة الاسرائيلية على المناطق (المصدر نفسه) .

واخيراً أكد خلف ، ان الفلسطينيين سيناضلون ضد الحكم الذاتي ، لكن ليس ضد السلام ، فنحن نريد للسلام ولكن ليس عبر الحكم الذاتي . وبما انني لا احمل السلاح فان الادارة العسكرية لن تتمكن من معاقبتي (المصدر نفسه) .

ومن جهة اخرى ، قامت مجموعة من رؤساء

وحيدا للشعب الفلسطيني امام كافة الهيئات والمجالس النوابية ، والتصدي لحاولات تنصيب النظام الاردني او اي نظام عربي اخر ناطقا بلسان شعبنا الفلسطيني او اعطائه اي دور في تقرير مصيرنا الوطني (الجريدة ، العدد ٩٢٦ ، ١٥/١٠/١٩٧٩ ص ٢٦) .

زيارة القدس جاكسون للضفة الغربية

في نطاق الزيارة التي قام بها الزعيم الاسود ، القدس جيسي جاكسون للمنطقة ، زار الضفة الغربية يوم ١٩/٢٦/١٩٧٩ اثناء زيارته الى اسرائيل ، وقد حاول جاكسون في لقاءاته مع الاهلين الفناعهم باتتاج أسلوب النضال الذي اتبعه السود في الولايات المتحدة لأن هذا الأسلوب ، كما قال ، يصح للفلسطينيين ايضا (ر.ا.١ ، العدد ١٨٨٦ ، ٢٦ و ١٩/٢٧/١٩٧٩ ، ص ٧) .

وفي حديث لصحيفة جورون تايم الصادرة في عمان ، قال جاكسون بعد انتهاء زيارته للضفة الغربية ، ان على اسرائيل التراجع الى خطوط ١٩٦٧ ، والتنازل عن شرقي القدس ، كشرط لسلام عادل أبدي ، وانه انضح له ، خلال جولته في الضفة الغربية ، ان المستوطنات الاسرائيلية تسلب الفلسطينيين الحياة ، وانه يرى الاستيطان عملا عنوانيا وأكثر خطورة من الوجود السوفياتي في كوبا . (المصدر نفسه) .

اضراب المعتقلين في السجون الاسرائيلية

في السابع من شهر تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧٩ أعلن المناضلون الفلسطينيون المعتقلون في سجون يثر السبع اضرابا مفتوحا ، حتى عرضت سلطات السجون لمطالبهم باعتبارهم اسرى حرب ، ومعاملتهم على هذا الأساس وفق القوانين الدولية .

وجاء الاعلان عن الاضراب في رسالة وجهها المعتقلون في سجون يثر السبع الى رؤساء بلديات الضفة الغربية ، تكشف الأوضاع القهورة، التي يعانيها السجناء ، وقالت الرسالة :

د تحية من المكبلين بقيود السجن ، وحسرة السجنان الى المكبلين بقيد السجن الاكبر ، سجون الاحتلال ، تحية من وسط الألم والمعاناة الى من هم جنديون باستيعاب مثل هذه الظروف . اتنا نترجوه بدعوتنا هذه الى اناس ليس مجرد الشعور تجاههم

السياسية من جهة ، في حين أنها تستشعرنا في السائل ذاتها من جهة اخرى ، وكان يشير بذلك الى لقاءات الزوار ذاتي مات منسق الاعمال في المناطق برؤساء البلديات . (المصدر نفسه) .

واستدعى الحكام العسكريون في بعض مدن الضفة الغربية والطاخ غزة ، اعضاء اللجنة التحضيرية للجهة الوطنية الفلسطينية واطلوعهم على الاراء الصادرة ، بموجب قانون الطوارئ ، الذي يعتبر هذه اللجنة تنظيما غير قانوني ، ويحظر عليهم ممارسة نشاطات في هذا الاطار .

وتصنيف المصادر الاسرائيلية ، ان وجود الكتور الختشة بين صفوف اللجنة التحضيرية ، وهو عضو رسمي في المجلس الوطني الفلسطيني ، يؤكد حقيقة انها انشط الخلايا السياسية للمنظمة في الضفة الغربية والقطاع . وان هذه اللجنة ارسلت قبل اسبوع رسالة الى ياسر عرفات ، تعهدت فيها باهباط مشروع الحكم الذاتي (ر.ا.١ ، العدد ١٨٩٦ ، ١١ و ١٢/١٠/١٩٧٩ ، ص ٩) .

وكانت الجهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة ، قد اصنرت برثامجا سياسيا شاملا ، ادانت فيه اتفاقيات كامب ديفيد ، وكل المشاريع الأخرى الهادفة الى فرض حلول على حساب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، واعلنت الجهة تمسكها بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني دون قيد او شرط ، وبكافة اساليب النضال ، وان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

واكد البرنامج ، على ضرورة التحالف والقلاحم مع حركات التحرر الوطني في العالم ، وتوطيد العلاقات مع المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي . وحدد ، برنامج الجهة الوطنية ، مهمات النضال الوطني الفلسطيني في المرحلة القادمة في مقاومة الاحتلال ، ودهره وتقرير مصير الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، والنضال لاهباط مؤامرة كامب ديفيد ، والمشروع التأميرية بكل اشكالها ، كمشروع الحكم الذاتي ، وهدشروع المملكة العربية المتحدة .

وشدد البرنامج على ضرورة النضال بلا هوادة ، من اجل الاعتراف بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا

بيرزيت مظاهرة طلابية كبيرة ، نظمها طلاب جامعة بيرزيت في ٧/١٠/١٩٧٩ . واعتقلت السلطات الاسرائيلية اثنى ذلك ١٨ طالبا (السفير ، ١٠/١٠/١٩٧٩) .

وفي القدس ، اعطت امهات الاسرى في سجن بئر السبع اضرابا عن الطعام في مكاتب الصليب الاحمر في القدس الشرقية احتجاجا على وفاة احد الاسرى نتيجة ضربة اثناء التحقيق (ر.ا.ا. ، العدد ١٨٩٠ ، ١٠/١١/١٩٧٩ ، ص ١٢) .

وعقد طلاب جامعة بيت لحم في ٩/١٠/١٩٧٩ اجتماعا للجمعية العمومية ، اعلنوا خلالها تضامنهم مع المعتقلين ، وقرروا بعد مناقشتهم الظروف والاضواح داخل سجون الاحتلال اتخاذ الخطوات اللازمة لمساعدتهم وموازنتهم وذلك بالاعتصام داخل حرم الجامعة ، وارسال وفد من الطلبة الى مقر الصليب الاحمر الدولي لشرح المعاناة التي يعيشها المعتقلون . وقرر الطلبة اصدار بيان يستنكرون فيه جميع التصرفات التي يمارسها الاحتلال في ارباب الجماهير والتضيق عليها (فلسطين الثورة ، ١٠/١١/١٩٧٩) .

ونتيجة لهذه التحركات لجماهير المناطق المحتلة ، اضطرت السلطات الاسرائيلية الى نفي الاخبار التي انتشرت عن وقوع جرحى داخل سجن بئر السبع ، بعد صدامات بين المساجين وسجانينهم كما كتبت هذه السلطات الانباء التي قالت ان احد المعتقلين استشهد نتيجة التعذيب في السجن (ر.ا.ا. ، العدد ١٨٩٠ ، ١٠/١١/١٩٧٩ ، ص ١٢) .

ورضخت سلطات الحكم العسكري لاهد مطالب المعتقلين في السماح بتحسين اوقات الزيارات من قبل ذويهم . واعطت مصادر الحكم العسكري ، ان اتفاقا تم مع الصليب الاحمر الدولي لتنظيم زيارات خاصة يوم ١٣/١٠/١٩٧٩ لذوي المساجين في بئر السبع ، وطلبت من المعنيين تقديم طلباتهم بهذا الخصوص الى معتقل الصليب الاحمر في القدس الشرقية . (ر.ا.ا. ، العدد ١٨٩١ ، ١١/١٢/١٩٧٩ ، ص ١٠) .

ع.م

بفهم واقعا بل ان من هم يتفاعلون مع هذا الواقع كتحالفهم مع الارض والقضية ، وايماهم بجمعية النصر والتحرير والعودة ، وتحقيق السلام العادل على ربوع ارض فلسطين الحبيبة . (فلسطين الثورة ، ١٠/١٠/١٩٧٩) .

واضافت الرسالة بموقف رؤساء البلديات المشرف ، ضد الحلول الاستسلامية التي يظن البعض انه يستطيع فرضها على الشعب الفلسطيني . ثم شرحت الرسالة اوضاع السجن وظروفه غير الانسانية ، وحالة المعتقلين الصحية المتدهورة ، حيث تقتلب بهم امراض القلب والجواسير ، وامراض العيون والجلد وغيرها ، ناهيك عن سوء التغذية ، وعدم توفر العلاج للمرضى من السجناء الذين تطلب حالتهم نقلهم الى المستشفيات .

واضافت الرسالة ، اننا لم نعتقد منذ الكرامة اكثر من ذلك ، فانوضع خطير جدا ، وقابل للانفجار ، وعليه وان لم يتم في الفترة الحالية ، أي تقدم ملموس في ظروفنا الاعتقالية ، ستقدم قريانا امام مذابح الطغيان والعدوان ، من اجل نيل حقوقنا ، وان فتورع عن دفع الثمن غاليا ، وسنبقى نناضل ما بقيت لنا ارادة في الثائر المؤمن .

« ول الختام لا بد ان نتوه لكم ويشكل جدي ، انه في الايام القليلة القادمة ، سيقدم المعتقل على حوض مرحلة نضالية وخطيرة ومرهون بموقفكم الذي تنتظر نتائجه بفارغ الصبر ، وكلنا أمل بمنظير مجهوداتكم وحسن تصرفكم وخصوصا ما زال مؤكدا لنا هذه الحقيقة ، حقيقة الجهود التي بذلتموها عندما اعلن اخواننا في النضال في سجن عسقلان اضرباهم التاريخي عن الطعام عام ١٩٧٦ - ١٩٧٧ المتصرم ، وانها لثورة حثسى النصر والتحرير ، (المصدر نفسه) .

وجرت تحركات شعبية في الضفة الغربية تاييدا لنضال المعتقلين في سجون الاحتلال ، ودعمها لطالبيهم في تحسين ظروف الاعتقال ، وقد جرت في

اسرائيليات

زيارة السادات الى حيفا شترابوس - ومفاوضات الحكم الذاتي

غير ان السادات قال بعد تلك مناقضا نفسه :
« لقد شغلنا البارحة واليوم في محادثات مكثفة في جميع المواضيع » (المصدر نفسه) . واكدنا لو استثنينا « العشر دقائق » التي حل فيها السادات وبيغن « خلافتهما » في موضوعي النفط وقمرات الامم المتحدة ، ثم استثنينا موضوعي الجنوب اللبناني والاستيطان الاسرائيلي في الاراضي المحتلة من المحادثات ، وفقا للتقرير المتضرب الذي قدمه رئيس الحكومة الاسرائيلية لاجراء حكومة ، في الجلسة الاسبوعية التي تلت الزيارة عن محادثات حيفا ، والذي كشف فيه عن انه « لم يبحث موضوع المستوطنات وموضوع العمليات العسكرية في الجنوب » في المحادثات التي اجراها مع الرئيس السادات في حيفا ، (ر. ا. ا. العدد ١٨٦٨ ، ١٩٧٩/٩/١٠) . لو وجدنا انه لم يتبق على جدول اعمالهما من المواضيع العالقة بينهما سوى موضوعي « الحكم الذاتي » و« مكانة القدس » . ولكن بيغن اكد ايضا ، في سياق تقريره امام الحكومة ، انه والسادات كانا قد بحثا هذين الموضوعين ، بخطوط عريضة فقط « (هارتس ، ١٩٧٩/٩/١٠) . وهذا يتم - كما عودنا في محادثائهما المفردة السابقة - خلال دقائق معدودة ايضا . ومن هنا يطرح السؤال ما الذي بحثه السادات وبيغن في محادثائهما المفردة المكثفة في حيفا ؟ وما هو الموضوع الذي استأثر بالجزء الاكبر من الوقت ، من بين « جميع المواضيع » التي بحثت خلال الثلاثة ايام من زيارة السادات ؟

الزيارة - اهداف غير معلنة

في السادس من ايلول انتهت زيارة الرئيس المصري الثالثة الى اسرائيل . ويجوز النظر الى وقائع هذه الزيارة وما اسفرت عنه من النتائج (انظر شؤون فلسطينية ، العدد ٩٥ ، تشرين الاول ١٩٧٩ ، ص ١٢٨ - ١٢٨) ، لا بد ان يثير الكثير من التساؤلات حول هذه الزيارة واهدافها غير المعلنة ، على الرغم من ان السادات نفسه ، كان قد اكد في مؤتمره الصحافي المشترك مع بيغن ، في ختام زيارته : « ان الهدف الاساسي لزيارتي كان لكي اواصل عملية تطبيع العلاقات والافتقاء بالشعب الاسرائيلي .. لقد بحثت الى حيفا كود لزيارة رئيس الحكومة الاسرائيلية لنا » (هارتس ومعاريف ، ١٩٧٩/٩/٦) . ثم اضاف السادات مؤكدا : « لم ات لانه كان بيننا خلافات في الرأي في موضوع النفط وقوات الامم المتحدة .. فاذا كانت اية خلافات في هذين الموضوعين ، فانا قد توصلنا الى اتفاق حولهما في عشر دقائق » (المصدر نفسه) . وكان الخلاف حول هذين الموضوعين ، على كل حال ، قد بحث بين اللجان الاسرائيلية - المصرية المشفركة المعنية ، خلال الزيارات الرسمية للمسؤولين من كلا الطرفين ، قبل (قيام السادات) بهذه الزيارة . ويعني ذلك ان هذه الزيارة كانت قد انتهت دون اية نتائج فعلية ، لكونها النتائج الوحيدة التي اعلن عنها في نهاية الزيارة ، لكي يكون لهذه الزيارة نتائج . وهذا ما يعزز الشكوك حول اهداف هذه الزيارة اكثر .

بينما حول مناخيم بيغن هذه « الفترة الملزمة » ،
 لفقرة زمنية مطاطة لا بد من الوصول خلالها لـ
 « تقدم فعلي » وليس لاتصافها . وهذا ما اكده
 الرئيس المصري في معرض رده على الصحافيين في
 مطار اللد بقوله : « في محادثاتي مع رئيس الحكومة
 مناخيم بيغن ، كنا مبركين للحاجة في الوصول الى
 تقدم بشأن القضية الفلسطينية ، بالقرب وقت
 ممكن » (هارتس ، ١٩٧٩/٩/٧) . وبذلك يكون
 قد اكده المعلومات التي شربيت ، من أنه « وافق على
 ان تستمر مفاوضات الحكم الذاتي ، وفقا للخط
 الذي رسم لها حتى الآن » (المصدر نفسه ،
 ١٩٧٩/٩/٦) .

جولة جديدة من المفاوضات

في الوقت الذي انتهت فيه محادثات الرئيس
 المصري مع رئيس الحكومة الاسرائيلية في فندق دان
 وهاكومل في حيفا ، ابتدأت في فندق دان اركانيا في
 هرتسليا ، جولة جديدة من مفاوضات الحكم الذاتي
 في ١٩٧٩/٩/٩ . وقد « انقسم المشركون في هذه
 الجولة الى عدة لجان فرعية » (ر.أ. ، العدد
 ١٨٦٨ ، ٩ ، ١٩٧٩/٩/١٠) . وهارتس ،
 ١٩٧٩/٩/١٠) . وقد كلفت كل لجنة بمعالجة نوع
 معين من القضايا حيث كان « الخلاف » قد تركز بين
 الوفود حول مسألتين : « ترتيبات الانخراط ،
 وصلاحيات الادارة الذاتية » (المصدر نفسه) .
 فالصريون يطالبون بأن « تشمل قوائم المنتخبين
 لادارة الحكم الذاتي عرب القدس الشرقية » ، مما
 دعا لـ « مؤتمر ووزن » الذي ترأس هذه الجولة من
 المحادثات ، لأن يعرب عن اعتقاده بأنه من « غير
 المتوقع التوصل الى حل لهذه المسائل في الايام الاربعة
 القادمة » (المصدر نفسه) . وهي الفترة التي
 حددت لهذه الجولة .

ومن الجدير بالذكر ، ان رئيس الوفد الاميركي
 لمفاوضات الحكم الذاتي جيمس ليفنار ، كان قد
 « تغيب عن هذه المحادثات » . وكان المبعوث
 الخاص للرئيس الاميركي الى الشرق الاوسط ،
 السفير روبرت شتراوس ، قد استدعا الى القاهرة
 لكي « ينضم اليه في محادثاته » مع القادة المصريين
 قبل توجهه الى اسرائيل « لاجراء محادثات مع رئيس
 الحكومة » . وزير الخارجية ورئيس الفريق الوزاري
 لمفاوضات الحكم الذاتي ، د . يوسف بورغ ،
 (هارتس ، ١٩٧٩/٩/٩ ، العدد ١٩٦٩ ،
 ١٠ و ١١/٩/١٩٧٩) .

الجواب على هذا السؤال ، في اعتقادنا ، يكمن في
 تصريحات السادات نفسه . فمن خلال رده على اسئلة
 الصحافيين في مطار اللد قبيل مغادرته ، والتي
 حرص على ان يكرر فيها مرات ومرات بان هذا
 الوقت المتبقي كانا قد « كرساه لمباحثات عامة ،
 حول الوضع في الشرق الاوسط ، ودور الدول
 الكبرى ، وللتطورات في العالم العربي » (هارتس ،
 ١٩٧٩/١٠/١٠) . ولا بد لنا من الربط بين هذه
 « المحادثات العامة » ، وبين التفاوض الكبير الذي
 ابداه السادات ، بالنسبة « للتطورات المتوقعة في
 العالم العربي » (هارتس ، ١٩٧٩/٩/٦) .
 وتركيزه على « الشقاق الحاصل بين سوريا
 والعراق » وضعف النظام في دمشق ، ومن ثم ثقته
 الاكيدة بـ « انضمام الازمن الى عملية السلام
 المصرية - الاسرائيلية » (المصدر نفسه ،
 هارتس ، ١٩٧٩/٩/١٠) . وبالتالي يطحا بسـ
 « جولة الافق الاستراتيجية للوضع في الشرق
 الاوسط » (انظر شؤون فلسطينية ، العدد ٩٤ ،
 ايلول ١٩٧٩ ، ص ١) . التي تمت بين السادات
 ويغن في محادثات الاسكندرية خلال زيارة الأخير
 لمصر في شهر تموز الفائت . هذه المحادثات التي
 شكلت في رأينا بداية حلف غير مكتوب بين مصر
 واسرائيل لاعادة تقسيم الخارطة السياسية في الشرق
 الاوسط . ولا ندري ما اذا كانت زيارة السادات
 لحيفا قد تمت صدفة عن طريق البحر ، برفقة قطع
 من سلاح البحرية المصرية ، وما اذا كان لذلك علاقة
 بمرور القطع البحرية الاسرائيلية الثلاث في قناة
 السويس قبل شهرين فقط ، ومن ثم بزيارة قطع
 البحرية الاميركية هذا الشهر لميناء الاسكندرية وما
 يتردد في الاونة الأخيرة من تهديدات مبطنة للدول
 العربية الناطقة ، والخطة الاميركية الموضوعية
 « لامن الخليج » .

اما بالنسبة للموضوع الفلسطيني ومفاوضات
 الحكم الذاتي الجارية بين مصر واسرائيل ، فلا بد
 للمراقب لما ادلى به السادات ويغن من تصريحات في
 مؤتمرهما الصحافي ، او في مطار اللد ، من الانتباه
 الى ان السادات غير في هذه الزيارة ، طبيعة الفترة
 التي حدها « للافتهاج » من مفاوضات الحكم
 الذاتي ، والتي اكثر من ذكرها في المحادثات التي
 سبقت توقيع معاهدة السلام . فالسادات لم يتكلم
 هذه المرة عن « فترة السنة » التي حدها كل فترة
 ملزمة ومحددة لانعام مفاوضات الحكم الذاتي .

غير أن روبرت شتراوس ، لم يحدد قبل توجهه الى اسرائيل ما اذا كان يحمل معه مقترحات جديدة بالفعل ، بل وصرح لدى هبوطه في مطار اللد قائما من القاهرة بأن ، ليس الاميركيون فقط ، وانما اسرائيل وبصر ايضا توافقان على نفس الجدول الزمني وشكل التقدم في مفاوضات الحكم الذاتي ، (هارتس ، ١٢/٩/١٩٧٩) . واضاف شتراوس : . في الاشهر القربية ، سوف تطرح المشاكل الأكثر تعديدا على بساط البحث ، اما الآن فالتنا نستطيع بحث ما لدينا من المواضيع ، (المصدر نفسه)

أما عن محادثات التي اجراها مع رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن ، ووزير داخلية ، د . يوسف بورغ فقد صرح : يمكننا الآن العودة الى الخلف لرؤية ما تم انجازه من اتفاقات كاتب - ديفيد . واضاف ملخصا لزيارته بانها ، تعتبر خطوة في مسار السلام الذي نلتزم جميعا بتحقيقه ، (ر.ا.ا ، العدد ١٨٧٠ ، ١١/١٢/١٩٧٩) . الا ان المصادر القوية من د . بورغ اكدت بان كلا من شتراوس وورغ ، كانا قد وعدا خلال المحادثات التي اجريها ، بـ تقديم مقترحات جديدة لدفع محادثات الحكم الذاتي (المصدر نفسه) ، ولكن شتراوس نفسه لم يصح عن طبيعة مقترحاته ، وكل ما قاله هو ان الولايات المتحدة ، سوف ترسل خبراء الى كل مجموعة عمل من المجموعات التي ستشكل في اطار مفاوضات الحكم الذاتي ، والتي ستحسب على بحث ، المواضيع التقنية المتعلقة بمجالات نشاط المجلس الاداري ، (المصدر نفسه) . الذي سيشكل في الضفة الغربية وقطاع غزة .

أما عن الموقف الاميركي من م . ت . ف. وبورها في هذه المفاوضات ، فقد ، أكد شتراوس لمناحيم بيغن ربه . بورغ بصمورة قاطعة ، ان الرئيس كارتر وادارته ، لا يحاولان جرم . ت . ف الى طائلة المفاوضات ، (المصدر نفسه) . ولهذا فقد اعتبرت الاوساط السياسية الاسرائيلية ، ان ما قاله شتراوس ، يشكل تحولا في الموقف الاميركي ، وان الولايات المتحدة قد ، تراجعت عن وجهة نظرها الاصلية ، من انه ، يجب التعجيل في وتيرة المفاوضات ، والسعي الى ضم فلسطينيين اليها بأسرع وقت ممكن (ر.ا.ا ، العدد ١٨٧٠ ، ١١/١٢/١٩٧٩ ، و هارتس ، ١٢/٩/١٩٧٩)

مقترحات غير معلنة

حمل شتراوس ، ولقا للمصادر الاسرائيلية ، هذه المرة معه ، افكارا ومقترحات وميانات اميركية تتعلق بمحادثات الحكم الذاتي ، ، المحافظة على استمرار النشاط الدبلوماسي للولايات المتحدة المتعلق بموضوع الحكم الذاتي ، (المصدر نفسه ، و هارتس ، ١٠/٩/١٩٧٩) ، خصتها هذه المصادر باقتراحين هما : تشكيل لجنة خاصة لمناقشة وضع القدس الشرقية وعلاقتها سكانها بالحكم الذاتي ، واخرى لمناقشة المطالبات الامنية لتدابير الحكم الذاتي بالاشتراك ووزير الدفاع الاسرائيلي والمصري ، ويمثل عن الولايات المتحدة (المصدر نفسه) .

الا ان اسرائيل سارعت للاعلان عن انها ، لن تستجيب لقيادة السفير الاميركي روبرت شتراوس ، ، لانها ، لا ترى في الولايات المتحدة أو مصر مفاوضين في المباحثات ، حول التدابير الامنية التي سوف تتبع في الضفة الغربية وقطاع غزة عند اقامة الحكم الذاتي . وذلك ، لانها تعتقد ان الجيش الاسرائيلي هو ، المخول ، بموجب اتفاقات كاتب - ديفيد ، بتحديد الاماكن التي سيرابط فيها بعد انشاء الحكم الذاتي ، (هارتس ، ١٠/٩/١٩٧٩) . وان ، الاردن فقط ، هو الطرف المتفاوض مع اسرائيل بالنسبة ، للتدابير الامنية على جانبي الحدود المشتركة بين الدولتين ، (المصدر نفسه) .

وتعتمد اسرائيل في مواقفها هذه على ، البند ١ (ب) في اتفاق الاطار لكاتب ديفيد ، . وينص هذا البند على ان ، يتم انسحاب القوات اسرائيلية مسلحة ، . اما القوات الاسرائيلية المتبقية فـ ، يتم انتشارها في مناطق الامن التي سوف تفصل (المصدر نفسه) . كما تعتمد على البند ١ (ج) في اتفاق الاطار الذي يبحث في المفاوضات للوصول الى حل ثابت في مناطق الحكم الذاتي ، . وينص هذا البند فيما ينص عليه ، على ان ، ... يصار الى اجتماع لجنتين منفردتين ولكنهما مرتبطتان ببعضهما ... اللجنة الثانية مؤلفة من مندوبين اسرائيليين ومندوبين اردنيين ينضم اليهم مندوبين منتخبين من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، للتفاوض حول اتفاقية السلام بين اسرائيل والاردن ... المفاوضات تقرر بين سائر الامور ، مكان الحدود ، وطبيعة التدابير الامنية ، (المصدر نفسه) .

تجحت في « اعداده تقرير مشترك يبحث في مجالات المسؤولية ومصدر الصلاحيات » (هارتس ، ١٩٧٩/٩/١٢) ، لكي تقمته الى اللجنة الوزارية الاسرائيلية - المصرية المشتركة التي « ستجتمع بكامل هيئتها في الاسكندرية في ١٩٧٩/٩/٢٦ » ، (المصدر نفسه) . وربما كان لزيارة روبرت شتراوس تأثير على مجرى هذه المحادثات ، وازالة « العقبات » التي تحدث عنها د . هنري روزن الذي تراس هذه الجولة من المفاوضات .
توفيق فياض

وخلصت هذه الاوساط الى ان مفاوضات الحكم الذاتي ، ستجري خلال الاشهر الثلاثة المقبلة « بجر هادي » في مجموعات العمل والجان « . اما « المشاكل الصعبة » ، فانها سوف « تطرح في بداية السنة المقبلة فقط » ، (هارتس ، ١٩٧٩/٩/١٢) . لا سيما وان مجموعات العمل الاسرائيلية - المصرية - الاميركية في مفاوضات الحكم الذاتي ، التي كانت تعقد جولة اخرى من المفاوضات في هرتسليا ، كانت قد انتهت من هذه الجولة في اليوم الاخير لزيارة شتراوس ، بعد ان

قضايا دولية

الحضور الفلسطيني على الخريطة الدولية من مواقع البابا الى مواقع كاسترو

خلالها ان نظام تايبوان (فورموزا) هو وحده الصين .

وتوضح متابعة التفاعل بين الحضور الفلسطيني على الساحة الدولية والاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية على مدى الاشهر الاخيرة ان الحضور الفلسطيني هو عملية (سيروية) متطورة ، وصاعدة بشكل لم يعد بإمكان القوى الفاعلة ضده ، اي ضد الحضور الفلسطيني ، ان توقف هذا التطور والتوسع . ومعنى اكثر تحديداً كأنه لم يعد بإمكان القوى الصهيونية او الاميرالية الحيولة نون تحقيق الحضور الفلسطيني انجازات ايجابية على صعيد العلاقات الدولية او الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والاعتراف بمنظمة التحرير بوصفها الممثل الشرعي الوحيد لهذا الشعب . ان توالي الاعترافات الدولية بمنظمة التحرير الفلسطينية ، واتساع نطاق الاهتمام بالقضية الفلسطينية ، واتساع نطاق الاقتناع العالمي بضرورة قيام الدولة الفلسطينية كشرط لا غنى عنه لأي سلام حقيقي في منطقة الشرق الاوسط ... كل

لم يكن الحضور الفلسطيني على الساحة الدولية قبل الان يمثل الكثافة التي يفرض بها نفسه خلال الفترة الاخيرة . ويمكن القول ان الاجراء التي تحيط بالقضية الفلسطينية بالاهتمام الدولي تفوق حتى تلك التي سادت ابان ظهور فلسطين والقضية امام الجمعية العامة للأمم المتحدة قبل خمس سنوات ممثلة في شخص ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وخطابه الشهير .. خطاب غصن الزيتون والبنديفة .

بل ان اجواء الاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية خلال هذه الفترة تفوق ما يمكن للمراقب السياسي ان يتذكره من اهتمام دولي متلاحق ومتصاعد بقضية مثل قضية الاعتراف بالصين الشعبية وتمثيلها في الاسم المتحدة .. في الفترة التي سبقت مباشرة سقوط « الفيتو » الاميركي عن انضمام بكين الى المنظمة الدولية ، وفي تلك الوقت كانت الاعترافات المتلاحقة قد فرضت على الولايات المتحدة واقعا دوليا جديدا اضطرت للاستجابة له بعد سنوات طويلة (من ١٩٤٩ الى ١٩٧٢) ظلت تعنير

طويلة تتسامح الاعتراف بالقضية الفلسطينية وشرعيتها وتعنيها . وهكذا يمكن القول ان الولايات المتحدة واسرائيل تزامن في الأونة الأخيرة مواقع دفاعية خالصة امام هجوم الدبلوماسية الفلسطينية المتلاحق في جبهة دول عدم الانحياز ، وفي أوروبا الغربية ، وفي قلب الولايات المتحدة نفسها . . وما لذلك من انعكاسات داخل اسرائيل . . . نفسها . لا يعني هذا ان الولايات المتحدة واسرائيل متوافقان عن متابعة جهودهما لمنع انتشار موجة الاعترافات بمنظمة التحرير الفلسطينية ، خاصة من جانب دول أوروبا الغربية ، من جانب قوى سياسية مؤثرة داخل الولايات المتحدة . . انما يعني أن الضغط الامريكى والاسرائيلى في هذا الاتجاه لم يعد هو التيار الرئيسى للفاعل في التطورات ، بل ان التيار الرئيسى يتمثل في ضغوط دول العالم — بما فيها دول أوروبا الغربية ، حتى الاطلسية — على الولايات المتحدة واسرائيل لاتخاذ مواقف مبنية على سياسة واقعية ، وإدراك لحقائق القوى في الشرق الأوسط ، وفي مقدمتها حقيقة الوجود الفلسطينى وقدرته الثورة الفلسطينية وحركة الثورة الفلسطينية عموما في التأثير على الأحداث الاقليمية والعالمية . وتزداد فاعلية الضغط الممارس على السياسة الامريكىة والاسرائيلية ليجعل تحول مواقف مجموعات الدول — مثل مجموعة الدول غير المنحازة ومجموعة دول السوق الأوروبية المشتركة — من مواقف قطرية متناثرة الى سياسة جماعية يتم اقرارها وعلانها كسياسة موحدة . . الأمر الذى يجعل مواجهتها بضغط مضاد امريكى واسرائيلى اشد صعوبة بكثير مما لو كانت سياسات منفردة .

وسواء ، كان توافق توقيت هجوم الدبلوماسية الفلسطينية ، وحضورها الكثيف على الساحة اللبنانية مع بداية الدورة الجديدة للجمعية العامة للأمم المتحدة أمرا مقصودا أو غير مقصود ، فإنه قد أتاح انشاء صورة ، بانوراما ، أو بالأحرى خريطة واضحة — للمواقع التى دخلتها القضية الفلسطينية ولبرهنت حضورها عليها . ولنا ان نتصور كيف شغل الحضور الفلسطينى فعلا كل المسافة بين المواقع التى عبر عنها البابا يوحنا بولس الثانى في خطابه امام الجمعية العامة ، (١٠ / ٢) بما يعقله مركز البابا من أهمية عظمى للعالم الكاثوليكى كله ، والمواقع التى عبر عنها الزعيم الكوبى فيديل كاسترو في خطابه امام الجمعية العامة

هذا يجري دون ان تستطيع اسرائيل ، أو الولايات المتحدة ، الحلولة ، دون حلوثه حتى في اطار دول تعتبر تقليديا حليفة للولايات المتحدة الامريكىة وملزمة بالتسسيق معها في مجالات السياسة الخارجية . وهذا مغزى اتساع نطاق الاعتراف في أوروبا الغربية بأهمية العامل الفلسطينى وقدرته ايجابيا وسلبيا بالنسبة لآية حلول أو خطط للسلام في الشرق الأوسط .

فضلا عن ذلك فان الحضور الفلسطينى بالنسبة للولايات المتحدة نفسها اصبح يغطي قطاعات بأكملها ، ربما كان الامريكويون السود اوسعها عددا واهتماما في الفترة الأخيرة . ولكن ثمة قطاعات أخرى من الراى العام الامريكى صارت تفسر بالقضية الفلسطينية كجزء من المشهد العالمى ، بل كجزء من المشهد الامريكى نفسه . وقد كملت هذه الحقيقة نفسها منذ الآن ، وقبل ان تبدأ حتى المرحلة الاولى . من انتخابات الرئاسة الامريكىة في اهتمام عدد من المرشحين باعلان مواقف واقتراحات معددة من القضية الفلسطينية على وجه التحديد (وايس أزمة الشرق الأوسط في عموميتها) كمدخل لا غنى عنه لتحديد سياستهم الخارجية امام الناخبين الامريكين ، بل وامام احزابهم .

وإذا كان قد بدا للامريكين ان من السهل القاء اللوم على أوروبا الغربية في اهتمامها المتصاعد بالقضية الفلسطينية بالقول بأنه اهتمام نغطى اى انه خضوع لضغط احتمال التعرض للمقاطعة النفطية العربية . . فان امتداد هذا الاهتمام الى داخل المجتمع الامريكى ربما في ذلك المجتمع السياسى نفسه — يقلل كثيرا من مصداقية هذا اللوم ، ويؤكد ان الحضور الفلسطينى اساسى ، وليس ثانويا تابعا للحضور النفطى العربى ، في ساحة السياسة العالمية ، وان كان احدهما لا ينفى الآخر . وان كان كل منهما يدعم الآخر بدرجات متفاوتة جغرافيا وقرافيا .

والمواقع ان متابعة التطورات الجارية حول الحضور الفلسطينى تؤكد ان اتجاه تيسار هذه التطورات هو صوب مزيد من الضغوط الدولية على الولايات المتحدة واسرائيل ، ليس من جانب الدول التى تقف اساسا ولا اعتبارات موضوعية معروفة مسبقا الى جانب العرب فحسب ، بل من جانب دول ظلت الى جانب الولايات المتحدة واسرائيل لسنوات

والقضية الفلسطينية وحدها هي التي نالت المباركة
البابوية .

واختتم روزنفيلد مقاله متسائلاً : ألا يعزز هذا
الهدف الفلسطيني الجلي في الأمل باختفاء اسرائيل
يشكل أو يأخر ؟ ثم ألا يعطي هذا تأييداً معنوياً
بارعاً للجهود التي تعمل على اختفاء اسرائيل ؟

على الطرف الآخر من الخريطة الدولية كان موقف
الرئيس الكوبي فيدل كاسترو . على منبر الجمعية
العامة للأمم المتحدة أيضاً . حيث تحدث باسم حركة
عدم الانحياز التي يرئسها منذ انعقاد مؤتمرها
السادس في هافانا في شهر ايلول (سبتمبر)
الماضي . وخطاب الزعيم الكوبي لم يكن وحده
الحدث ... انما كان استقبال الجمعية . العامة له
هدفاً هاماً مؤكداً كثافة الحضور الفلسطيني .

قال كاسترو في الفقرة الخاصة بالشرق الأوسط
من خطابه :

« ان الاسرائيليين الصهيونيين يرتكبون اكبر جريمة
في التاريخ المعاصر بسبب عمليات الاضطهاد
والمذابح التي ينزلونها بالشعب الفلسطيني الذي طرد
من أرضه وتشتت في أرجاء العالم » . وقال كاسترو
ان حركة عدم الانحياز تؤيد حق الشعب الفلسطيني
في وطن قومي داخل فلسطين التاريخية . و اضاف
ليدين سياسات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط
بما فيها اتفاقات « كامب ديفيد » فقال « ان شيئاً لا
يوازى المجازر البشرية الجماعية التي ارتكبتها
النازي اكثر من اعمال التشريد والاضطهاد والمجازر
التي تمارسها الآن الامبريالية والصهيونية ضد
الشعب الفلسطيني » .

وقد ذكرت وكالات الأنباء العالمية (الغربية) انه
لم يحدث في تاريخ الجمعية العامة للأمم المتحدة ان
أثارت عبارات من خطاب ل احد رؤساء الدول مثل
الحماس الذي اثارته فقرات خطاب كاسترو عن
الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية . وقالت
وكالة « يوناييتد برس » الاميركية (١٠ / ١٢) ان
اعضاء الجمعية وقفوا وصفقوا طويلاً تأييداً لما قاله
الزعيم الكوبي في هذا الصدد .

لقد استطاع كاسترو ان يتقل جو التأييد الحاسم
الذي احاط بالقضية الفلسطينية في مؤتمر عدم
الانحياز في هافانا كاملاً الى الجمعية العامة للأمم

(١٠ / ١٢) . بما يمثله مركز كاسترو من اهمية
عظمى لعالم عدم الانحياز ولعالم الثوريين التقدميين
في كل البلدان بغير استثناء .

لم يكن من قبيل المصادفة ان البابا بولس الثاني
لم يذكر اياً من اطراف مشكلة الشرق الأوسط ، الا
فلسطين . كما لم يكن من قبيل المصادفة ان البابا لم
يشر بشيء الى اتفاقات « كامب ديفيد » ولا الى
المعاهدة المصرية - الاسرائيلية . فالبابا في الفقرة
الخاصة بالشرق الأوسط من خطابه يقول :

« ان املي لعظيم في ان الحل لازمة الشرق الأوسط
يقرب . اننا في الوقت الذي نحن فيه على استعداد
للاعترا ف بقيمة اية خطوة حقيقية او محاولة لتسوية
الصراع ، فائني اريد ان اعيد الى الأذهان انه ان
تكون هناك اية قيمة لاية خطوة ما لم تمثل حجر
زاوية في سلام شامل في المنطقة ... سلام قائم
بالضرورة على الاعتراف المتساوي بحق الجميع ،
وسلام لا يقصر عن ان يأخذ في اعتباره التسوية
العادلة للقضية الفلسطينية » .

صدر البابا اذن موقفه بانه دون فلسطين لا
سلام . اما انه لم يشر ايجابياً الى « كامب ديفيد »
فهو موقف لا تخفى دلالاته . اما انه لم يأت على ذكر
اسرائيل بالاسم في هذا الخطاب ايضاً فهو بدوره
موقف بالغ الدلالة على استمرار التمسك بسياسة
الفاتيكان التقليدية .. سياسة عدم الاعتراف
باسرائيل .

وقد ذهبت صحيفة « واشنطن بوست »
(١٠ / ٩) في تفسير تناول البابا للقضية الفلسطينية
الى مداه الاقصى ، فاعتبرت ان البابا اتخذ موقف
جبهة الرفض العربي (...) . لو قالت الصحيفة
الاميركية في مقال لعلقها ستيفن روزنفيلد :

عبر البابا في معرض حديثه عن الشرق
الأوسط عن آراء يمكن فهمها على الفور كما لو كانت
صادرة عن جبهة الرفض العربي . وهو موقف يرفض
عملية كامب ديفيد . وان الكثيرين يتسائلون عما اذا
كان كامب ديفيد سيؤدي الى تسوية شاملة .
وتسألهم هذا منصف . ولكن البابا ذهب الى ابعاد
من هذا حين قال : ان عملية كامب ديفيد لا قيمة لها
اذا لم تؤد الى سلام شامل . ما انه تخطى حقيقة
اسرائيل . ولم يذكرها بالاسم ولو مرة واحدة . وكل
ما دعا اليه هو الاعتراف العادل بحقوق الجميع .

أوروبا الغربية بأنه الموقف الذي تزعم به بون المجموعة الأوروبية ضد إسرائيل . وقالت المجلة الألمانية التي قالت هذا الوصف (دير شبيغل) :

« لو نظرنا لعدد الدول التي أعلنت اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية — والتي تزداد مع مرور الأيام ، نجد انها أكثر من مجموع الدول المعترفة بإسرائيل في الأمم المتحدة ، على الرغم من ان إسرائيل عضو فيها ... وبينما تتسع قاعدة منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات مع مرور الزمن ، أصبحت النولة اليهودية اليوم ، التي سبق للاتحاد السوفياتي ان اعترف بها ، طريدة العدالة وسط التجمعات الشعبية في هذا العالم ، فقد اتهمها معظم دول العالم الثالث والدول الشرقية في كافة اجتماعاتها بالعنصرية ، ووصفها بأنها شكل من أشكال الاستعمار الجديد ، وأقرب ما تكون الى جنوب أفريقيا .

خارج إطار الأمم المتحدة أيضا كان من الواضح في تطورات كثافة الحضور الفلسطيني ان الحركة ليست في اتجاه واحد .. إنما في اتجاهين . فليست فلسطين وحدها تتجه الى الأخرين - الأخرين يتجهون نحو منظمة التحرير الفلسطينية .

ياسر عرفات - بعد زيارة اسبانيا التي سبقتها قمة فيينا مع برونو كرايسكي وفيل برانت - زار تركيا ، بعد ان صار لمنظمة التحرير الفلسطينية تمثيلها السياسي في انقرة ، لتستمر حركة فلسطين نحو أوروبا الغربية تحطم اسوار الحصار التي استمرت تضع عن أوروبا ، الا تأثيرات الصهيونية العالمية ، وإسرائيل .

في الموقت نفسه كانت الحركة في الاتجاه العكسي ، وقد زعماء السود الأمريكيين برئاسة جيسي جاكسون جاء ساعيا الى فلسطين .. مبركا بأن فهم القضية الفلسطينية من قادة فلسطين انفسهم ضرورة لا غنى عنها . وقد ياسر السود الأمريكيون الذين قرروا خوفهم مغرقتهم من جديد في الولايات المتحدة .. هذه المرة من اجل ان يكون للثلاثين مليون صوت للسود في الانتخابات دورهم في رسم السياسة الخارجية لبلادهم .

زيارة تركيا (٥ / ١) نظرت اليها الدوائر الغربية من زاوية بالغة الأهمية لانها اعتبرت اول زيارة يقوم بها الزعيم الفلسطيني لدولة عضو في حلف

المتحدة ، مضيفا اليه وحدة الكلمة - حيث تجسدت في خطاب كل ارادة دول عدم الانحياز .. بون ان يفتقد ذلك من وزن كاسترو الثوري والنضالي -

على المسافة بين موقع البانيا وموقع كاسترو - وامام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، كان موقع أوروبا الغربية الذي عبر عنه هفزي سيمونيه وزير خارجية بلجيكا الذي تحدث نيابة عن المجموعة الاقتصادية الأوروبية (السوق الأوروبية المشتركة) . قال سيمونيه ان اعادة السلام الى منطقة الشرق الأوسط تحتاج الى تسوية عادلة وشاملة للنزاع تكون مبنية على الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني ، وبحقه في تقرير المصير ، وحقه في بوطته والجلد الإسرائيلي عن الأراضي العربية المحتلة ، بما في ذلك القدس . واضاف سيمونيه ان على الفلسطينيين انفسهم ان يقرروا مع الأطراف المعنية الصيغة الفعلية التي يريدون اعطاءها لهويتهم القومية . ولا بد من اشارك ممثل الشعب الفلسطيني ، وخاصة منظمة التحرير الفلسطينية في السعي وراء تسوية شاملة للنزاع .

قبل هذا الخطاب بأيام قليلة كان سيمونيه نفسه يقول ، في مقابلة ، مع مجلة « مونداي مورننغ » - انه فيما يحضر الأوروبيين فان لهم بالفعل اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية . ان معظم البلدان الأوروبية - إن لم يكن كل هذه البلدان - لها اتصالات مع المنظمة ، الأمر الذي يعني اننا نعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كواقع .

هذا المعنى نفسه قاله ايضا مايكل أوكيندي وزير خارجية إيرلندا (الجنوبية) بوصفه رئيسا للسوق الأوروبية المشتركة .

كما عبر عنه هانز نيترش وزير خارجية ألمانيا الغربية الذي قال في خطاب بلاده أمام الجمعية العامة (٤ / ٢٨) : ان هناك اتجاها متزايدا في العالم يطالب بضرورة اشراك الشعب الفلسطيني في تسوية شاملة ، والا فانه لا يمكن التوصل الى سلام دائم .

وقال نيترش ان مثل هذه التسوية الشاملة تتطلب الاعتراف من جميع الأطراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .

وقد وصف موقف ألمانيا الغربية بالذات بين دول

الاتسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، ووقف عملياتها وهجماتها العسكرية ضد الجنوب اللبناني .

صحيفة « واشنطن بوست » الاميركية نفسها التي اعتبرت ان البايك كان في اطار جبهة الرفض العربي في خطابه امام الجمعية العامة كان لها تعليق في الاتجاه نفسه على مهمة جيسي جاكسون وتصريحاته في الشرق الاوسط . فقد كتبت (١٠ / ١٠) تقول : « ان مما يخدم مصلحة منظمة التحرير الفلسطينية ان يعود جاكسون الى الولايات المتحدة لينشر الرسالة باعتدال المنظمة واهليتها الجديدة لتكون شريكا في الصوار مع الولايات المتحدة ، وهي الرسالة التي ابلغها جاكسون الى واشنطن يوم امس . والواقع انه عندما طلب جاكسون من منظمة التحرير وقف العنف ضد اسرائيل والاعتراف بها والانضمام الى مفاوضات كامب ديفيد ، رفضت المنظمة ذلك » . واختتمت « واشنطن بوست » هذا التعليق بقولها : « يجب تنبيه جاكسون وغيره من الزعماء السود الذين انضموا اخيرا الى نقاش الشرق الاوسط ، الا ينتهي عزيمهم ، ان قد يتمكنون من المساعدة على تحويل المنظمة نحو اهداف سلمية . فمن المحتمل ان تعكس مساهمتهم مقدار المفارقة والواقعية وسداد الرأي الذي يضيفونه الى المهمة » .

الحدث الابرز التالي في عملية استعمار الاخرق الفلسطيني للساحة الاميركية تمثل في خطة عرضها جون كونيالي المرشح لخوض معركة انتخابات الرئاسة الاميركية المقبلة (١٩٨٠) عن الحزب الجمهوري . لحل ازمة الشرق الاوسط . وقد لخصت الصحف الاميركية (١٠ / ١٢) خطة كونيالي في النقاط التالية :

- سحب الوحدات العسكرية الاسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة .
- سحب جميع المستوطنات الاسرائيلية من هذه الأراضي .
- قرار فلسطيني بشأن امكانية اقامة دولة فلسطينية مستقلة او منطقتة حكم ذاتي ضمن الارض .
- تسوية عن طريق التفاوض لمسألة القدس .

- اتفاق للتجارة الحرة بين الدولة الفلسطينية واسرائيل .

الاطلسي ، اي انها « اختراق » اضر له مغزى خاص ، لا يتوقف عند حدود اوروبا الغربية الجنوبية .. انما يتعداها الى مظلة حلف الاطلسي ، في وقت ينتظر فيه بين يوم واخر اعتراف دول اوروبية اخرى اعضاء في الحلف .. بينها بريطانيا وفرنسا وهولندا وايطاليا .

ومن هنا يكتسب ما قاله بلند اجاويد رئيس الوزراء التركي امام ياسر عرفات في انقره اهميته باعتباره نالا على تأثير الدور الفلسطيني في الشرق الاوسط الذي تعد تركيا جزءا لا يتجزأ منه .. والذي ينظر اليه حلف الاطلسي على انه جناحه الجنوبي امنيا واستراتيجيا . لقد قال اجاويد : « نحن مع حريتك واستقلالكم ، وبتون ذلك لا يمكن ان يكون هناك استقرار في الشرق الاوسط . واذا لم نتحقق حقوقكم الوطنية ، فان السلام لن يستقر في الشرق الاوسط ، وكذلك في العالم » .

مجيء وفد زعماء السود - في الوقت نفسه - لعقد اللقاءات مع منظمة التحرير الفلسطينية - والتصريحات التي ادلى بها جاكسون في المنطقة - وخاصة في بيروت - كان ضربة قاسية لاسرائيل ربما يقدر يفوق كونه انتصارا لنضال الثورة الفلسطينية . فاسرائيل والصهيونية في مركزها الرئيسي في الولايات المتحدة لم تتحملا مشهد اللقاء الفلسطيني - الاميركي الأسود .. حيث كان لا بد من تشكيل وفد اسود بديل ليزور اسرائيل بأي ثمن ا ..

بعد عودته الى واشنطن (١٠ / ٥) باشر جاكسون عقد سلسلة من اللقاءات والاجتماعات مع كبار المسؤولين واطباء الكونغرس الاميركي ليشرح لهم نتائج جولته ولقاءاته مع السيد ياسر عرفات . وصرح احد مساعدي جاكسون (١٠ / ٧) بأن القس عاد اكثر حماسا وتأييدا للقضية الفلسطينية بعد ان تفهم وجهة نظر المقاومة الفلسطينية وقيادة منظمة التحرير . وقال هذا المساعد ان الانتطاعات التي كونها خلال تلك الجولة تتلخص في ضرورة اقدام الحكومة الاميركية على خطوات ايجابية تجاه منظمة التحرير والدول العربية المعارضة لاتفاقات كامب ديفيد .

واضاف ان هذه الخطوات يجب ان تتلخص في اقامة وطن قومي فلسطيني ، وحث اسرائيل على

اجتماعات محافظي صندوق النقد الدولي التي عقدت في بلغراد (٢ - ١٠/٥) فقد كان الحضور الفلسطيني مطروحا بشدة على الصندوق من خلال اقتراح من مجموعة الدول النامية (١١٥ دولة) الاعضاء في الصندوق بمنح منظمة التحرير الفلسطينية صفة مراقب في الاجتماع السنوي لصندوق النقد الدولي من البنك الدولي للإنشاء والتعمير . وقد قدم الاقتراح عن هذه المجموعة مندوب باكستان وركزت صحيفة دفاينشال تايمز البريطانية (١٠/٢) ان الاقتراح لقي موافقة اجماعية . وكان مجلس ادارة صندوق النقد الدولي قد نصح روبرت مولدن (رئيس وزراء نيوزيلندا ورئيس اجتماع الصندوق) قبل عشرة ايام برفضه طلب المنظمة اذا ما قدم اليه . وتشرع تعليقات مولدن نفسه الى انه ضد فكرة احكام سياسة الشرق الاوسط فيما يفترض ان يكون اجتماعا يختص بشؤون المال والتقنية .

الا ان النفوذ الاميركي كان له الدور الحاسم من خلال الفيتو في الاجتماع السنوي للصندوق ، فرفض طلب ١١٥ دولة نامية يضم منظمة التحرير كمراقب اسوة بوضعها المائل في باقي وكالات ومجال الامم المتحدة . وهكذا تكرر الموقف نفسه الذي وقفته واشنطن ضد المنظمة في الاجتماع السنوي السابق للصندوق في العام الماضي ، وكان في واشنطن . ولم يكن خافيا على الصحافة الأوروبية ان اسرائيل تقاوم بشدة مثل هذا الاقتراح . وقالت صحيفة « سكوتسمان » البريطانية (١٠/٦) ان من الخيارات المفتوحة التي يدرسها الراسخون اشترك منظمة التحرير الفلسطينية كضيف . مما يستثني المنظمة من الاشتراك في الجلسة الافتتاحية وبعض حفلات الاستقبال فقط . ولكن المعتاد ان تقاوم اسرائيل وبعض الدول الصناعية الغربية طلب قبول المنظمة كمراقب .

سمير كرم

وقد تضمنت خطة كوناللي اضافة الى هذه النقاط اقتراحات، بضمائنا اميركية عسكرية ومادية ، لمواجهة وحد النفوذ السوفياتي في المنطقة .

ولكن الامر الذي له مغزى كبير في صدد موقف كوناللي هو ان هذه اول مرة يتبنى فيها مرشح للرئاسة الاميركية موقفا على هذا القدر من التحديد والوضوح من القضية الفلسطينية . وقد ادى هذا الى اشارة رد فعل صائب من جانب الدوائر الصهيونية في الولايات المتحدة . لسارع المؤتمر اليهودي الاميركي - الذي يضم رؤساء الجاليات اليهودية من انحاء الولايات المتحدة - الى مهاجمة مشروع كوناللي ووصفه بأنه « مشروع لا يخدم عملية السلام في الشرق الاوسط » .

وخارج اطار نقاط المشروع فان موقف كوناللي كان اكثر دلالة على تغير اتجاه اسرائيل، اخذت بوادره تظهر على الساحة السياسية الاميركية ، وان يكن ذلك خارج اطار الادارة ، فقد انتقد كوناللي ، في الخطاب الذي قدم فيه مشروعه ، صميم المساعدات الاميركية التي تحصل عليها اسرائيل ، وقال انه يجب الا تتجاوز هذه المساعدات ما يتطلبه امن اسرائيل فقط ، وهي الآن تتجاوز هذا التسطاق وتشجعها على الاستيلاء على الاراضي . كما المع كوناللي الى وجود تناقض في المصالح بين الولايات المتحدة واسرائيل .

بل ان كوناللي انتقد اتفاقات « كامب ديفيد » التي كانت قد اجمعت التيارات السياسية المختلفة في الولايات المتحدة في البداية على اعتبارها انتصارا كبيرا للرئيس جيمي كارتر - فقال ان هذه الاتفاقات لم تؤمن الاساس لمفاوضات ناجحة حول القضايا المتبقية .

وكان للموقع الاميركي ازاء القضية الفلسطينية وازاء التقدم السريع للحضور الفلسطيني على الخريطة السياسية العالمية وجه اخر ظهر في

قضايا عسكرية

هل تحصل إسرائيل على المقاتلة « ف - ١٨ »

عن العام ٧٩ - ٨٠ الذي أصدره المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن ، مؤخرا أن لدى إسرائيل ٤٨ طائرة « ف - ١٥ » . وتعتبر طائرات « ف - ١٥ » هي المقاتلات الإسرائيلية الرئيسية القادرة على التصدي للمقاتلات العربية من طرازي « ميغ - ٢٣ » ، « ميج - ٢٥ » ، خاصة في ظروف الرؤية الجوية السيئة أو في القتال الليلي . وتوافر « الميغ - ٢٣ » حاليا لدى الاسلحة الجوية العربية السورية والعراقية واليمنية والجزائرية (واليمن الجنوبي مؤخرا على الأرجح) . أما « الميغ - ٢٥ » فتوجد لدى ليبيا والجزائر وسوريا . وتقول المصادر الدولية للمعلومات ان الموجود منها لدى السنول المذكورة من النوع الخاص بالاستطلاع غالبا (نظرا لقنرة الطائرة الفائقة على التحليق على ارتفاعات شاهقة وبسرعة كبيرة ، الامر الذي يتيح لها تصوير مساحات كبيرة من الارض والافلات في الوقت ذاته من وسائل الدفاع الجوي العادية) . ولكننا نعتقد أن هناك عددا من النوع المقاتل من طائرات « الميغ - ٢٥ » موجود لدى ليبيا وسوريا .

ولكن الكتلة الرئيسية من المقاتلات الإسرائيلية تتألف من الطائرات « ف - ٤ » فانتوم « ، التي يوجد منها نحو ٢٤٠ طائرة لدى الطيران الإسرائيلي . وهي تعتبر طائرات من جيل سابق لجيل « الميغ - ٢٣ » الموجودة لدى الاسلحة الجوية العربية . فقد دخلت « الفانتوم » الخدمة العملية في السلاح الجوي للبحرية الاميركية في آخر العام ١٩٦٠ ، على حين بدأ دخول « الميغ - ٢٣ » الخدمة في السلاح الجوي

قالت مجلة « اير انترناشيونال » المتخصصة في شؤون الطيران ، في عددها الصادر في تموز (يوليو) ١٩٧٩ ، أن قيادة السلاح الجوي الإسرائيلي أبدت مؤخرا ، بصورة غير رسمية ، اهتماما خاصا بالطائرة المقاتلة الاميركية الجديدة « ف - ١٨ » ل كوبرا « . وهي الطراز الخاص بالعمل من قواعد جوية أرضية من الطائرة المقاتلة الجاري تطويرها حاليا لحساب البحرية الاميركية والمسماة « ف - ١٨ هورت » . واستطردت المجلة المذكورة موضحة أن اهتمام قيادة السلاح الجوي الإسرائيلي بالطائرة « ف - ١٨ » ل كوبرا « يدخل ضمن نطاق بحثها متطلبات تطوير القوة الجوية الإسرائيلية في منتصف الثمانيات ، وضرورة التخطيط لها من زاوية أن معظم المقاتلات الحالية ذات قدرات قتال نهاري وضمن ظروف رؤية جيدة رئيسية ، وهذا يؤثر قلق القيادة الجوية الإسرائيلية ، ولذلك تنظر الى الطائرة « ف - ١٨ » كوسيلة محتملة لسد الثغرة المشار اليها في تكوين السلاح الجوي الإسرائيلي . والجدير بالذكر ان الطائرة المذكورة ذات قدرات متطورة في القتال الليلي أو ضمن ظروف رؤية سيئة ، وسيكون سعرها وتلفات تشغيلها أقل من سعر نفاقات الطائرة « ف - ١٥ » . ذات القدرات المماثلة ، والموجود منها حاليا لدى الطيران الإسرائيلي ٢٥ طائرة ، وسوف يحصل على ١٥ طائرة اضافية اخرى ، ضمن صفقة الطائرات الثلاثية التي اجرتها الولايات المتحدة الاميركية مع كل من إسرائيل ومصر والسعودية في العام الماضي (جاء في تقرير ميزان القوى العسكري

أكثر من الوقود الإضافي على واحدة أو أكثر من نقاط التعلق المذكورة . وسوف تكون سرعتها ضمن المقادير ذات السرعة ٢ مآك (وحدة سرعة الصوت التي تبلغ ١٢٠٠ كلم) . وتميز بتقنية متطورة في مجال الإلكترونيات . إذ يقال أن رادارها سيكون قادراً على تتبع ٨ أهداف في وقت واحد أثناء الاشتباكات الجوية .

وكانت صحيفة « معاريف » الإسرائيلية قد ذكرت ، في ١٢/٢/٧٨ ، أن شركة « ماكرونيل - بوغلاس » الأمريكية التي تصنع الطائرة « ف - ١٨ » عرضت على إسرائيل شراء هذا النوع من الطائرات . والسماح لها بالاشتراك في إنتاج بعض أجزائها . وأن الشركة ستقلد إلى المسؤولين الإسرائيليون التفاصيل السرية لهذه الطائرات التي لا تزال قيد التطوير^(١) .

وعموماً فإن المسألة لا تزال ، وفقاً لما هو معلوم من مختلف مصادر المعلومات المنشورة ، لا تزال قيد البحث والدراسة ولم تخرج بعد إلى حيز الاتفاق وعقد الصفقات . بحكم أن الطائرة ذاتها لا تزال في مرحلة التطوير السابقة للإنتاج .

سوريا تحصل على مقاتلات « ميغ - ٢٥ » في ٢/١٠/٧٩ عقد الجنرال « يهوشوا ساغوي » ، رئيس الاستخبارات الإسرائيلية ، مؤتمراً صحفياً قال فيه أن سوريا عززت قوتها الجوي بضم طائرات مقاتلة معترضة من طراز « ميغ - ٢٥ » قبل أسبوعين . كما قال أن الاتحاد السوفييتي زود سوريا بطائرات من طراز « سوخوي - ٢٢ » . وأن هذه الطائرات تعتبر الآن تطورا من الطائرات الأمريكية من طراز « ف - ١٥ » و « ف - ١٦ » . واستطرد « ساغوي » قائلاً أن الرئيس « حافظ الأسد » قد يطلب من السوفييت (يقصد خلال زيارته الأخيرة) تزويد بلاده بطائرات أكثر تطورا من طراز « ميغ - ٢٧ » التي تستطيع أن تواجه طائرات « ف - ١٥ » في معركة جوية . وقبل أن نعلق على مسألة امتلاك سوريا لطائرات « الميغ - ٢٥ » ، التي سبق أن وادتها بعض مصادر المعلومات الغربية (نكسر تقرير ميزان القوى الصادر عن المعهد السوفلي للدراسات الاستراتيجية عن عام ٧٦ - ٧٧ ، أن سوريا لديها سرب استطلاع بضم ٢٠ طائرة « ميغ - ٢٥ » ، نرى ضرورة توضيح بعض النقاط التي وردت في

السوفييتي في العام ١٩٧٠ . وتعتبر أكثر تفوقاً عن « الفانتوم » ، خاصة في مهام القتال الجوي (وهي المهمة الرئيسية لها) . وفي الوقت نفسه فإن المقاتلة الإسرائيلية الصنع من طراز « كفيرس - ٢ » تعتبر أساساً طائرة قتال ضمن ظروف رؤية جيدة ، فضلاً عن قدرتها في مهام القصف الأرضي . (تمتلك إسرائيل نحو ١٠٠ طائرة منها) . وكذلك الحال بالنسبة إلى المقاتلة الأمريكية الأكثر تطوراً من « الكلفيز » ، وهي ال « ف - ١٦ » ، التي ستستلم إسرائيل منها ٧٥ طائرة في المستقبل القريب ، وفقاً لصفحة الطائرات الثلاثية ، ويحتمل أن تحصل على مزيد منها نتيجة لزيارة وزير الدفاع الأمريكي الأخيرة للمنطقة التي جرت في شباط (فبراير) ١٩٧٩ . وعموماً فإن ال « ف - ١٦ » يبدو أنها ستحل أساساً محل طائرات الهجوم الأرضي من طراز « P - ٤ » سكاي هوك ، التي يوجد منها نحو ٢٧٥ طائرة حالياً لدى الطيران الإسرائيلي . إذ أصبح من الضروري البحث عن بديل لها بعد أن مضى عليها نحو ربع قرن منذ أن حلق نموذجها الاختباري الأول في العام ١٩٥٤ .

وهكذا يتضح لنا أن تجديد السلاح الجوي الإسرائيلي خلال الثمانينات يتطلب توفير مقاتلة جديدة ذات قدرات متطورة في جميع الجوانب . تكون كلفتها الاقتصادية معقولة وممتدة ، بحيث تشكل القوة الأساسية للمقاتلات الحديثة الإسرائيلية المطلوبة لمواجهة التطورات الجارية والمحتملة في الأسلحة الجوية العربية . وضمن هذا الإطار تطرح الطائرة « ف - ١٨ » كإحدى ملامحة لتنفيذ المتطلبات سالفة الذكر . وهي مقاتلة تفوق جوي (أي طائرة مخصصة أساساً للاشتباك القريب مع المقاتلات المعادية) مزودة بمحركين قوة دفع كل منهما ٧٢٦٠ كلغ عند استخدام الحراق الخلفي . ويقدر وزنها القتالي بنحو ١٢٥٠٠ كلغ ، ويقدر مداها القتالي (في مهام القتال الجوي) نحو ١٤٠٠ كلم . وستسلح ، على الأرجح ، بمنفع سداسي البسبجانة عيار ٢٠ مم ، فضلاً عن أنه سيكون لها ٩ نقاط تعليق تحت أجنحتها وهيكلها تصلح لحمولات مختلفة ما بين صواريخ جو - جو أو قنابل وصواريخ جو - أرض ، أو حمولات مشتركة من الأسلحة المذكورة . فضلاً عن أماكن حمل خزان

بالتذكر انها ذات اجنحة قابلة للحركة لزيادة قدرتها على المناورة والسرعة وفقا لظروف القتال الجوي المختلفة .

● ويقول « ساغوي » ايضا ان الرئيس « الاسد » قد يطلب من السوفييت طائرات « ميغ - ٢٧ » التي تستطيع مواجهة طائرات « ف - ١٥ » في معركة جوية . والذي نود ان نوضحه في هذا الخصوص ان « الميغ - ٢٧ » هي النوع المعدل من « الميغ - ٢٢ » للقيام بمهام القصف التكتيكي والدعم الأرضي القريب والاختراق في العمق العملياني لعزل ميدان القتال البري عن القواعد الادارية والتعزيزات الاحتياطية . وهي قادرة على اداء هذه المهام بدقة رعي في مختلف ظروف الرؤية ومن ارتفاعات شديدة الانخفاض ، بحكم تزويدها برادار خاص بتلافي التضاريس الأرضية وجهاز لآزر لتحديد المدى . وهي مزودة بمحرك تبلغ قوة دفعه ، مع الحراق الخلفي ، ١١٥٠٠ كلغ . وتبلغ سرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر نحو ١٢٩٢ كلم ، وسرعتها القصوى على ارتفاع ١٢ الف متر ١٦٠٠ كلم (السرعة الاولى هي الاعم بالنسبة للمهام الاساسية للطائرة) . وحمولتها القصوى من القنابل ٤,٥ اطنان ، وحمولتها الترموزية ٢ اطنان بالإضافة الى خزان وقود اضافي . وفي هذه الحالة يبلغ مداها على ارتفاع منخفض نحو ٥٦٠ كلم ، ومداهما على ارتفاع « عال - منخفض - عال » ٨٩٠ كلم . وهي مسلحة بمدفع زوراني سداسي الفوهات من عيار ٢٢ مم للدفاع عن نفسها . وأجنحتها قابلة للحركة . ويوجد منها لدى سوريا حاليا نحو ٤٨ طائرة ، كما تفرافر لدى ليبيا والجزائر والعراق ومصر . وهي ليست معدة لمواجهة المقاتلات كصحة اولي لها ، وانما تلك هي مهمة « الميغ - ٢٢ » ، التي تبلغ سرعتها القصوى على الارتفاعات العالية ٢٤٤٦ كلم/ساعة وتتمتع بقدرات مناورة كبيرة في القتال الجوي .

● اما « الميغ - ٢٥ » فهي مقاتلة معترضة ، بدأت اختبارات الاولية في منتصف الستينات وبذات الخدمة العملية بالسلح الجوي السوفييتي عام ١٩٧٠ . وكانت مصممة في الاصل لاعتراض قافلة قنابل امريكية تسمى « ب - ٧٠ » ذات قدرات كبيرة في السرعة والارتفاع ، ولكنها لم تدخل الخدمة العملية وهي « اي » الميغ - ٢٥ ، مزودة بمحركين قوة دفع الواحد منهما ، عند استخدام

محدث « ساغوي » نظرا لما تضمنته من اخطاء قد تثير الانتقاسات في الأذهان .

● ذكر « ساغوي » ان سوريا تلقت طائرات من طراز « سوخوي - ٢٢ » ، التي تعد اقل تطورا من طائرات « ف - ١٥ » و « ف - ١٦ » . والواقع ان طائرات « سوخوي - ٢٢ » او « سوخوي - ٢٠ » ، التي يود تكرها في المطبوعات الغربية المتعلقة بالطيران أو موازين القوى ، ليست الا نماذج معدة للتصدير الخارجي (يقال انه ينقصها عادة بعض المعدات الإلكترونية) من الطائرات « سوخوي - ١٧ » . وهي طائرات مقاتلة مخصصة للهجوم الأرضي والقصف التكتيكي ، وتملك قدرة قتالية في الدفاع عن نفسها ضد المقاتلات المعادية ، اثر افراغها لحمولتها من القنابل وخزانات الوقود الاضافي ، وذلك بواسطة مدفعيها من عيار ٣٠ مم . ومن ثم لا يجوز مقارنتها من الناحية النوعية مع المقاتلات « ف - ١٥ » و « ف - ١٦ » ، التي تعتبر مقاتلات تفوق جوي في الاساس ، رغم قدرتها على القيام بمهام قصف تكتيكي . فالأخيرة تفوق عليها خاصة على الارتفاعات العالية ، نظرا لان « السوخوي - ١٧ » (وكذلك موديلاتها الأخرى) ثقيلة الوزن نسبيا بحكم تصميمها الخاص بالمناورة الصادة على الارتفاعات المنخفضة ، وتصفيح باطن هيكلها ألخ . وقد استخدمت هذه الطائرات في حرب ٧٢ من قبل مصر وسوريا تحت اسم « سوخوي - ٢٠ » ، كما يوجد منها حاليا نحو ٤٨ طائرة لدى سوريا ، وحوالي ٤٦ لدى مصر . وتوجد أيضا لدى كل من السلاح الجوي العراقي والليبي والجزائري واليمن الجنوبي .

« والسوخوي - ١٧ » مزودة بمحرك تبلغ قوة دفعه ، عند استخدام الحراق الخلفي ، نحو ١١٢٠٠ كلغ ضغط ، وسرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر ١٢٠٠ كلم/ساعة ، وحوالي ٢٢٠٠ كلم على ارتفاع ١٢ الف متر . واقصى ارتفاع عملي لها ١٧٥٠٠ متر . وتستطيع ان تحمل على ٨ نقاط تعليق ٥ اطنان من القنابل كحمولة قصوى . ولكن حمولتها الترموزية هي ٢,٥ اطنان وخزاني وقود اضافيين ، ويبلغ مداها في الحالة المنكورة ٢٦٠ كلم في حالة التحليق على ارتفاعات منخفضة ، ونحو ١٢٠ كلم في حالة تحليقها على ارتفاع عال - منخفض - عال . وقد سبق ان حلق ٣ طائرات منها فوق بيروت بعد ظهر يوم ٧٩/٤/٢٥ ، اثر تحليق الطيران الاسرائيلي اكثر من مرة في صباح وظهر اليوم ذاته . والجدير

والمدافع على ارتفاعات عالية ، وتحقق تفوق واضح عليها . خاصة وانها تتميز عنها من حيث السرعة والارتفاع العملي والمدى القتالي . إذ تبلغ السرعة القصوى للـ « ف - ١٥ » ٢٦٥٠ كلم . (للفترة قصيرة) ، واقصى ارتفاع عملي لها ١٩,٢٠٠ متر ، واقصى مدى (في حالة قيامها بمهام دورية قتالية) نحو ١٨٠٠ كلم . ومن ثم فإن حصول سوريا على سربين أو ثلاثة من « الميغ - ٢٥ » (٢٢ - ٤٨ طائرة) يحقق توازناً . بل تفوقاً ، جويًا لها بالنسبة لطائرات « ف - ١٥ » الإسرائيلية . وعموماً فإن طائرات الـ « ف - ١٥ » قابلة للاسقاط بسهولة نسبيًا ، بواسطة طائرات « الميغ - ٢٢ » . خاصة اذا ما تولعت للاخيرة ظروف ملائمة من حيث الانذار المبكر وادارة العمليات الجوية . بل قد يتاح للميغ - ٢١ فرصة اسقاط « ف - ١٥ » ، كما كان يحدث خلال المعركة الجوية الثانية التي جرت بين « الميغ - ٢٢ » والـ « ف - ١٥ » في سماء لبنان ، يوم ٢٤/٩/٧٩ . حيث كانت إحدى طائرات « ف - ١٥ » ان تسقط لولا تمكنها من الفرار في اللحظات الاخيرة ، وفقا لما روتته صحيفة « جيموراليم بوست » في رسالة لها من « واشنطن » ، نشرت في ١٠/١٠/٧٩ . قالت فيها ان « عزيز وايزمان » وزير الدفاع الاسرائيلي اشار الى هذا الحديث خلال مصادقاته مع المسؤولين العسكريين الاميركيين ، وهذا الاحتمال ليس بعيداً ، بعد ان يستوعب الطيارون السوريون خبرات اشتباكاتهم مع الـ « ف - ١٥ » ، مثلما حدث من قبل بالنسبة لطائرات « ف - ٤ » فانتوم ، التي اسقطتها المقاتلات السورية من طوازي « ميغ ١٧ » و « ميغ - ٢١ » من النوع الاقل حداثة عن النوع الموجود حالياً لدى الطيران السوري .

« اسقاط طائرة بدون طيار فوق سوريا »

في محاولة لاجراء استطلاع للمعق السوري وجمع معلومات عن القوات والقواعد الجوية وبطاريات الصواريخ الموجودة فيه ، فضلا عن اختبار مدى كفاءة اجهزة الدفاع الجوي وحساسية وسائل الكشف والرصد والتتبع لديها ، دفعت اسرائيل بطائرة استطلاع بدون طيار يوم ٧/١٠/٧٩ عبر سماء لبنان الى سوريا ، وكانت هناك طائرات مقاتلة اسرائيلية عادية تحلق وقتئذ فوق لبنان . ولكن المقاتلات السورية اسقطت طائرة الاستطلاع المشار

الحراق الخلفي ، ١١٢٠٠ كلم (أي ان الاثنان تبلغ قوتها ٢٢٤٠٠ كلم) . وتولر المحركات المذكورة سرعة قصوى للطائرة على الارتفاعات العالية (وهو اختصاص الطائرة الاساسي) تبلغ ٢٩٨٠ كلم/ساعة . وذلك في حالة استخدام الحراق الخلفي لفترة قصيرة . وسرعتها على ارتفاع سطح البحر ١٠٤٥ كلم/ساعة . وتستطيع « الميغ - ٢٥ » ان تصل الى ارتفاع يبلغ ٢٤ الف متر ، حيث لا تستطيع اي طائرة مقاتلة اخرى ان تصل وتكون لها قدرات قتال عملية . ويبلغ مداها القتالي في حالة قيامها بمهمة اعتراض جوي (أي تصدي للطائرات المعادية بسرعة ومن مسافة بعيدة نسبياً عنها بواسطة الصواريخ جو - جو) نحو ١١٠٠ كلم . اما مداها في حالة قيامها بمهمة اشتباك جوي قريب لمدة دقيقة بل يبلغ نحو ٢٠٠٠ كلم ، ويصل مداها في حالة استخدامها صواريخ جو - ارض ضد اهداف ارضية الى نحو ٢٢٠٠ كلم . (اما النوع المخصص منها لمهام الاستطلاع الجوي فيصل مداه الى ٢٧٠٠ كلم) . والتجدير بالذكر انه في حالة قيام « الميغ - ٢٥ » بمهمة اعتراض جوي فانها تقنع من المطار مستخدمة الحراق الخلفي ثم تواصل رحلتها بسرعة قصوى حتى تصل الى اقصى مدى لها ، في الحالة المذكورة ، ثم تطلق صواريخها من طراز 1 - 1٠ - ٦ اكريد ، الذي يبلغ مداه نحو ٥٠ كلم نحو الطائرة المعادية ، وهو موجه بالرادار . وفي حالة قيامها بمهمة قتال جوي تحلق نحو الهدف بالسرعة القتالية المثالي ، وذلك يزيد مداها الى ٢٠٠٠ كلم . نظراً لنقص استهلاك الوقود ، ثم تطلق صواريخها من الطراز ذاته ولكنها تكون موجهة بالاشعة تحت الحمراء ويبلغ مداها ٢٢,٥ كلم . وتستطيع ان تحمل ٤ صواريخ ، وعادة ما يكونون اثنين من كل نوع . والنوع الحديث منها ، المسمى « م - ٤ » ، يسبح بمدفع ثنائي اوسداسي من عيار ٢٢ مم ، ويحمل ٦ صواريخ جو - جو فضلاً عن خزاني وقود اضافيين . والرادار المجهز به له قدرة النظر الى اسفل . والصواريخ غالباً مزودة برؤوس رادارية باحثة ، ولذلك فانها قادرة على اصابة الطائرات التي تحلق على ارتفاعات منخفضة من موقعها المرتفع المشرف على ساحة الاشتباك ، من مسافات تصل الى ٥٠ كلم . ومن ثم فإن لها قدرة على اعتراض طائرات الـ « ف - ١٥ » بالصواريخ بعيدة المدى من فوقها ، وكذلك قدرة الاشتباك معها في قتال قريب بالصواريخ

وتزن ما بين ١٧٠٠ و ٢٢٠٠ كلف (وفقاً لأنواع المعدات التي تحملها) ، وفتحة جناحيها حوالي ٤ أمتار وطولها نحو ٩ أمتار ، وسرعتها القصوى ١١٥٠ كلم/ساعة . وتصل إلى ارتفاع ١٨٢٠٠ متر ، ومدى عملها العادي ١٢٨٥ كلم ، وأقصى مدى لها ٢٢٠٠ كلم . ويمكن لطائرات النقل د هيركوليز سي - ١٢٠ ، أن تحمل ٤ طائرات منها . وتستخدم في أعمال الاستطلاع الجوي والتشويش الإلكتروني ورصد أجهزة الرادار وتوجيه رميات المسفعية والصواريخ أرض - أرض . وتحتوي الطائرة الأم التي توجهها على أجهزة توجيه الطائرة المنكورة وأجهزة استقبال المعلومات التي تقدمها وتحليلها بشكل أولي ، ويمكنها التقاط الطائرة في الجوار وتوجيهها للهبوط على الأرض . ويبدو أن هذا النوع هو الذي اسقطته الطائرات السورية ، كما توضح الصور المنشورة لها .

والنوع الثالث من الطائرات الإسرائيلية بدون طيار يسمى « تشوكار » ، ويبلغ وزنها الأقصى ١٩٧ كلف ، وفتحة جناحيها ١,٧٢ ، وطولها ٢,٨٧ أمتار . وهي بذلك أصغر الطائرات الثلاث (تصغيرها الطائرة الإسرائيلية الصنع « ماستيف » ، إذ يبلغ وزنها ٧٠ كلف فقط) . ولذلك فهي تستخدم أساساً كهدف طائر لتدريب الطيارين واطمئنان الدفاع الجوي الأرضي على الإصابة . ولذلك تتميز بقدرتها على المناورة العادة اللازمة للتدريب على إصابة الطائرات . وتبلغ سرعتها القصوى ٩٥٤ كلم/ساعة على ارتفاع ٦١٠٠ متر ، وارتفاعها العملي ١٢٢٠٠ متر ، ومداهما الأقصى ٥٨٥ كلم . هذا وقد علق الجنرال دافيد عفري ، قائد السلاح الجوي الإسرائيلي ، على إسقاط الطائرة الإسرائيلية بدون طيار فوق سوريا ، فقال « إن خسارة الطائرة الإسرائيلية التي تحلق بدون طيار أثبتت أن السلاح السوري المضاد للطائرات بالغ الفاعلية » . وأوضح أنه من الصعب تحديد مكان هذه الطائرات التي تحلق على ارتفاع شاهق ، لكن إسقاطها ليس صعباً أثر ذلك بسبب سرعتها المحدودة وضعف قدرتها على المناورة . كما ذكر أن سعر الطائرة من هذا النوع يبلغ مليون دولار .

« البحرية الإسرائيلية على نظام جديد للدفاع الجوي »

نشرت مجلة « انترناشيونال ديفنس ريفيو » في

اليها إلى الشمال من « دمشق » بعد ظهر اليوم المذكور ، دون تدخل من الطائرات الإسرائيلية القريبة والموجودة في سماء لبنان .

والمعروف أن إسرائيل لديها عدة أنواع من الطائرات بدون طيار ، وقد حصلت على بعضها قبل حرب ١٩٧٢ ، واستخدمتها خلالها في مهمات الاستطلاع الجوي ، والتشويش الإلكتروني ، واجتذاب نيران الصواريخ أرض - جو والمقاتلات العربية . وقد عززت ما لديها من هذه الطائرات عقب الحرب من الولايات المتحدة ، كما صممت وأنتجت نوعاً منها اسمه « ماستيف » مخصص لاصال الاستطلاع التكتيكي والعملياتي لصالح التشكيلات المقاتلة مباشرة ، ولذلك تحمل على شاحنات ملحقة بالتشكيلات . والطائرة بدون طيار هي طائرة ذات محرك نفاث ، ذات جسم واجنحة وثيل تشبه الطائرة العادية ، ولكنها عادة تكون أصغر حجماً منها بنسب مختلفة وفقاً لنوعها وطبيعة المهام المعدة للقيام بها . ويجري توجيهها بواسطة جهاز لاسلكي مركب داخلها ، يتلقى الاشارات من مركز توجيه أرضي أو جوي أو بحري . ويتم اطلاقها من فوق منصة خاصة (ثابتة أو متحركة) ، أو طائرة نقل ضخمة تحمل عدة طائرات من النوع المذكور تحت أجنحتها . ويتم التحكم في مسارها وفق برنامج محدد مسبقاً يتضمن خط السير والمناورات والمهام المطلوبة منها . ويبقى المرجح لها قادراً على متابعتها والتحكم فيها طالما ظلت ضمن مدى الرادار الذي يستخدمه ، وبعد ذلك يستمر عملها وفقاً للبرنامج المحرك وفتح مظلة الهبوط ، وحتى لا يتأثر جسمها كثيراً عند الارتطام بالأرض ، مما يتطلب إجراء اصلاحات بها ، تقوم طائرات الهليكوبتر الكبيرة بالتقاطها أثناء هبوطها نحو الأرض . ويوجد لدى إسرائيل ثلاثة أنواع من الطائرات بدون طيار أمريكية الصنع . الأولى تعرف باسم « ريان - ١٦٦ فايبري - ٢ » ، ويبلغ وزنها ١٠٢٧ كلف ، وفتحة جناحيها ٢,٧ متر ، وطولها ٨,٧٥ أمتار ، وسرعتها القصوى ١٢٥٠ كلم/ساعة على ارتفاع سطح البحر ١٨٠٠ كلم على ارتفاع ١٥٠٠٠ متر ، وارتفاعها يصل إلى ١٨٣٠٠ متر ، وفترة تحليقها المعتادة ٧٥ دقيقة على ارتفاع ١٥٠٠٠ متر ، ويمكن اطلاقها من منصة أرضية أو من طائرة « أم » .

وطائرة النوع الثاني تسمى « ريان ١٤٧ » ،

الإسرائيلية من فئة ، ويشيف ، أساسا (التي يوجد منها نحو ١٠ زوارق حاليا) بهذا النظام الدفاعي ، وذلك لدعم قدرتها على التصدي للهجمات الجوية ، وكذلك لحاولة تدمير الصواريخ الموجهة إليها من الزوارق المعادية في حالة كشفها ورصدها مبكرا ، وهو ما يقال أن النظام المذكور قادر على تحقيقه بفضل أجهزته الإلكترونية وألية توجيهه وسرعة وغزارة نيرانه .

محمود عزمي

العدد رقم ٦ الصادر عام ١٩٧٩ ، أن البحرية الإسرائيلية وقعت عقدا مع الحكومة الأمريكية مؤخرا ، يقضي بشراء الأولى ١٤ وحدة من نظام الدفاع الجوي المسمى « م ١٥ » لالانكس ، قيمتها المالية ٦٤,٩ مليون دولار . والمعروف أن هذا النظام عبارة عن مدفع توراني سداسي السبيلانات من عيار ٢٠ مم مزودة بجهاز رادار وإدارة نيران آلي ، يمكنه من التقاط الاهداف الجوية التي تطير على ارتفاع منخفض بسرعة ودقة وتوجيه النيران إليها بسرعة وفعالية . وسوف تسليح زوارق الصواريخ

« رصد إذاعة إسرائيل »

نشرة استماع يومية للإذاعة الإسرائيلية باللغة العبرية .

عادت نشرة « رصد إذاعة إسرائيل » إلى الصدور ، مجددا ، عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . وقد أضيف إلى موادها ما تبثه إذاعة الجيش والتلفزيون الإسرائيلي أيضا .

ترسل النشرة إلى المشتركين فقط

الاشتراك السنوي

٥٠٠ ل.ل. ، عدا أجور البريد .

ترسل الاشتراكات إلى :

قسم التوزيع ، مركز الأبحاث ، م . ت . ف . ع . ص . ب . ١٩٩١ ، بيروت - لبنان .